



الإسلام والشعر

تأليف

د. سامي مكي العاني



سلسلة كتب ثقافية شهرية يديرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في يناير ١٩٧٨ بإشراف أحمد مشاري العدوانى ١٩٢٣ - ١٩٩٠

66

الإسلام والشعر

تأليف

د. سامي مكي العاني



١٩٩٦
النهضة

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر عن رأي كاتبها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

المتنوّع المتنوّع المتنوّع المتنوّع

5	مقدمة
7	تمهيد: مكانة الشعر قبل الإسلام
15	الباب الأول: الشعر في فجر الاسلام
23	الباب الثاني: الصراع الشعري بين مكة والمدينة
33	الباب الثالث: القرآن والشعر
41	الباب الرابع: الرسول ﷺ والشعر
67	الباب الخامس: الأغراض الشعرية
173	الباب السادس: الخصائص الفنية
239	الخاتمة
243	المصادر والمراجع
249	المؤلف في سطور

مقدمه

إن النقلة التي أحدثها الإسلام في الحياة العربية، بكل جوانبها، كان لها أبلغ الأثر في الشعر العربي آنذاك.

ولا غرابة في ذلك، لأن الشعر هو التعبير عن مشاعر الناس، والتجسيد لأفكارهم.

وقد تمثل تأثير الإسلام في كل الفنون الشعرية التي كانت تسود عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، وفي خصائص الشعر الفنية، من حيث الألفاظ والمعاني والأفكار والصور والأخيلة.

وكان الإسلام العامل الأول في ازدهار ذلك الشعر وتكامله، لا كما يشيع بعض الباحثين من ضالة تأثير الإسلام في الشعر، أو إضعافه له.

ولا يمكن أن يتحدث الباحث عن هذا التأثير ما لم يقدم له بموقف الإسلام من الشعر. ومن هنا كانت دراستنا لموضوعي «القرآن والشعر» و«الرسول ﷺ والشعر». لأن القرآن والحديث هما مصدرا التشريع، والعروة الوثقى التي تمسك بها المسلمون على مر العصور.

فجعلنا دراستنا لتلك المواقف المدخل الطبيعي للولوج إلى الشعر في ظل الإسلام بعد ذلك، من حيث الأغراض أو الخصائص الفنية.

إن هذه الدراسة ليست أكثر من لبنة صغيرة إلى جانب لبنات كثيرة، وضعها الباحثون في هذا الميدان، وتكوّن منها صرح ثقافتنا العامة.

وقد يلحظ المختصون ما في هذه الدراسة من

نقص في بعض جوانبها، لأنها اعتمدت النصوص في كل نقاط هذا البحث. وقد تغيب عن الباحث بعض تلك النصوص، أو لا يلتفت إليها، ويجدها غيره، فتتغير الأحكام، وتتبدل الآراء. واسأل الله أن يلهمني الصواب، ويهديني سواء السبيل.

مكانة الشعر قبل الإسلام

قامت الحياة العربية قبل الإسلام على نظام القبيلة التي كانت تمثل الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد اقتضى هذا النظام القبلي من ينطق باسمه ويحميه، فكان الشاعر هو الذي يسجل مآثر قومه، ويذيع مفاخرهم، وينشر محامدهم، ويخوف أعداءهم ويخذل خصومهم. ومن هنا كانت أهمية الشاعر الذي يعبر عن وجهات نظرهم بأسلوب شعري، تتناقله الرواة، وتحفظه الذاكرة، وضرورة شعره للحياة العربية آنذاك، بحيث صارت القبائل يهنئ بعضها بعضاً إذا نبغ بينهم شاعر، وكانوا لا يهنئون إلا بثلاث: غلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج. ومعروف أن هذه الثلاثة كانت مصادر قوة الحياة العربية.

قال ابن رشيق: كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمعت النساء يلعبن بالمظاهر كما يصنعون في الأعراس، ويباشر الرجال والولدان أنه حماية لأعراضهم، وذب عن حسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكورهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج^(*).

وكان الشعراء ألسنة قبائلهم، وذوي الرأي فيهم، يندبونهم عند الملمات، ويستعينون بهم وقت الشدائد، ويلجئون إليهم في الحروب، فقد ورد أن سعداً أرسل يوم (أرمات) إلى ذوي الكلام من رجال الشعر والنثر، يدعوهم إلى استخدام سلاح الحرب فحضر عنده خطباؤهم وشعراؤهم، مثل الشماخ والخطيئة، وأوس بن مغراء وعبد بن الطبيب، وكلهم شعراء، فخطبهم قائلاً:

انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم، ويحق عليهم عند مواطن البأس.

فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم، فسيروا في الناس، فذكروهم وحرصوهم على القتال، فساروا فيهم^(2*).

والعرب تتشد الشعر للنفاء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأمجاد، وسمائها الأجواد، لتَهزُّ نفوسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم.

ولولا خلال سنّها الشعر ما درى بغاة الندى من أين تؤتي المكارم^(3*) نعم كان الشعر ديوان فضائل العرب، وسجل مفاخرها، ووسيلة تخليد مآثرها ! يقول الجاحظ: فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المفصّل، وكان ذلك هو ديوانها^(4*)

ويقول ابن سلام: وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون^(5*).

ويؤكد ابن قتيبة مهمة الشعر عند العرب حين يقول: وللعرب الشعر الذي أقامه الله مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيداً، ولأخبارها ديواناً، لا على الدهر، ولا يبيد على مرّ الزمان، وحرصه بالوزن والقوافي وحسن النظم، وجودة التعبير من التدليس والتغيير^(6*).

وكان الشعراء في الجاهلية بمنزلة الحكام، يقولون فيرضى قولهم، ويحكمون فيمضي حكمهم، وصار ذلك فيهم سنةً يقتدي بها، وأثار يحتذي

عليها .

وكان العرب إذا أحوجوا إلى معرفة معنى حرف مستصعب، ولفظ نادر التمسوه في الشعر الذي هو ديوان لهم، متفق عليه، مرضى بحكمه، مجتمع على صحة معانيه وأحكام أصوله، محتجّ به على ما اختلف فيه من معاني الألفاظ وأصول اللغة^(7*).

ويفخر العرب بما وهبهم الله من الأشعار، ويعدون ذلك من أبرز مفاخرهم، وأجلى محاسنهم، فعندما قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين، فذكروا ملوكهم وبلادهم، فافتخر النعمان بالعرب، وفضلهم على جميع الأمم، ولم يستثن فارس، ولا غيرها .

ومما قال: وأما حكمة ألسنتهم، فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم، وحسنه ووزنه وقوافيه، مع معرفتهم الأشياء، وضربهم للأمثال، وإبلاغهم في الصفات، ما ليس لشيء من السنة الأجناس^(8*).

وكانوا يخافون لسان الشاعر ويتحامون هجاءه، ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السب عليهم، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب ويسب به الأحياء والأموات، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق، وربما شدوا لسانه بتسعة، كما صنعوا بعبد الله بن وقاص الحارثي حين أسرته بنو تميم يوم الكلاب فقال:

أقول وقد شدوا لساني بنسعة

أمعشر تميم أطلقوا من لساني

في أبيات

وكان سألهم أن يطلقوا لسانه لينوح على نفسه، ففعلوا، فكان ينوح بهذه الأبيات، فلما أنشد قومه هذا الشعر، قال قيس: لبيك، وإن كنت أخرتني^(9*).

ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء، وهذا من أول كرمها، كما بكى مخارق بن شهاب، وكما بكى علقمة بن علاقة، وكما بكى عبد الله بن جدعان من بيت لخدّاش بن زهير^(10*). ونهوا عن أن يتعرض أحد لشاعر، خشية لسانه، قالوا: لا ينبغي لعاقل أن يتعرض لشاعر، فربما كلمة جرت على لسانه، فصارت مثلاً آخر الأبد^(11*).

ويروي المؤرخون أخباراً كثيرة عمن رفعهم الشعر في الجاهلية وعمن أزرى بمكانتهم. فممن رفعه الشعر بعد الخمول المحلق، وذلك أن الأعشى

قدم مكة، وتسامع الناس به، وكانت للمحلق امرأة عاقلة. وقيل: بل أم، فقالت له: إن الأعشى قدم، وهو رجل مفوه، محدود في الشعر، ما مدح أحدا إلا رفعه، ولا هجا أحدا إلا وضعه وأنت رجل-كما علمت 5 فقير خامل الذكر، ذو بنات، وعندنا لقحة نعيش بها، فلو سبقت الناس إليه، فدعوته إلى الضيافة ونحرت له، واحتلت لك فيما تشتري به شرابا يتعاطاه، لرجوت لك حسن العاقبة، فسبق إليه المحلق، أنزله ونحر له، ووجد المرأة قد خبزت خبزا، وأخرجت نحيا فيه سمن، وجاءت بطب لب، فلما أكل الأعشى وأصحابه، وكان في عصابة قيسيه.. . سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه، وذكر البنات، فقال الأعشى: كفيت أمرهن. وأصبح في عكاظ ينشد قصيدته:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق

وما بي من سقم وما بي معشق

ورأى المحلق اجتماع الناس، فوقف يستمع، وهو لا يدري أين يريد الأعشى بقوله، إلى أن سمع:

نفى الذم عن آل المحلق جفنة

كجابية الشيخ العراقي تفهق

ترى القوم فيها شارعين وبينهم

مع القوم ولدان من النسل دردق

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلق يهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جريا يخطبون بناته، لمكان شعر الأعشى، فلم تمس منهن واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف^(12*).

وكان العرب ربما يلقبون بلقب فيغضبون منه، فيحسنه الشاعر بشعره فيستحسنونه بعد ذلك ويرضون به، من ذلك أن بنى جعفر ابن قريع كانوا يقال لهم: بنو أنف الناقة، وكان سبب ذلك أن قريبا أباه نحر جذورا فقسمه بين نسائه، فقالت أم جعفر وهي الشموس، لابنها جعفر: انطلق إلى أبيك فانظر هل بقى عنده شيء؟ فأثاه فلم يجد عنده إلا رأس الجذور، فأخذ بأنفه وكان صبيا صغيرا، فجعل يجره ققيل له: ما هذا؟ قال: أنف الناقة، فلحق بذلك، وكانوا يغضبون إذا قيل لهم بنو أنف الناقة، فلما مدحهم الخطيئة بقوله:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم
ومن يسوي بأنف الناقة الذنب
رضوا بذلك، وصار مدحا بعد أن كان هجاء^(13*).
ولم كان الشعر من قلوب العرب، وسرعة ولوجه آذانهم، وتعلق أنفسهم به
جعلوا بعض كلماته ألقابا لشعرائهم، يفخرون بها،
كالأسعر ومعوذ الحكماء، ومعوذ الفتيان، أو يتأذون منها كالهجف «الثقل»،
وتأبط شرا، وعائد الكلب^(14*).
وكان الشعر يرفع من مكانة الشاعر بين الناس، وينسى عيوبه في نظر
السامعين.
فلما قال الحارث بن حلزة قصيدته التي فخر فيها لبكر على تغلب،
والتي أولها:

أذنتنا ببينها أسماء

رب ثاويمل منه الثواء

ثم أتى الملك عمرو بن هند فأنشده إياها، وكان الحارث أبرص وكان
الملك لا يملأ عينه من رجل به بلاء، فأنشده من وراء الستر، فلما سمعها
الملك استخدم الطرب، وحمله السرور على أن أمر برفع الحجاب. وقيل
كان بينه وبين الملك سبعة حجب، فما زال يرفعها حجابا فحجابا لحسن ما
يسمع من شعره، حتى لم يبق بينهما حجاب، ثم أقعده على طعامه، وصيره
في سماره^(15*).

وقد انتشر الشعر بين الناس، فلا نكاد نجد بيتا من بيوت العرب إلا
وفيه من ينظم الشعر أو ينشده، حتى قال ابن سلام: والشعراء المعروفون
بالشعر عند عشائريهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط
بهم محيط. ثم قال: ولو قصدنا لذكر من لم يقل من الشعر إلا الشذ
اليسير لذكرنا أكثر الناس^(16*).

ويعد الشعر من أشرف الكلام عند العرب وأقدسها، كما قال ابن خلدون:
اعلم أن فن الشعر بين الكلام كان شريفا عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان
علومهم وأخبارهم، وشاهد ثوابهم وخطئهم، وأصلا يرجعون إليه في الكثير
من علومهم وحكمهم، وكان رؤساء العرب منافسين فيه، وكانوا يقفون بسوق
عكاظ لإنشاده، وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل

البصر، لتمييز حوله (مقدرته) حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام، موضع حجهم، وبيت إبراهيم^(17*).

وقضية تعليق الشعر بأستار الكعبة، وإن كانت مما ثارت حولها مناقشات طويلة، إلا أن إقرارها من قبل بعض العلماء يدل على المكانة السامية التي كان يحظى بها الشعر في ذلك العصر، وقد قال بهذا الرأي قبل ابن خلدون (ت 808 هـ) الذي أثبتنا رأيه أنفاً بعض العلماء الموثقين أيضاً كابن عبد ربه الأندلسي (ت 327 هـ) وابن رشيقي القيرواني (ت 463 هـ).

وثمة أخبار تدل على أن العرب كانوا يقدسون الشعر، ويعتقدون بأن هذا التقديس مستمد من أصله الديني، ولذا كانوا ينشدونه على موتاهم^(18*). ومما يؤكد هذه القدسية أيضاً، أنهم كانوا في بعض الأحوال لا ينشدونه إلا وهم على وضوء، كما فعلوا مع قصيدة المتلمس الميمية^(19*) وكالخبر الذي يذكر أن الملك عمرو بن هند أمر الحارث بن حلزة ألا ينشد قصيدته المزية إلا متوضئاً^(20*).

وكانوا يتخذون فن الشعر وسيلة للتقرب إلى الله في موسم الحج، فيلبون بأشعار معينة، وهم يطوفون حول الكعبة.

وكان للشعر تأثير كبير في نفوس الناس ومشاعرهم، لما يستعملونه من كلام مؤثر ساحر، يترك أثراً خطيراً في نفس سامعه، ولهذا عدوا السحرة في جملة أوائل من كان ينظم الشعر من القدماء^(21*).

وروى عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم، حتى خالطهم أهل الحضر، فاكْتَسَبُوا بالشعر، فنزلوا عن رتبته^(22*).

وكان الرجل لا يسمى الكامل إلا إذا كان يكتب، ويحسن الرمي ويحسن العلوم، ويقول الشعر^(23*).

وكانوا يسمون الشاعر العالم والحكيم، حتى أن عمر بن الخطاب (رض) سأل كعب الأحمري: يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة؟ فقال كعب: أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل، أناجيلهم في صدورهم، ينطقون بالحكمة، ويضربون الأمثال، لا نعلمهم إلا العرب^(24*). وهكذا جعل كعب الأشعار كالأنجيل لقدسيته.

وكانت القبائل تحفظ أشعار شعرائها، ويروونها أبنائها، ويدونونها

لأجيالهم التالية، فبنو تغلب كانت تحفظ قصيدة شاعرها عمرو بن كلثوم المعلقة، ويرويها كل أفراد قبيلتهم، صغارا وكبارا، يرددها الآخر عن الأول، حتى قيل فيهم:

ألهي بني تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبدا منذ كان أولهم
يا للرجال لشعر غير مشؤوم^(25*)

ولم تقتصر العناية بالشعر على أقارب الشاعر وأبناء قبيلته، فقد عني به الملوك أيضا، وأنزلوه مكانة رفيعة، فكان الملك إذا استجدت قصيدة الشاعر يقول: علقوا لنا هذه، لتكون في خزائنه^(26*).

ويروي أن النعمان بن المنذر أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج (الكراريس) فكتبت له، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد الثقفي، قيل له: إن تحت القصر كنزا فاحتقره فأخرج تلك الأشعار، فمن ثم فأهل الكوفة أعلم بالأشعار من أهل البصرة^(27*)

الحواشي

- (1*) العمدة 1 / 65
- (2*) الطبري 3 / 533
- (3*) ديوان أبي تمام 255
- (4*) الحيوان 1 / 71
- (5*) طبقات الشعراء 1 / 24
- (6*) تأويل مشكلة القرآن 14
- (7*) الزينة 1 / 2 و 9 و 83
- (8*) العقد الفريد 1 / 101
- (9*) البيان والتبيين 4 / 45 والنسعة: قطعة من سير يضفر على هيئة أعنة النعال، تشد به الرحال.
- (10*) الحيوان 1 / 364
- (11*) الممتع في علم الشعر وعمله 279
- (12*) العمدة 1 / 48
- (13*) الزينة 1 / 94
- (14*) انظر معجم ألقاب الشعراء للمؤلف، حيث ورد فيه أكثر من سبعين شاعرا لقب ببيت شعر.
- (15*) البرصان والعرجان 24 وانظر شرح القصائد السبع الطوال 369.
- (16*) طبقات الشعراء 3.
- (17*) المقدمة 535 و 547
- (18*) انظر الفهرست 138.
- (19*) المفصل في تاريخ العرب 9 / 69
- (20*) شرح القصائد السبع الطوال 370
- (21*) انظر المفصل في تاريخ العرب 9 / 69.
- (22*) الزينة 1 / 95
- (23*) ابن قتيبة 168.
- (24*) العمدة 1 / 25.
- (25*) الأغاني 9 / 368 (طبعة بيروت).
- (26*) العمدة 1 / 96
- (27*) اللسان (طنج).

الشعر في فجر الإسلام

دعوى ضعف الشعر الإسلامي

يشيع بعض الباحثين من عرب ومستشرقين، فكرة ضعف الشعر العربي بعد الإسلام، ويرددون أحكاماً وآراء أطلقها بعض النقاد في القرنين الثاني والثالث الهجريين، عندما قرروا ضعف الشعر بعد الإسلام، وانصرف الشعراء عن قوله، وبعد الناس عن الاهتمام بالشعر منذ إن نزلت الآيات الكريمة «والشعراء يتبعهم الغاؤون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون مالا يفعلون...».

وتناقلوا حديث الرسول (ص): «لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحا ودما خير له من أن يمتلئ شعرا». وقالوا: إن عمر بن الخطاب قال: كان الشعر علم قوم لم يكن علم أصح منه، فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته.

ورددوا قوله الأصعي: «إن الشعر نكد بابيه الشر». وقولة ابن خلدون: انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم في أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً.^(١*)

إن هذه النصوص الماثوثة في كتب الأقدمين كان لها صدى دراسات المحدثين، فاستدوا إليها، وبنوا عليها نظر الشعر الإسلامي.

ويمكن إجمال ذلك الصدى في كتب المحدثين بالآتي:
 1- إن المسلمين شغلوا بالقرآن، وسكت شعراؤهم ليستمعوا إلى كلمة الله (2*)
 ذلك الصدى القوي الذي رن في أسمع العالمين بكنه الرسالة الجديدة وفلسفتها، كان جديرا بأن يوقف أساليب القول والتفكير ألا في هذه الرسالة نفسها. (3*)

2- إن طريق الإسلام غير طريق الشعر، ومذهبه غير مذاهب الشعراء، فالشعراء إنما كان أكثر قولهم عصبية جاهلية وفخرا وحماسة بما بين قبائلهم من تنازع ومطاوله بالأنساب والاحتساب، وهجاء ومدحا باطلا، وهي مذاهب حاربها الإسلام.

وان الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر، فإذا أدخلته في باب الخير لان. (4*)
 3- إن بعض الشعراء شغلوا عن الشعر بالجهاد في سبيل الله. (5*)

4- إن النبي (ص) لم يهيئ لعامة الشعراء مكانا رحيبا في كنفه، لما كانوا عليه في شعرهم من مذاهب لا يقرها الدين، فكف بعضهم عن قول الشعر. (6*)

5- إن الضعف الذي يبدو على الشعر الإسلامي إنما كان بدأ في الحقيقة قبيل الإسلام لا بعده، كان قد انقضى عصر الفحول، ولم يبق إلا الأعشى الذي مات-كما تقول الرواية-وهو في طريقه إلى النبي (ص) ليمدحه، ويعلن إسلامه، ولبيد الذي كان قد بلغ الستين، أو شك أن يكف عن قول الشعر، ولم يبق عند ظهور الإسلام إلا شعراء مقلون، بعضهم مجيد في قصائد مفردة، ولكن لا يبلغون شاو هؤلاء الفحول. (7*)

ولتأكيد مقولة ضعف الشعر الإسلامي يورد هؤلاء الباحثون القول بأن شعر حسان بن ثابت لان وضعف في الإسلام، وان بعض الشعراء قد انصرفوا تماما عن قول الشعر بعد الإسلام، مت لبيد بن ص ربيعه.

وفي الجانب الآخر ظهر فريق من الباحثين، رفضوا القول بضعف الشعر الإسلامي، وأكدوا إن نهضة الشعر قد استمرت بعد الإسلام، إن لم تكن قد تقدمت خطوات، بما هيأ لها الإسلام من أسباب التقدم والنهوض.

فابن خلدون مثلا يفضل شعر الإسلاميين على شعر الجاهليين فيقول:

إن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في من ثورهم ومنظوم هم ، فأنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والخطيب... . أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير . والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام من القرآن والحديث، اللذين عجز البشر عن الأعيان بمثلها، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية، ممن لم يسمع هذه الطبقة، ولا نشأ عليها، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم احسن ديباجة، وأصفى رونقا من أولئك، وارصف مبنى واعدل تثقيفا، بما استفادوا من الكلام العالي الطبقة. (8*) وممن قال بنفي مقولة ضعف الشعر الإسلامي من المحدثين الدكتور عمر فروج (9*) والدكتورة بنت الشاطئ (10*) ونال ينو. (11*) واتخذ بعض الباحثين طريقا وسطا بين القائلين بضعف الشعر الإسلامي، والقائلين بان الإسلام قد فجر طاقات الشعراء، وبعث الروح في أشعار تلك الفترة.

يقول الدكتور يوسف حليف: ولسنا ندعي أن القرآن صرف العرب جميعا عن قول الشعر، أو انه اخرس ألسنتهم حتى لم تعد تتطرق به، وإنما الذي نقرره هو انه اضعف من سيطرته على المجتمع الأدبي الإسلامي، بعد أن كان هو اللون الأساسي في الحياة الأدبية الجاهلية. وإذا كان لبيد قد فكر في أن يحطم قيثارته فقد كان هناك غيره... . احتفظوا بقيثاراتهم دون أن يحطموها.

إن الرجة الدينية والأدبية التي أثارها القرآن في نفوسهم وفي المجتمع الإسلامي من حولهم كادت تزلزل الأوتار في أيديهم، وتجعل الناس لا يجدون في فنهم تلك المتعة الأسرة التي كان القدماء يجدونها في الشعر القديم. أو على أقل تقدير لا يجدون في وقتهم ما يجعلهم يلتفتون حولهم ليستمعوا لهم كما كان أسلافهم يفعلون. (12*)

فأين الصواب في هذه الآراء ؟

أما أن القرآن قد حط من الشعر، وقلل من قيمته، فهذا غير صحيح، وقد عالجت هذه المسألة في فصل «القرآن والشعر».

ونود أن نورد هنا التوجيه الطريف الذي ذهب إليه العسكري في آيات

الشعر والشعراء، حيث يقول: واستثناء الله عز وجل في أمر الشعراء يدل على أن المذموم من الشعر إنما هو العدول من جهة الصواب إلى الخطأ، والمصروف من وجهة الإنصاف والعدل إلى الظلم والجور، وإذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم.

ولو كان الذم لازماً لكونه شعراً لما جاز أن يزول على حال من الأحوال. (13*)
أما حديث الرسول ﷺ عن الشعر فقد استشهد به هؤلاء ناقصاً، لأن السيدة عائشة رضي الله عنها رفضت هذه الرواية، وارتاعت لها عندما سمعتها، وقالت: لم يحفظ أبو هريرة (ص) إنما قال رسول الله (ص): لأن يمتلئ جوف أحدكم قبجا ودما خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به. (14*)
ومن هذا الاستدراك يتضح جلياً موقف الرسول (ص) من الشعر، فقد نهى عن لون معين منه، وعن موضوعات خاصة، لا تتعدى هجاء الذي يعني هجاء الدعوة، أما فيما عدا ذلك فإن الرسول (ص) أقر قول الشعر، وطلب من الشعراء أن يردوا على قريش، وينصروه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم، وسمح لهم بنظمه في معظم الأغراض الشعرية وقد فصلنا هذه المواقف في فصل «الرسول (ص) والشعر».

أما الحجج التي استند عليها المحدثون لتعليق القول بضعف الشعر الإسلامي فنقول:

1- القول بانبهار الشعراء بالقرآن ومعاني الإسلام الجديدة. فنقول أن الإسلام لم يكن قد أتى مفاجأة بلا إرهاصات أو مقدمات دينية، وقد فاضت كتب السيرة والتاريخ في تعداد تلك الإرهاصات التي كانت تعم الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية.

وكانت الأشعار تمثل تلك الإرهاصات في أواخر العصر الجاهلي كشعر أمية بن أبى الصلة ولبيد وزهير وغيرهم من المتحفين.

ولا وجه للانبهار، فالمسلم همه أن يقتبس من القرآن في أفكاره وأسلوبه، وحقق ذلك فعلاً، لا أن ينبهر به، ويتوقف عن الإبداع الشعري، وسبق أن أثبتنا رأي ابن خلدون في هذه المسألة حين فضل شعر الإسلاميين على شعر الجاهليين بسبب سماعهم القرآن والحديث.

2- أما القول بأن طريق الإسلام غير طريق الشعر، إلى آخر هذه الحجة، فنقول: إن الإسلام قد نهى عن بعض ألوان الشعر، وهي مع قلتها، فإنه قد

أوجد بديلا عنها، وشجع كثيرا من الألوان الأخرى، ووجه بعضها الآخر كما هو موضح في اثر الإسلام في الأغراض الشعرية.

وغير صحيح أن الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر... الخ موهوما ذهب إليه الأصمعي، وردده بعض المحدثين، فهذا الرأي يخالف رأي النقاد الذين يجمعون على أن القوة والضعف مردهما إلي طبيعة الشاعر وموهبته، وصدق عاطفته، وكما تتفعل النفوس بعوامل الشر تتفعل بعوامل الخير، وقد يصل انفعالها بأسباب الخير أقصى درجاته، فيرتفع شعرها فيه إلى أسمى ذروا ته، وقد يكون انفعال الشاعر بحب الرسول (ص) مثلا اشد أقوى من انفعال شاعر بحب غادتا اللعوب. (15*)

3- وحجة انشغال المسلمين بالجهاد مردودة أيضا فالجهاد في سبيل الله والفتوحات الإسلامية أكثر الروافد التي أمدت الشعر الإسلامي بالمعاني الجديدة والأفكار البديعة والأغراض الطريفة.

ويجب أن نفرق بين العمل المادي الذي قد ينشغل عنه الإنسان بعمل آخر، وبين الانفعال الذي لا يمنعه مكان أو زمان، فحيثما انفعال الشاعر تفجرت قريحته وسال لسانه بكلمات الشعر.

4- أما أن النبي (ص) لم يهَيئ للشعراء مكانا رحيبا في كنفه، فانصرف بعض الشعراء عن قول الشعر، فهو قول غير مقبول، من يتتبع مواقف رسول الله (ص) من الشعراء وتأبيده الكبير لهم يعلم ما في هذا القول من بعد عن الحقيقة، ويكفى انه نصب لحسان منبرا ينشد من فوقه الشعر في مسجده وفي حياته. وانه زوجه من أخت زوجته مارية القبطية، لا شيء إلا لمواقفه الشعرية، وفيما أوردنا من إكرام رسول الله ﷺ للشعراء قولاً وفعلاً دليل يغنينا عن التفصيل في هذا الرد.

5- والقول بان الضعف قد بدأ قبل الإسلام فيه تعميم، فحسان وكعب بن زهير ولبيد والعباس بن مرداس والخطيئة والهزليين وغيرهم من المخضرمين، ومن تلاهم في العصر الأموي من الفحول المعروفين، كلهم شاركوا في النهضة الشعرية التي امتدت بعد الإسلام ولم تنقطع أو تقتصر. أما إن شعر حسان قد ضعف وتراجع بعد الإسلام، لأن شيطانه قد تبدل ملكا، فهذا غير صحيح أيضا، لأن معظم النقاد يرون أن ما وجد في شعره من لين وضعف لم يكن في شعره الصحيح بل هو فيما وضع عليه من

إشعار.

قال الأصمعي مرة: حسان أحد فحول الشعراء، فقال أبو حاتم له إشعار لينة. فقال الأصمعي: تنسب له أشياء لا تصح عنه. (16*)

ومن يتعمق في ديوان حسان يجد أن فحولة شعره لم تفارقه في جاهليته وإسلامه، وفي فخامته وعذوبته، ولا شك في أن ما يظهر من لين وضعف في بعض إسلاميات ليس أصيلاً في فنه، وإنما هو عارض، ساقته ظروف طارئة، أو منحول دس عليه لغرض ديني أو فكاخي. (17*)

ورأي الأصمعي الذي رده معظم من قال بضعف شعر حسان بعد الإسلام إنما ينبع من ولعه بالغريب، الذي جعله مقياساً لقوة الشعر وضعفه، وهو مقياس شخصي قد لا يوافقه عليه الكثير من النقاد.

ولبيد الذي يستشهدون به على ترك الشعر بسبب الإسلام لم ينصرف عن قول الشعر بعد الإسلام، ومن يتصفح ديوانه يجد له إسلاميات كثيرة، فكيف قال أنه هجر الشعر بعد إسلامه وفي ديوانه قصيدته الإسلامية:

قضي الأمور أنجز الموعود

والله ربي ماجد محمود

وقصيدته التي فيها:

إنما يحفظ التقى الأبرار

والى الله يستقر القرار (18*)

وحتى الخبر الذي رواه وهو كتابة عمر (رض) إلى المغيرة بن شعبة وإلى الكوفة أن يستتشد من قبله من شعراء الكوفة ما قالوه في الإسلام، وجواب لبيد بأن كتب سورة البقرة، وقوله: أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر. (19*) الذي علق عليه الدكتور طه حسين بقوله: وأكبر ظني أن لبيداً أعرض عن الشعر في الإسلام، فلم يتخذ صناعة، ولم يكثر من إنشائه وإنشاده، وانصرف عنه إلى القرآن، ولكنه قال في الإسلام غير بيت (20*). حتى هذه الحادثة لو صحت لما أمكننا تعميمها على كل شعراء صدر الإسلام، فهي حادثة فردية، لم تتكرر مع غيره من الشعراء في ذلك العصر.

وفي الخبر نفسه ما يثبت أهمية الشعر في تلك الفترة، وإلا لما طلب الخليفة عمر (رض) من واليه أن يوافيه بما قال الشعراء بعد الإسلام.

دعوى ضعف الشعر العربى

ومما سبق نخلص إلى بطلان دعوى ضعف الشعر الإسلامى، ونؤكد أن ما استند إليه القائلون بهذه الدعوى يرجع إلى قلة اطلاعهم على النصوص الشعرية أو إلى تقليد مقولة الأقدمين، أو تحميل بعض نصوص القرآن أو الحديث، أو النقد القدامى، أكثر مما تحتمل، وتوجيهها إلى غير ما يريد منها.

الحواشي

- (1*) المقدمة 574
- (2*) د. ألبه بيتي-تاريخ الشعر العربي 113
- (3*) الشبكة الأدب في موكب الحضارة الإسلامية 9. ومحمد إبراهيم جمعة-حسان بن ثابت 17.
- (4*) د. درويش حسان بن ثابت-77- وانظر د. خفاجي-الحياة الأدبية في عصر صدر الاسلام 163
- (5*) م. ن. 77
- (6*) م. ن.
- (7*) د. عبد القادر القط في الشعر الإسلامي والأموي ص 13
- (8*) المقدمة 544
- (9*) تاريخ الأدب العربي 1 / 257
- (10*) قيم جديدة للأدب العربي 66
- (11*) تاريخ الآداب العربية 104
- (12*) حياة الشعر في الكوفة 656
- (13*) الصناعتين 132
- (14*) الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة على الصحابة 67.
- (15*) انظر حسان بن ثابت 505
- (16*) الاستيعاب 1 / 338
- (17*) حسان بن ثابت 37
- (18*) الديوان 46 و 79 وانظر 44 و 95 و 26 و 139
- (19*) الأغاني 4 / 1 94 وخزانة الأدب 2/215
- (20*) حديث الأربعاء 1 / 46.

الصراع الشعري بين مكة والمدينة

حين اشتد الصراع بين الإسلام والكفر، وانقسم العرب إلى فريقين، فريق تفتحت قلوبهم للإسلام، وعقولهم للاستتارة بهداه، وفريق صدوا عن سبيله، وأصروا على الكفر به، جرد كل فريق ما يملك لمحاربة الفريق الآخر.

وطبيعي أن يشارك الشعر في هذا الصراع، وإن يواكبه في جميع مراحل، فوقف فريق من الشعراء إلى جانب الرسول ﷺ، وفريق آخر إلى جانب قريش.

ولم يشهر سلاح الشعر خلال الفترة المكية، لأن المسلمين كانوا آنذاك أفراداً قلائل، وليسوا معسكراً يهدد قريشاً.

وعندما انتقل الرسول ﷺ إلى المدينة، وقامت للإسلام دولة، شعرت قريش بما يهدد مركزها من خطر، فلم تبق وسيلة لمحاربة الإسلام إلا سلكتها، ولا سلاحاً إلا شهرته، وبدأت شاعريتها تستيقظ وتقوى، بعد أن كانت قليلة الشعر في جاهليتها، خاملة الذكر فيه.

قال ابن سلام: والذي قلل شعر قريش أنه لم

يكن بينهم نائرة، ولم يحاربوا. (*) (1)

لكن عدواتها للإسلام حلت من عقد ألسنة أبنائها، ومحاربتها له أنطقتهم بالشعر، فبرز منهم شعراء لم يعرفوا بالشعر قبل الإسلام، كأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عم الرسول ﷺ، وأخيه في الرضاعة، بقي في صفوف المشركين، يدافع عنهم، ويحرضهم على الإسلام والمسلمين، ويؤذي الرسول ﷺ ويهجو، وإلى ذلك يشير حسان بن ثابت في قصيدته المشهورة: هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء حتى تم فتح مكة، فلقى أبو سفيان وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة رسول الله ﷺ يعيق العقاب، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك، قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال.

فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان ابن له، فقال: والله ليأذن لي أو لأخذن بيدي بني هذا، ثم لنذهب في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا.

فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما، ثم أذن لهما، فدخلا عليه فأسلما. (*) (2)

وله أشعار كثيرة في هجاء الإسلام والرد على شعرائه كحسان وكعب. (*) (3) ومنهم عبد الله بن الزبيري السهمي القرشي، كان من أشد الناس على رسول الله ﷺ، وعلى أصحابه، بلسانه ونفسه، وكان اشعر قريش وابلغها، ومن أشعاره الكثيرة في محاربة الإسلام قوله في غزوة أحد: (*) (4)

كم قتلنا من كريم سيد
ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قري بارع
غير ملات لى وقع الأسل
إلى أن يقول:

فقتلنا الضعف من أشرافهم
وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لا ألوم النفس إلا أننا
لو كررنا لفعلنا المفتعل
ولما فتح المسلمون مكة لم يطق البقاء فيها، وهرب إلى نجران، فرماه
حسان ببیت واحد، ما زاده عليه، وهو:
لا تعدمن رجلا احلك بغضه
نجران في عيش احد لئيم
فلما بلغ ذلك ابن الزبيري خرج إلى رسول الله (ص) فأسلم واعتذر إلى
الرسول، فقبل عذره، فنظم اكثر من قصيدة اعتذاريه، منها قوله:
يا رسول المليك إن لسانني
راتق ما فتقت إذ أنا بور
إذا أباري الشيطان في سنن الغي
ومن مال مياله مثبور
آمن اللحم والعظام لربي
ثم قلبي الشهيد أنت النذير^(5*)
ومنهم ضرار بن الخطاب الفهرس، من شعراء قريش المعدودين وفرسانها
الشجعان، قاتل المسلمين في الوقائع اشد القتال، وكان يقول: زوجت عشرة
من أصحاب النبي (ص) بالخور العين ثم في الفتح.
وكان يقول لأبي بكر: نحن خير لقريش منكم، أدخلناهم الجنة، وانتم
أدخلتموهم النار.
ومن شعره في محاربة المسلمين:
كأنهم إذا صالوا وصلنا
بباب الخندقين مصافحونا
أناس لا نرى فيهم رشيدا
وقد قالوا ألسنا راشدين^(6*)
والحارث بن هشام بن المغيرة، أخو أبي جهل، حارب المسلمين بسيفه
ولسانه، ومن شعره قصيدة توعدها فيها محمدا (ص) بعد قتل أخيه أبي
جهل، منها:
فيال لؤي دببوا عن حريمكم
وآلهة لا تتركوها لذي الفخر

توارثها أباًؤكم وورثتم
أواسيها والبيت ذا السقف والستر
فما لحليم قد أراد هلاككم
فلا تعذروه آل غالب من عذر
وجدوا لمن عاديتهم وتوازوا
وكونوا جميعاً في التآسي وفي الصبر
لعلمكم أن تثاروا بأخيك
ولا شيء إن لم تثاروا بذوي عمرو^(7*)

حتى إذا تم فتح مكة استأمنت له أم هانئ بنت أبي طالب النبي (ص)، فأمنه وصفح عنه، ومنهم هريرة بن أبي وهب المخزومي، وأبو عزة الجمحي، وعمر بن العاصي وأبو سفيان بن حرب، وقد رويت لهم أشعار في المعارك الكلامية التي كانت تدور بين مكة والمدينة.

ودخل هذه المعركة إلى جانب قريش بعض الشعراء الذين لم يكونوا من مكة ولا يثرب، ومن هؤلاء أمية بن أبي الصلة، وهو من تثقيب كان يتوقع ظهور رسول بين العرب، وكان يتمنى أن ينزل عليه الوحي، ولما نزل على محمد ﷺ حقد عليه وعلى المسلمين، وراح يحرض قريشاً على حرب المسلمين، ورثى قريشاً بقصائد تقيض حقداً وانفعالا ضد المسلمين، حتى قيل: أن الرسول ﷺ نهى عن روايتها.

والعباس بن مرداس السلمي، من سليم بن منصور، وكان فارساً شجاعاً، وقف في صف المشركين حيث مدح بني النضير حين أجلاهم الرسول، وتأسف لذلك، وأظهر ألمه في قصيدة مطلعاً: ^(8*)

لو أن أهل الدار لم يتصدعوا
رأيت خلال الدار ملهى وملعباً
وناقض الشعراء المسلمين الذين هجوا اليهود، ومرد ذلك الموقف إلى علاقته التجارية، ومصالحه الخاصة المرتبطة باليهود.
كما أزر قريشاً كعب بن زهير من مزينة بسبب إسلام أخيه بجير، وقصته في ذلك معروفة أوردناها في موضع آخر من هذا الكتاب.

وقد روت كتب التاريخ والسيرة لهؤلاء الشعراء الكثير من القصائد التي كانوا يهجون بها الرسول والدين، وينالون منه ومن أتباعه ودعوته اشد النيل

وأقساه.

وآزر يهود يثرب قريشا في حربها ضد المسلمين، ووقف شعراؤهم إلى جانب شعراء قريش، يحرضون العرب ويؤو لبونهم على رسول الله، وكان المفروض أن يقفوا إلى جانب رسول الله ويعترفوا برسالته، لأنهم أصحاب كتاب سماوي مثله، ولكن حقدهم وطبيعة أخلاقهم، جعلهم يؤيدون الكفر والشرك ضد الإيمان والتوحيد.

ومن شعرائهم الذين حاربوا الإسلام، وهجوا رسول الله سلام ابن أبي الحفيص، وأضاف كعب بن الأشرف إلى هجاء الإسلام التشبيب بنساء المسلمين.

وكان جبل بن جوال ممن بكى بني النضير وبنى قريظة وهجا المسلمين في مثل قوله:

ألا يا سعد سعد بني معاذ
لما لقيت قرية والنضير
وأقفرت البويرة من سلام
وسعية وابن أخطب فهي بور
وقد كانوا ببلدتهم ثقالا
كما ثقلت بميطان الصخور
وجدنا المجد قد ثبتوا عليه
بمجد لا تغيبه البذور
أقيموا يا سراة الأوس فيها
كأنكم من المجزة عور
تركتم قدركم لا شيء فيها
وقدر القوم حامية تفور^(9*)
فانبرى له حسان بن ثابت يسفه قوله، ويعيب على اليهود نصرهم لقريش
المشركة، أصحاب كتاب فقال:

تفاقد معشر نصروا قريشا
وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه
وهم عمي من التوراة بور

كفرتم بالقرآن وقد أتيتكم

بتصديق الذي قال النذير^(10*)

وقد كان للنساء دور بارز في هذه المعارك الشعرية، فشاركن فيها بالبكاء على القتلى، وبالتحريض على الانتقام، وبالتشفي حين يقتل رجال الأعداء. ظهر منهن إلى جانب قريش هند بنت عتبة بن ربيعة، ومن شعرها قولها شامته بقتل حمزة (رض):

نحن جزيْنَاكم بيوم بدر

والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبر

ولا أخي وعمه وبكري

شفيت نفسي وقضيت نذري

شفيت وحشي غليل صدري^(11*)

ومنهن قتيلة بنت الحارث التي بكت أخاها النضر، وعابت رسول الله ﷺ لأنه لم يمن عليه ويطلقه.^(12*)

وصفية بنت مسافر التي بكت أهل القلب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش.^(13*) ومن الشاعر المسلمات ميمونة بنت عبد الله التي ردت على كعب ابن الأشرف في تحريضه على الرسول، وبكائه قتلى قريش.^(14*)

وصفية بنت عبد المطلب التي بكت أخاها حمزة بن عبد المطلب (رض) بأبيات تفيض لوعة وحزنا، ونعت فيه شمائل الإسلام^(15*) وهند بنت أثاثة التي رثت عبيده بن الحارث حين استشهد من مصابه ببدر، وناقضت هند بنت عتبة حين أعلنت تشفيها بقتل مسلمي أحد.^(16*)

وكان رسول الله ﷺ من وراء الشعراء المسلمين، يؤيدهم ويشد أزهرهم، ويوجههم إلى ما يوافق الإسلام، ويرد عن المسلمين هجاء المشركين وأذاهم. لقد كان يدرك اثر الشعر في تلك المعارك، وتأثيره في نفوس العرب، فحث شعراءه على هجاء الكافرين، والتصدي لهم، ليشفي صدور المسلمين، ويرفع عن كواهلهم ما يثقلها من تلك الأشعار، فكان يقول لهم: قولوا لهم مثل ما يقولون لكم.^(17*) وقد فصلنا الحديث عن اتخاذ رسول الله الشعر سلاحا في المعركة في فصل (الرسول والشعر).

وهكذا وقف شعراء الإسلام يذبون عن دينهم سهام أشعار المشركين

الصراع الشعري بين مكة والمدينة

وأذاهم، وطالما توجهوا بأشعارهم من يثرب إلى المشركين في مكة، ولذلك تكررت لفظة (أبلغ) و (من مبلغ) في مطالع قصائدهم، لبعد المشركين عنهم، ولطبيعة الجدل والحجاج التي سيطرت على شعراء تلك الفترة. فحين هاجر بنو جحش إلى المدينة، عدا أبو سفيان بن حرب على دارهم في مكة فباعها، فقال عبد الله بن جحش^(18*):

أبلغ أبا سفيان عن
أمر عواقبه ندامة
دار ابن عمك بعثها
تقضي بها عنك الغرامة
وقال كعب بن مالك في أحد (19*):

أبلغ قريشا على نأيها
أتفخر منا بما لم تلي ؟
ونتيجة هذا الصراع الشعري تبلور فن النقائض التي وجدت بذرتها الأولى قبل الإسلام بين شعراء هزيل وبين شعراء الأوس والخزرج وغيرهم من الشعراء الجاهليين.

فكان ينقض شاعر ما قاله شاعر آخر، بعض ما جاء به الأول، ملتزما بالبحر والقافية والروي الذي اختاره الشاعر الأول.

لقد اتخذ الصراع بين شعراء مكة والمدينة في أكثر الأحيان صورة المناقضات الشعرية، وفي بعض الأحيان صورة المراجعات.

وقد تميزت المناقضات الإسلامية بسمو الموضوعات التي عالجتها، ونبل الغاية التي قصدت إليها، فموضوعاتها هي الإسلام ودعوته، وغايتها إخراج الناس من الظلومات إلى النور، ومن ضيق الكفر إلى سعة الإسلام. أما معاني تلك المناقضات فكانت على نوعين:

إسلامية جديدة، كالإيمان والكفر، والجنة والنار، والوحي والملائكة، وأخرى قريبة من المعاني الجاهلية، تعالج المآثر والحساب، والمثالب والأيام، والتهديد والوعيد .

ومما يلاحظ إن الشعراء المسلمين لم يلتزموا بجميع القيود التي فرضت في العصر الأموي، حيث وصل فن النقائض إلى أوج كماله، وإنما كان يلتزم الشاعر أن يقول في موضوع الشاعر الذي يناقضه نفسه، وقافيته وبحره،

أما الروي فلم يكن يلتزم به، وكذلك لم يكن يلتزم بنقض معاني القصيدة، الواحد تلو الآخر، وإنما كان يكتفي بمحاولة نقض المعاني العامة التي ترد في قصيدة شاعر قريش.

ومعظم تلك النقائض ظهرت في ظل الأيام الإسلامية، وأبرز شعراء المسلمين الذين شاركوا في تلك النقائض هم حسان وكعب بن مالك .

أما شعراء قريش فهم أبو سفيان بن حرب وعمرو بن العاص وهبيرة بن أبي وهب وضرار بن الخطاب. ومعروف إن أهم ما يعتمد عليه الشاعر في نقائضه نقض المعاني التي ترد في قصيدة الشاعر الآخر، وهناك عدة طرق يسلكها الشاعر للوصول إلى هذا الغرض، منها التكذيب والمقابلة والقلب والتوجيه والوعيد والشماتة.

وقد سلك الشعراء المسلمون جميع هذه الطرق، مع غلبة عنصر الوعيد، لأنه أكثر تلك الطرق تأثيراً في المشركين.

وهكذا كان هذا الصراع سبباً في تفجر شاعري قريش، وظهور أكثر من جهة ساندت قريشاً ضد معسكر المسلمين، كشعراء القبائل وشعراء اليهود، وكان للمرأة دور بارز في تلك المعارك الكلامية، وأخيراً فقد أسفر هذا الصراع عن تبلور فن النقائض الشعرية وازدهار بذورها الصغيرة التي كانت موجودة قبل الإسلام.

الحواشي

(1*) طبقات الشعراء 217. والنائرة: الحقد والعداوة.

(2*) ابن هشام 2 / 400

(3*) انظر ابن هشام 2 / 212 و 227

(4*) م. ن.

(5*) م. ن 2 / 418

(6*) ابن هشام 2 / 255

(7*) م. ن. 2 / 10

(8*) ابن هشام 2 / 200

(9*) ابن هشام 2 / 272

(10*) ديوان حسان 194

(11*) ابن هشام 2 / 90

(12*) انظر ابن هشام 2 / 42

(13*) م. ن. 2 / 40

(14*) م. ن. 2 / 52

(15*) م. ن. 2 / 167

(16*) م. ن. 2 / 41 و 91

(17*) العقد الفريد 9 / 145

(18*) ابن هشام 1 / 500

(19*) الديوان 254.

القرآن والشعر

لو تتبعنا لفظة الشعر أو الشعراء في القرآن الكريم لوجدنا أنها وردت في ستة مواضع. في خمسة منها يحكى القرآن ما حاول كفار قريش أن يلصقوه برسول الله ﷺ اتهامات باطلة، وصفات طائشة كاذبة.

فبعد أن استمعوا إلى آياته، أحسوا بروعة بيانه، وبما له من تأثير في العقول، وسيطرة على النفوس. وراحوا يتخبطون في وصفه، ولم يثبتوا على صفة معينة ينعتون بها من نزل عليه القرآن. وحاولوا أن يعللوا أثره المزلزل في النفوس، ولكنهم عجزوا فبدءوا يتنقلون من ادعاء إلى ادعاء، وفي تعليل إلى تعليل آخر، حائرين غير مستقرين. «بل قالوا أضغاث أحلام، بل افتراء، بل هو شاعر، فليأتنا بآية-كما-أرسل الأولون».(1*)

ورد القرآن على هذه الافتراءات التي حاول المشركون أن يفسروا الوحي فنفي ما ادعوه من وصف النبي بأنه شاعر، ووصف القرآن الذي نزل عليه بأنه شعر.

«وما علمناه الشعر، وما ينبغي له، أن هو إلا ذكر وقرآن مبين، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين»(2*) يعني أن القرآن هو كلام الله-

عز وجل-، وهو الحق الذي لا يشوبه باطل، والصدق الذي لا يخالطه كذب،
حكمة بالغة منزهة عن قول الشعراء. (3*)

وما كان ليخفى على كبراء قريش، وهم أئمة القول والبيان، إن الأمر
ليس كذلك، وإن ما جاءهم به محمد- صلى الله عليه وسلم- قول غير معهود
في لغتهم، وما كانوا من الغفلة بحيث لا يفرقون بين القرآن والشعر.
فحين قال المشركون للوليد بن المغيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم
: نقول إنه كاهن. قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو-
بزمزمة الكاهن ولا سجع، قالوا: فنقول مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد
رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا:
فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه ،
وقريضه ومقبوضه وبسيطه، فما هو بالشعر. (4*)

وقد روي في إسلام أبي ذر الغفاري أنه قال له أخوه أنيس، وكان
شاعرا: لقد لقيت رجلا على دينك، يزعم أن الله قد أرسله، يسمونه الصابي،
قال أبو ذر: ما يقول الناس؟ يزعمون أنه كاذب، وأنه ساحر، وأنه شاعر،
وقد سمعت قوله،-والله ما هو بقولهم، وقد سمعت قولهم، والله أنى لأراه
صادقا. (5*)

وفي رواية: لقد وضعت قوله على إقراء الشعر (قوافيه) فلا يلتئم على
لسان أحد، أي على طرق الشعر وبحوره. (6*)
فوصف الرسول بالشعر إنما كان طرفا من حرب الدعاية التي شنوها
على الدين الجديد وصاحبه في أوساط الجماهير، معتمدين فيها على
جمال النسق القرآني المؤثر، الذي قد يجعل الجماهير تخلط بينه وبين
الشعر إذا وجهت هذا التوجيه. (7*)

وهكذا جاءت لفظة الشعر هنا في معرض نفي ادعاء المشركين. ونفى
لياقته برسول الله- صلى الله عليه وسلم- لاختلاف منهجه عن منهج النبوة.
ووردت هذه اللفظة في موضع آخر في القرآن على لسان المشركين
أيضا، حين تقولوا على رسول الله فنعتوه-بلا بينة- بالشعر والجنون «ويقولون
أئن تاركو آلهتنا لشاعر مجنون، بل جاء بالحق وصدق المرسلين». (8*)

ووصفوه بالشعر مرة أخرى أيضا «أم يقولون شاعر نتربص به ريب
المنون». (9*) ويأتي رد القرآن حاسما على هذه النخر صات وتلك التقوللات،

فينفي عن القرآن شبهة الشعر التي أثاروها «فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون، انه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون».(10*)
 إن هذه الآيات التي أوردناها إنما جاءت لتصور موقف المشركين إزاء القرآن وتأثيره في النفوس، ثم للرد على تفسيراتهم، ولتأكيد إن القرآن وحي من الله تنزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، فجميعها إذن مسوقة لتنزيه الرسول-صلى الله عليه وسلم-عن إن يكون من الشعراء، ولإبطال زعم المشركين إن القرآن من قبيل الشعر كما أوضح جميع المفسرين.

إن القرآن لم يتحدث في هذه الآيات عن الشعر من حيث هو فن من القول يجوز للمسلم أن يتعاطاه أو يحرم ذلك عليه، وإنما أورد لفظة الشعر أو الشاعر للتعريف بنفسه، وللتفريق بينه وبين الشعر فحسب.

ومن واديه تماما، تأكيد القرآن لأمية محمد-صلى الله عليه وسلم-دفعاً للاتهام بأنه قرأ الكتب السماوية، ونسج على غراها «وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخطه بيمينك، إذا لارتاب المبطلون»(11*) ولم تعن أمية الرسول، وتقرير القرآن لهذه الأمية إن الدين الإسلامي يحض على الأمية، ويكره العلم.(12*)

وموقف الإسلام من تشجيع العلم معروف لا يحتاج إلى تفصيل.

أما الوضع الذي تناول فيه القرآن كلمة الشعر من حيث هو فن يمكن أن يستخدم في مواطن الخير أو الشر، فقد جاء ذلك في قوله تعالى: «والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعد ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».(13*)

إن القرآن لم يحارب الشعر لذاته في هذه الأحكام، وإنما حارب المنهج الذي سار عليه الشعر والشعراء، منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها، ومنهج الأحلام المفهومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها.(14*)

لذلك جاء وصف الشعراء في القسم الأول من هذه الأحكام بأنهم يجاريهم ويسلك مسلكهم، ويكون في جملتهم الغاؤون الضالون عن سنن الحق، الحائرون فيما يأتون ويذرون، ولا يستمرون على وتيرة واحدة في الأفعال والأقوال، وانهم في كل لغو يخوضون «ألم تر أ نهم في كل واد

يهيمون» وفي كل فن ينظمون، وهم يعملون خيالهم في كل الموضوعات بدون تمييز.

قال الحسن البصري: قد والله رأينا أوديتهما التي يخوضون فيها، مرة في شتيمة فلان، ومرة في مديحه فلان.

وقال مقتادة: الشاعر يمدح قوماً بباطل، ويذم قوماً بباطل «وانهم يقولون ما لا يفعلون» فهم يتبحجون بأقوال وأفعال لم تصدر عنهم، فيتكاثرون بما ليس لهم.

ولهذا اختلف العلماء فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حداً، هل يقام عليه الحد بهذا الاعتراف أم لا ؟ لأنهم يقولون ما لا يفعلون. وقد روي إن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-استعمل النعمان ابن عدي على ميسان من أرض البصرة، وكان يقول الشعر، فقال:

من مبلغ الحسناء إن خليلها

بميسان يسقى في زجاج وحنتم

إذا شئت عنتني دهاقين قرية

وصناجة تجثو على كل منسم

فان كنت ندمان فبالأكبر اسقني

ولا تسقني بالأصغر المتثلّم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه

تنادمنا في الجو سق المتهدم (*) (15)

فلما بلغ ذلك الخليفة عمر قال: أي والله أني ليسويني ذلك.

ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته، وكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من العزيز العليم . غافر الذنب، وقابل التوبة . شديد العقاب . ذي الطول . لا اله إلا هو . إليه المصير .

أما بعد: فقد بلغني قولك:

لعل أمير المؤمنين يسوؤه

تنادمنا في الجو سق المتهدم

وأيم الله . انه ليسوؤني وقد عزلتك .

فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر . فقال: والله يا أمير المؤمنين ما

شربتها قط . وما ذاك الشعر إلا شيء طفع على لساني .

فقال عمر: أظن ذلك، ولكن والله لا تعمل لي عملاً أبداً، وقد قلت ما قلت، فلم يذكر أنه حده على الشراب مع تصريحه بذلك في شعره، لأن الشعراء يقولون ما لا يفعلون.^(16*)

وقيل: إن هذه الآية نزلت في شعراء المشركين عبد الله بن الزبيري، وهبيرة بن أبي وهب، ومسا فع بن عبد مناف، وأبى عزة أجمحي، وأمّية بن أبي الصلت قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وكانوا يهجونه، ويجتمع إليهم الأعراب، يستمعون إلى أشعارهم وأهاجيهم، ولذلك فهم الغاوون الذين يتبعونهم.^(17*)

وبعد أن ينتهي القرآن من تقرير هذه الصفات للشعراء المشركين ومن والاهم، يعود ليستثني الشعراء المؤمنين الصالحين، فبعد أن نزلت «والشعراء يتبعهم الغاوون» توجه حسان بن ثابت وعبد الله ابن رواحه وكعب بن مالك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يبكون. قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية، أنا شعرا، فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» قال: انتم. «وذكروا الله كثيرا» قال: انتم. «وانتصروا من بعد ما ظلموا» قال: انتم.^(18*)

ويمكن أن ينسحب حكم هؤلاء الثلاثة على كل من كان على صفته التي وصفهم الله بها.

وأوضح الزمخشري المرادين بهذه الصفات فقال: هم المؤمنون الصالحون الذين يكثر ذكر الله، وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة، وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطفون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم^(19*)، وليس لمصلحتهم الذاتية وأهوائهم الشخصية، ولا انتصارا لقبائلهم أو جنسهم، وإنما هو انتصار للحق وللقيم التي ينبغي أن يسخروا لها قبايليهم ويجنّدوا أعلامهم، فالؤمن من يجاهد بسيفه ولسانه. وبعد هذا العرض يمكن أن نستنتج أن القرآن قد ميز بين فريقين من الشعراء.

فريق استغل فنه فيما ينافي هدى الدين وآدابه، فهو الفريق المعيب

الذي حاربه القرآن، وفريق اتجه بشعره إلى العمل الخير الجميل، وإلى نصرة الحق أنى وجد، فهو الفريق الذي أخرجته من ذلك الوصف العام، وأيده بكل قوة.

فالقضية إذن فيما يتناول الشعراء من المعاني والأغراض، وليست في الشعر ذاته، لأنه سلاح ذو حدين. قال الرسول صلى الله عليه وسلم : إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه. (20*)

الحواشي

- (1*) سورة الأنبياء آية 5
- (2*) سورة يس آية 69- 70
- (3*) الزينة في الكلمات الإسلامية / 1 / 98 .
- (4*) الروض الأنف / 1 / 173
- (5*) الإصابة في تمييز الصحابة / 1 / 88
- (6*) لسان العرب . مادة (قرأ)
- (7*) في ظلال القرآن 23 / 4 3
- (8*) سورة الصافات: آية 36 و 37
- (9*) سورة الطور: آية 29 ر 31
- (10*) سورة الحاقة: آية 39 و 42
- (11*) سورة العنكبوت: آية 48
- (12*) قيم جديدة: 68
- (13*) سورة الشعراء: آية 4 22 - 272 .
- (14*) انظر في ظلال القرآن 19 / 120
- (15*) حنيتم أنية خضر من نوع جيد من الفحا . ألد قان: رئيس الفلاحين بين الأعاجم وتستعمل بمعنى الماهر الحاذق . المنسم: القدم الجوسق: القصر .
- (16*) طبقات ابن سعد 4 ق 103 / 1
- (17*) تفسير الكشاف / 2 / 440
- (18*) تفسير ابن كثير 3 / 352
- (19*) الكشاف / 2 / 441
- (20*) العمدة / 1 / 27

الرسول ﷺ والشعر

ولد الرسول ﷺ في الجزيرة العربية، ونشأ وترعرع بين قوم يعدون الشعر ديوان فضائلهم، وسجل مفاخرهم، ووسيلة تخليد مآثرهم، قوم يعشقون الكلمة الحلوة، ويطربون لسماع اللحن العذب، ويقيمون الأسواق والمواسم تحقيقاً لمتعة سماع الشعر.

فهو لهم جيلة فطروا عليها، وسجية متأصلة في نفوسهم، يولد معهم ويعيش في داخلهم ويجري على ألسنتهم، فلا غرو أن يقول هذا الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين. (*)

ومن هنا كان تأثر محمد-صلى الله عليه وسلم بالشعر، وعنايته به، واستماعه له، شأنه في ذلك شأن أي عربي آخر، إذ لا تناقض بين الرسالة وبشرية الرسول من حيث استجابته للشعر (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي).

وقد كان قبل النبوة يحضر مع والدته سوق عكاظ لسمع الشعر، فقد روى أنه سمع الشاعر عمرو بن كلثوم وهو بعكاظ ينشد معلقته المشهورة. (**)

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: كان الشعر

أحب إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام .^(3*)
ولذلك كان أدق فهما، وأكثر إدراكا لمقاصد الشعراء فقد روى السكري
أن النبي-صلى الله عليه وسلم- لما سمع قول كعب بن زهير:

وجناء في جرتيها للبصير بها

عتق مبين وفي الخدين تسهيل

قال لأصحابه: ما جرتها؟ فقال بعضهم: العينان. وسكت بعضهم .

فقال النبي: هما أذناها، نسبهما إلى الكرم.^(4*)

وكان يتوق إلى معرفة كيفية جريان الشعر على لسان الشعراء، ولذلك
نراه يسأل شاعرة عبد الله بن رواحه: ما الشعر؟ فيجيبه ابن رواحه: شيء
يختلج في صدر الرجل، فيخرجه على لسانه شعرا.^(5*)

الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء:

وقد وصل إلينا كثير من الأحاديث النبوية، يتحدث فيها النبي عن الشعر
والشعراء، من ذلك قوله: «إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكما»
تعليقا على أبيات العلاء بن الحضرمي التي قال فيها:

وحي ذوي الأضغان تسب قلوبهم

تحيتك الحسنى فقد يرقع النعل

فان دحسوا بالكره فاعف تكorma

وان اخنسوا عنك الحديث فلا تسل

فان الذي يؤذيك منه استماعه

وان الذي قالوا واءك لم يقل^(6*)

وفي تعليق رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إعجاب بحكمة الشاعر،
وإقرار بسحر بيانه، وتوضيح لتأثير الشعر وأسرره.

وقد روي الحديث بصورة أخرى تعطي الشعر قيمة توضيحية لمواطن
استعمال الكلمات، فقد روي «إن من الشعر لحكمة، فإذا ألبس عليكم شيء
من القرآن فالتمسوه في الشعر، فانه عربي».^(7*)

وثمة حديث يبين منزلة الشعر، حيث يقول: الشعر بمنزلة الكلام، حسنه
كحسن الكلام، وقبيحة كقبيح الكلام.^(8*)

وانطلاقا من هذا الحديث وصلت إلينا أكثر من حادثة تبين سنة رسول الله ﷺ
م-حين كان يرى خروج الشعراء. على القيم والمفاهيم الإسلامية الجديدة،

أو أي عودة منهم إلى ما كانوا عليه . من قيم ومفاهيم الجاهلية، حيث كان ينكر عليهم ذلك، ويوجههم نحو الصحيح من القول، والحسن من الكلام، بمقياس إسلامي جديد .

فعندما يسمع كعب بن مالك يقول:

مدافعنا عن جذ منا كل فخمة

مدربة فيها القوانس تلمع

ينكر عليه اتجاهه نحو العصبية القبلية، التي هي من آثار الجاهلية، ويطلب إليه أن يبدل كلمة (جذمنا) بكلمة (ديننا)، ويفعل ذلك كعب، وينشر صدره فرحا هذه الملاحظة القيمة .(*)9-

و حين يفد النابغة الجعدي وينشده قوله:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا

وإنا ل نرجو فوق ذلك مظهرا

ويحس النبي صلى الله عليه وسلم بتوجه الشاعر نحو الأسلوب الجاهلي في الفخر، يقول له: إلى أين يا أبا يعلى ؟ فيقول النابغة: إلى الجنة . فيقول له النبي مغتبطا بهذه الروح الجديدة: إن شاء الله .(*)10 ولما انشده ابن رواحة قوله

فخبروني أثمان العباء متى

كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

قال ابن رواحة: فكأنني عرفت في وجه رسول الله-صلى الله عليه وسلم- الكراهية، إن جعلت قومه أثمان العباء، فقلت على الفور:

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم

فينا النبي وفيينا تنزل الصور (*)11

فعاد رسول الله ﷺ - إلى طبيعته ورضاه .

ولما انشد كعب بن زهير أميته المشهورة ووصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الهند مسلول

قال له: من سيوف الله . فأصلحها كعب .(*)12

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة على أسلوب توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم لشعرائه، لينسجموا في ألفاظهم وأساليبهم مع الإسلام، ونتقل

إلى لون آخر من توجيهااته لهم ، حيث كان يوجه شعراء الهجاء إلى أسلوب يجنبهم تعميم الهجاء على قوم المهجو وقبيلته، ويجعلهم يلتزمون الدقة فيما يقولون حيث يقول لهم:-

إن اعظم الناس عند الله فرية لرجل هاجي رجلا فهجا القبيلة بأسرها. (13*)

ويقول لهم في توجيه آخر شبيه بهذا التوجيه: اعظم الناس فرية اثنان، شاعر يهجو القبيلة بأسرها ، ورجل انتفى من أبيه. (14*)

ومن الألوان الأخرى لتوجيهاته شعراء الإسلام عندما كان يجيد هؤلاء الشعراء في قولهم ويحسنون في منطقهم، يجد ذلك صدام عند الرسول- صلى الله عليه وسلم، ويعبر لهم عن استحسانه، بأساليب مختلفة، فحين انشده النابغة الجعدي قوله:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له

بوادر تحمى صفوه إن يك درا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له

حليم إذا ما أورد الأمر اص درا

دعا له بالخير بعد أن استجد قوله فقال له: أجدت، لا يفضض الله فاك. ويقال: انه عاش مائة وثلاثين سنة لم تفضض له سن. (15*)
وينشده كعب بن مالك قوله:

جاءت سكينه كي تغالب ريبها

فليغلبن مغالب الغلاب

فيستحسن منه ذلك، ويقول له: لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا. (16*)

وفي رواية: يا كعب، ما نسي ربك، أو ما كان نسيا بيتا قلته، قال كعب: وما هو يا رسول الله ؟ فقال: انشد يا أبا بكر، فانشده البيت السابق. (17*)

وجاء رجل من بني ليث، فقال: ألا أنشدك ؟ قال: لا .

فانشده بعد الرابعة مدحك له، فقال: إن كان أحد من الشعراء أحسن فقد أحسنت (18*) .

وقال الشاعر ضرار بن الأزور: أتيت النبي ﷺ، فأنشدته:

خلعت القداح وعزف القيا
ن والخمر اشربها والشمالا
وكري المجبر في غمرة
وجهدي على المشركين القتالا
وقالت جميلة بددتنا
وطرحت اهلك شتى شمالا
فيا رب لا أغبن صفقة
فقد بعث أهلي ومالي بدالا
فقال النبي ﷺ: ربح البيع. وقيل: ما غبت صفقتك يا ضرار. (19*)
وقال ابن حبيب: أنشدت رسول الله-ﷺ- قول سحيم عبد بني الحسحاس
الحمد لله حمدا لا انقطاع له
فليس إحسانه عنا بمقطوع
فقال: احسن وصدق. وان الله ليشكر مثل هذا، وان سدد وقارب انه لمن
أهل الجنة. (20*)

ولم يقتصر استحسان الرسول على أشعار المسلمين، بل تجاوزها إلى ما
كان أمامه من أشعار الجاهليين التي تتفق ومثل ومبادئ الإسلام. فحين
أنشد منشد قول سويد بن عامر المصطلي أمام رسول الله صلى الله عليه
وسلم :

لا تأمن وان أمسيت في حرم
إن المنايا بجنبي كل إنسان
فكل ذي صاحب يوما يضارقه
وكل زاد وإن أبقيته فان
قال الرسول ﷺ: لو أدرك هذا الإسلام لأسلم. (21*)

وقال الحسن البصري: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: كلمة نبي
ألقيت على لسان شاعر: إن القرين بالمقارن مقتدى. (22*)
يريد البيت الذي صدره: عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه. وجاء عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال: اشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد. وفي
رواية: اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: الأكل شيء ما خلا الله
باطل. (23*)

وكان يعجب بقول عنترة:

ولقد أبیت علی الطوی وأظله

حتى أنال به كريم المأكـل

حتى انه جسد إعجابه بهذا الشاعر الجاهلي البطل بأن قال: ما وصف لي إعرابي قط، فأحببت أن أراه إلا عنترة. (24*)

وعندما انشد لديه قول أمية بن أبي الصلت:

زحل وثور تحت رجل يمينه

والنسر للأخرى وليث يرصد

قال: صدق، هكذا صفة حملة العرش. (25*)

وكثيرا ما كان يقول للسيدة عائشة رضي الله عنها: ما فعل بيتك ؟ أو بيت اليهودي ؟ فتقول:

وقد علل العلماء امتناع رسول الله عن قول الشعر ونظمه، بأنه لنفي الظنية التي حاول المشركون إلصاقها به.

قال الخليفة المأمون لأبي علي المنقري: بلغني انك أمي، وأنت لا تقيم الشعر، وانك تلحن في كلامك. فقال: يا أمير المؤمنين، أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه، والأمية وكسر الشعر فقد كان النبي أميا، وكان لا ينشد الشعر.

قال المأمون: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني فيك عيبا رابعا، وهو الجهل، يا جاهل إن ذلك في النبي فضيلة، وفيك وفي أمثالك نقیصة وإنما منع ذلك النبي لنفي الظنية عنه، لا لعب في الشعر والكتابة، وقد قال الله تعالى: وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك، إذا لارتاب المبطلون. (26*)

وعله آخرون بأن الشعر ضرب من الملاهي التي لا تصلح لرسول الله (ص). قال السيوطي: إن علماء العروض مجمعون على انه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع، إلا إن صناعة الإيقاع تقسيم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع، والإيقاع ضرب من الملاهي، لم يصلح ذلك لرسول الله ﷺ: ما أنا من بدد، ولا ألدد مني. (27*)

وتجسيدا لكل ذلك نجد الرسول ﷺ إذا أراد التمثل بالشعر رواه مكسورا،

فحينما أتاه العباس بن مرداس قال له: أنت القائل ؟

فأصبح نهبي ونهب العبيد

بين الأقرع وعيينة

فقال أبو بكر: بين عيينة والأقرع، فقال الرسول ﷺ: هما واحد، فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له». (28*) وكما مر بنا في إنشاده بيت طرفة وبيت عبد بني الحسحاس مكسورين أيضا.

وقد يكفي بذكر الكلمة أو الكلمتين من البيت، ليتمه الشاعر بعده، فحين استأذنه عبد الله بن رواحة في هجاء أبي سفيان بن الحارث، قال له: أنت الذي تقول: فثبت الله ؟ قال عبد الله: نعم، يا رسول الله، أنا الذي أقول:

فثبت الله ما أعطاك من حسن

تثبتت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال له: وأنت فعل بك مثل ذلك. ثم وثب كعب بن مالك فقال يا رسول الله، ائذن لي، فقال أنت الذي تقول: همت ؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول:

همت سخيئة أن تغالب ريبها

وليغلبن مغالب الغلاب

فقال: إن الله لم ينس ذلك لك. (29*)

أو قد يكفي بشطر واحد من البيت، روى أنه قال: اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. ثم سكت عن عجز البيت. (30*)

أو قد يطلب ممن يحضره أن يروي الشعر الذي يريد، فحين بلغه أن قوما نالوا أبا بكر بألسنتهم، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ليس أحد منكم آمن علي في ذات يده ونفسه من أبي بكر، كلكم قال لي كذبت. وقال لي أبو بكر صدقت، فلو كنت متخذا خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا. ث التفت إلى حسان فقال: هات ما قلت في وفي أبي بكر، فقال حسان: قلت يا رسول الله:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة

فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا إلى آخر الأبيات.
فقال رسول الله ﷺ: صدقت يا حسان، دعوا لي صاحبي. قالها ثلاثا. (31*)
وقالت السيدة عائشة: كان رسول الله كثيرا ما يقول:
ما فعلت أبياتك فأقول: أي أبياتي تريد، فإنها كثيرة ؟
فيقول: في الشكر فأقول: نعم بأبي أمي. قال الشاعر:
ارفع ضعيفك لا يحريك ضعفه
يوما فتدركه عواقب ما جنى
إلى آخر الأبيات. (32*)

وكان الرسول ﷺ يختزن في ذاكرته بعضا من أشعار الجاهليين التي
تدعو إلى الفضائل، ويتذكرها حين تنشأ إمامه. فقد جاء عن أبي وداعة
قوله: رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر عند باب، فمر رجل وهو يقول:
يا أيها الرجل المحول رحله
ألا نزلت بآل عبيد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم
منعوك من عدم ومن إقتار
فالتفت رسول الله إلى أبي بكر قائلاً: أهكذا قال ؟ قال أبو بكر: لا
والذي بعثك بالحق، ولكنه قال:

يا أيها الرجل المحول رحله
ألا نزلت بآل عبيد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم
منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين فقيرهم بغنيهم
حتى يعود فقيرهم كالكافي (33*)

وقد تحكي هذه الرواية أخذ رسول الله، صحابته بالتدريب على رواية
الشعر ومعرفتهم صحيحه من غيره.

ولم يجر على لسان رسول الله مما صح وزنه إلا البيت من الرجز
المنهوك والمشطور، فقد ورد في كتب الحديث انه قال:

أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطالب

وارجاز أخرى في بناء مسجد المدينة، وفي حفر الخندق (34*) ومعروف أن الرجز ليس شعرا، بل هو وزن كأوزان السجع، ومنزلته بين الشعر والنثر، وأن الشطرين منه كالشطر من الشعر، حتى أن الخليل لم يعد المشطور منه شعرا (35*)

إباحة الرسول نظم الشعر، وسماعه له:

أباح رسول الله للشعراء نظم الشعر، واستحسن منهم ! ذلك، فكان يجالسهم ويصغي إليهم، ويستمع إلى ما ينشدون من أشعارهم أو يروون من أشعار الجاهليين.

قال جابر بن سمرة: جالست النبي (36*) أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذكرون أشياء من أمر الجاهلية، وهو ساكت فريما تبسم معهم (37*) وكان يستنشد الصحابة أشعار الجاهليين، ويستمع معهم إلى ذلك فقد روي أنه جلس في مجلس من الخرج، فاستنشدهم شعر قيس بن الخطيم، فأنشدوه بعض شعره. (38*)

ولم ير بأسا في أن يمتدحه الشعراء، لأنهم في مدحه إنما كانوا يجسدون المبادئ التي جاء بها.

قال حريم بن أوس الطائي: قدمت على رسول الله (ص) منصرفا من تبوك فسمعت العباس عمه يقول: يا رسول الله، أني أريد أن امتدحك.

فقال النبي (ص): قل لا يفضض الله فاك، فأنشأ يقول:

من قبلها طبت في الظلال وفي

مستودع حيث يخصف الورق

في أبيات طويلة. (39*)

وقد وافق على أن ينظم الشعراء مواعظه وأحاديثه شعرا، تسهيلا لحفظها، وطالما استأذنه الشعراء في ذلك، فأذن لهم واستمع إلى أشعارهم بعد نظمها.

روت السيدة عائشة قائلة: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: إنما مثل أحدكم ومثل ماله ومثل عمله ومثل أهله كمثل رجل له ثلاثة أخوة فقال لأخيه الذي هو ماله حين حضره الموت: قد نزل بي ما ترى فما عندك ؟ قال: مالك عندي غنى، ولا نفع إلا ما دمت حيا، فان فارقتني ذهب بي إلى غيرك.

فالتفت النبي ﷺ فقال:

أي أخ ترونه ؟ قالوا : ما نرى طائلا . قال : ثم التفت لأخيه الذي هو أهله . فذكر نحوه فقال : أقوم عليك فأمرضك ، فإذا مت غسلتك ، وكفنتك وحملتك ودفنتك ، ثم ارجع فأخبر عنك من سأل . قال : فأني أخ هذا ؟ قالوا : ما نرى طائلا .

ثم قال لأخيه الذي هو عمله نحوه فقال : اتبعك إلى قبرك وأقيم معك ، وأونس وحشتك ، واقعد في كفنك فلا أفارقك . قال : فأني أخ هذا ؟ قالوا : خير أخ .

قال فقام عبد الله بن كرز الليثي فقال : أي رسول الله ، أتأذن لي أن أقول على هذا شعرا ؟ فقال هذا شعرا ؟ فقال : نعم . قال : فبات ليلته ، وغدا فقام على رأس رسول الله ﷺ ، فقال :

إني ومالي والذي قدمت يدي
كراع إليه صحبة ثم قائل
لأصحابه اذهبم ثلاثة أخوة
أعينوا على أمري الذي بي نازل

الآبيات

قال : فما بقي عند النبي ﷺ ذو عين تطرف إلا دمعت عيناه . (40*)
وقال قيس بن عاصم : وفدت مع جماعة من بني تميم ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، وعنده الصلصال بن ألد لهمس . فقلت : يا رسول الله عظنا عظة ننفع بها ، فوعظنا موعظة حسنة . فقلت : احب أن يكون هذا الكلام أبياتا من الشعر ، نفتخر به على من يلينا وندخرها نعلمها أولادنا فأمر من يأتيه بحسان .

فقال الصلصال : يا رسول الله قد حضرتن أبيات احسبها توافق ما أراد قيس . فقال : هاتها . فقال :

تجنب خليطا من مقالك إنما
قرين الفتى في إنما القبر ما كان يفعل
ولا بد بعد الموت من أن تعده
ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
وان كنت مشغولا بشيء فلا تكن
بغير الذي يرضى به الله تشغل

ولن يصحب الإنسان من قبل موته
ومن بعده إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله

يقيم قليلا بينهم ثم يرحل (41*)

وكان الرسول ﷺ يستعين بسماع الشعر على قطع المسافات في السفر،
فيطلب من يحدو وينشده، وهو يستمع إليه بكل جوارحه مطربا .

كان في ليلة على سفر، فقال: أين حسان ؟ فقال حسان: لبيك يا رسول
الله، وساعدك. قال: أحد . فجعل حسان ينشد والنبي يصغي إليه، فما زال
يستمتع له وهو يسوق راحلته حتى كاد رأس الراحلة يمس الورك، طربا
لنشيده، فلما فرغ، قال له الرسول: لهذا اشد عليهم من وقع النبل. (42*)
وكان يوما في مسير له، فقال لسلمة بن ألا كوع: انزل فهات من
هناتك. (43*) فنزل سلمة يرتجز ويقول:

لم يغذها مد ولا نصيف

ولا تميرات ولا تع جيف (44*)

لكن عزاها اللبن الخريف

المحض والقارص والصرف (45*)

وروى عمرو بن الشريد عن أبيه قال: رادفت وراء النبي ﷺ، فقال: هل
معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت: نعم . قال: هيا فأنشدته
بيتا، قال: هيا . حتى أنشدته مائة بيت، فقال، لقد كاد يسلم في شعره. (46*)
وسمع رسول الله ﷺ يوما جارية لحسان بن ثابت تغني بالشعر وتلهو،
فتبسم ولم ير حرجا في ذلك. (47*)

الاستشفاع بالشعر بين يدي الرسول ﷺ:

وعرف الشعراء ما للشعر من تأثير في نفس الرسول ﷺ وقلبه، فاتخذوا
منه وسيلة يستشفعون بها عنده، وكان يستجيب لهم، فينصر مستنصرهم
ويغيث مستغيثهم ، ويتقب من معذرهم، ويرق لمتألمهم.

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على قبيلة خزاعة، وأصابوا منهم ما
أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق، بما
استحلوا من خزاعة وكانت في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخز
اعي، حتى قدم على رسول الله ﷺ وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف

عليه، وهو جالس في المسجد بين ظاهرائي الناس، فقال:-

يا رب إنني ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيه الأتلد
قد كنتم ولدا وكننا والدا
ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا
وادع عباد الله يأتوا مددا

فاستجاب له رسول الله، وقال: نصرت يا عمرو بن سالم، وفي رواية: لبيك لبيك ثلاثا. ثم عرض لرسول الله ﷺ سحاب من السماء، فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب. (48*)

ومن صور الاستغاثة ما روي عن عبد الله بن الأعور ألما زني انه كانت له زوجة يقال لها: معاذة، وحين خرج يميز أهله من هجر هربت زوجته ناشزا، وعاذت برجل يقال له مطرق، فجعلها خلف ظهره، فلما قدم زوجها لم يجدها في بيته واخبر أنها نشرت وعاذت بمطرق بن نهصل، وكان مطرق أعز منه، فخرج حتى أتى النبي ﷺ فعاذ به، وانشد يقول:-

يا سيد الناس وديان العرب
أشكو إليك ذرية من الذرب
كالذئبة العسراء في ظل السرب
خرجت ابغيها الطعام في رجب
فخالفتني بنزاع وهرب
أخلفت الموعد ولذت بالذنب
وهن شر غالب لمن غلب.

فقال النبي ﷺ: وهن شر غالب لمن غلب.

فكتب له إلى مطرق: انظر إلى امرأة هذا معاذة فادفعها إليه.

فأتاه بكتاب النبي، فقراء عليه، فقال لها: يا معاذة، هذا كتاب النبي ﷺ فيك، وأنا دافعت إليه، فقالت: خذ لي العهد والميثاق وذمة النبي، أن لا يعاقبني فيما صنعت. فأخذ لها ذلك ودفعها إليه. (49*)

وهكذا استغاث الشاعر بتلك الأبيات الرقيقة المؤثرة، فاستجاب له رسول الله لحسن أسلوبه ورقة شعره.

ومن صور الاعتذارات الشعرية حينما بعث رسول الله إلى حي من أحياء العرب، يقال لهم حي ذوي الأضغان، بشيء ليقسم في فقرائهم، فكان فيهم شيخ مسن يقال له قيس بن الربيع، فأعطوه شيئاً قليلاً، فغضب فهجا، ثم جاء إلى النبي معتذراً، فأنشده أبياته:-

وحي ذوي الأضغان تسب قلوبهم

تحيتك الحسنى وقد يرقع النعل

فإن الذي يؤذيك منه سماعه

وان الذي قالوا وراءك لم يقل

فطاب قلب النبي لحسن اعتذاره، وقال:- يا قيس، لم تقل، يا قيس لم تقل. وأقبل على أصحابه، فقال: من لم يقبل من متصل عذرا، صادقاً أو كاذباً، لم يرد على الحوض. (50*)

وقصيدة قتيلة بنت الحارث في عتاب الرسول على قتل أبيها مشهورة إذ قال الرسول ﷺ بعد سماعها: لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته. (51*)

الشعر في المعركة:

تحدثنا في موضع آخر عن دور الشعر في الصراع الذي دار بين مكة والمدينة في عصر النبوة، ونضيف هنا انه كان لشعر المشركين واليهود أثره الكبير في نفس الرسول، ونفوس المسلمين، وفي تعويق الدعوة، والتنفير منها، لما كان له من ذبوع وانتشار بين القبائل العربية، ولم تكن معظم القبائل خارج المدينة لتسمع عن الإسلام، أو تعرف عنه شيئاً إلا عن طريق ما يصل إليها من الشعر، هذا إذا استثيا بعض من كان يبعث بهم الرسول من دعاة الإسلام، وحتى هؤلاء، فإن الشعر القرشي كان يفسد عليهم عملهم ودعوتهم، لأنه صادر عن مكة، وهي مركز العرب الديني، والتجاري والثقافي، وعن قوم النبي، والمفروض انهم اعرف به وبدعوته من القبائل الأخرى.

ودعاء رسول الله على عمرو بن العاصي، الذي كان يهجو من قبل إسلامه ينم عن عمق الألم والمرارة التي كان يحس بها رسول الله من تلك الأشعار، فقد توجه إلى الله بقوله: اللهم إن عمرو بن العاص قد هجانى، وهو يعلم في لست بشاعر، اللهم فاهجه والعنه عدد ما هجانى. (52*)

لذلك قرر الرسول أن يفل من هذا السلاح الذي أراد المشركون أن

يتخذوا منه سلاحا ماضيا يشهرونه في وجه الدعوة الإسلامية، ويهدمون به كل ما يحاول أن يبينه الرسول، ليفوت عليهم غرضهم الذي كانوا يرمون إليه، ويوجهه إلى غير ما استعمله المشركون.

وانطلاقا من موقف القرآن الذي سبق أن وضعناها طلب الرسول ﷺ من الشعراء أن يردوا على قريش وينصروه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم فقال: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فأجابه إلى ذلك حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه، فانشرح صدر رسول الله لذلك، وطلب أن يردوا عنه شعراء قريش. فعندما قدم المدينة تناولته قريش بالهجاء فقال لابن رواحه رد عني. فذهب في قدمهم وأولهم فلم يصنع شيئا، فأمر كعب بن مالك، فذكر الحرب بقوله:-

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا

قدما ونلاحقها إذا لم تلحق

فلم يصنع في الهجاء شيئا، فدعا حسان بن ثابت فقال: اهجهم وأئت أبا بكر يخبرك أي بمصائب القوم- وكان أبو بكر علامة قريش في النسب. (53*)
كما روي أن الرسول ﷺ قال: ألا رجل يرد عنا؟ قالوا: يا رسول الله حسان بن ثابت، قال: اهجهم، والله هجاؤك اشد عليهم من وقع السهام في عبس الظلام، اهجهم واللق أبا بكر يعلمك الهنات. (54*)
وكان الرسول يدرك صعوبة أن يهجو الشاعر قريشا ولا يصيبه من ذلك شيء، فقال لحسان: اهجهم، وأني أخاف أن تصيبني معهم بهجة بني عمي.

قال: لأسلنا منهم سل الشعرة من العجين، ولي مقول يفري مالا تقريه الحرية، ثم أخرج لسانه، فضرب به أرنبة انفه كأنه لسان شجاع. (55*)
وأثنى الرسول على شعراء الإسلام، وقدر دورهم في محاربة المشركين ليشد من أزرهم، ويشجعهم على الاستمرار في ذلك النضال. فقال: هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل. (56*) وخاطب شعراء الإسلام: اهجوا بالشعر، أن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنما تتصحونهم بالنبل. (57*)

وخص حسانا بالعناية والرعاية أكثر من الشعراء الآخرين، لأثر شعره الكبير في المشركين، ولأنه كان اعظم شعراء الفريقين، فكان المشركون

يفرقون من لسانه، ويفزعون من شعره.

قال الرسول: أمرت عبد الله بن رواحه فقال واحسن، وأمرت كعب ابن مالك، فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأشفى. (58*)

وخطب حسانا: اهج المشركين، فان روح القدس معك، وقال له: إن روح القدس لا يزال يؤدوا ما نافحت عن الله ورسوله. (59*) وكان يقول له: هيج الغطا ريف على بني عبد مناف، والله لشعرك اشد عليهم من وقع السهام في عبس الظلام. (60*)

واضطر كثير ممن هجاهم حسان إلى الاستجارة برسول الله، فرارا من شعره، فلما هجا الحارث بن عوف المري وهو مشرك، بقوله:-

وأمانة المري حيث لقيته

مثل الزجاجة صدعها لم يجبر

قال الحارث للنبي: يا محمد، أجزني من شعر حسان، فوالاه لو مزج به البحر لمزجه. (61*) وظل الشعر سهاما يتداول المتحاربون في كل معارك الإسلام الأولى، فحين انهزم المشركون في يوم الأحزاب قال الرسول: إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم، وتسمعون منهم أذى ويهجونكم، فمن يحمي أعراض المسلمين ؟. (62*) فتهد إليه شعراء الإسلام، وقاموا بتلك المهمة خير قيام، مهتدين بقوله (ص): قولوا لهم مثل ما يقولون لكم. (63*)

وأتت أشعار المسلمين أكلها، وقطف المسلمون ثمارها اليانعة عندما أرهبت المشركين، وأدخلت الرعب والفزع في قلوبهم، حتى أسلمت قبائل بأسرها فرقا من تلك الأشعار.

فقد قدم نفر من مزينة على رسول الله، وفيهم خزاعي بن عبد نهم، الذي بايعه على قومه مزينة، ولما خرج إلى قومه لم يجدهم، كما ظن، فأبطأ عن الرسول، فدعا حسان بن ثابت، وقال له: اذكر خزاعيا ولا تهجه. فقال حسان أبياتا مطلعها:-

ألا ابلاغ خزاعيا رسولا

بأن الذنوب يغسله الوفاء

فقام خزاعي فقال: يا قوم خصكم شاعر الرجل، فأنشدكم الله. قالوا: فأنا لا ننبو عليك، واسلموا ووفدوا على النبي، وكان عددهم

أربعمائة. (64*)

وأعلنت قبيلة دوس إسلامها فرقا من قول كعب بن مالك:-

قـضـيـنـا مـن تـهـامـة كـل رـيـب

وخيبر ثم اجمعنا السيوف

نخيرها ولو نطق لقال

قواطعهن: دوسا أو ثقيفا

فقال دوس: انطلقوا، فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بتثقيف. (65*)

الأشعار التي نهى رسول الله عن روايتها:-

وأخيرا ثمة أشعار بعينها يذكر المؤرخون. إن رسول الله قد نهى عن

روايتها. وهذه الأشعار لا تتجاوز نصين شعريين فقط، هما قصيدة أمية بن

أبى الصلت التي يرثي فيها من أصيب من قريش يوم بدر، وهي في واحد

وثلاثين بيتا، أثبتها ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق وعقب عليها بقوله:

تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله (66*). ولم يذكر نهى

رسول الله عن روايتها. و مطلعها:-

ألا بكيت على الكرام

بني الكرام أولى الممادح (66*)

ولو كان الرسول قد نهى عن إنشادها، فكيف وصلت إلى ابن اسحق،

فدونها ثم دونها من بعده ابن هشام، ولماذا أهملنا الإشارة إلى هذا النهي لو

كان موجودا ؟ علما انهما كانا يعلقان على النصوص في قضايا اقل بكثير

من هذه القضية.

أما النص الثاني فهو قصيدة الأعشى في هجاء علقما بن علاثة، ومدح

عامر بن الطفيلي، والتي مطلعها:-

علقم ما أنت إلى عامر

الناقض الأوتار والواتر

يقال: أن النبي ﷺ قال لحسان: يا حسان، أنشدنا من شعر الجاهلية ما

عفا الله لنا فيه، فأنشده حسان قصيدة الأعشى في علقما. فنهى النبي

حسان من تلاوتها. وقال له: لا تعد تشدني هذه القصيدة. فقال: يا رسول

الله، تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر؟

فقال: إن قيصر سأل أبا سفيان عني فتناول مني، وسأل علقما فأحسن

القول، فإن اشكر الناس للناس اشكرهم لله تعالى. (67*) قال البغدادي: ذكر إن النبي رخص في الأشعار كلها إلا هاتين الكلمتين كلمة أمية بن أبي الصلت في أتهل بدر، وكلمة الأعشى في علقما بن علاثة. (68*)

من أهدر رسول الله ﷺ دمه من الشعراء:

روت كتب التاريخ والسيرة أن النبي ﷺ أهدر دم بعض الشعراء من المشركين واليهود، ممن حارب الإسلام بلسانه وسلاحه، فأذى الرسول والمسلمين، ومع ما لموقف رسول الله ﷺ من هؤلاء الشعراء من دلالة على سلطان الشعر وتأثيره على العرب، فإن هؤلاء الشعراء لم تكن جريمتهم قول الشعر المناوئ للإسلام فحسب، بل لمواقفهم العدائية من الدعوة، ومحاربتهم لها بكل الوسائل، مع ارتداد بعضهم إلى الكفر بعد الإسلام، أو ارتكاب جريمة القتل من قبل البعض الآخر، كما سنفصل ذلك في هذا الموضوع.

والشعراء الذين نفذ فيهم حكم رسول الله ﷺ وأريق دمائهم فعلاً، هم أبو عفك أحد بني عمرو بن عوف، وكان قد نجم نفاقه حين قتل الرسول ﷺ الحارث بن سويد بن صامت، فقال:-

لقد عشت دهرا وما إن أرى

من الناس دارا ولا مجمعا

أبرعهودا وأفني لمن

يعاقد فيهم إذا ما دعا

فصدعهم راكب جاءهم

حلال حرام لشتى معا

من أولاد قويل في جمعهم

يهد الجبال ولم يخضعوا

فلو إن بالعز صدقتم

أو الملك تابعتهم تبعا

فقال رسول الله ﷺ من لي بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم بن عمير فقتله. (69*)

وعبد الله بن خطل القرشي الأدرمي، كان شاعرا، وإنما أمر الرسول بقتله لأنه كان مسلما، فبعته الرسول مصدقا، وبعث معه رجلا من الأنصار،

وكان معه مولى يخدمه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً، أمر المولى أن يذبح له تيساً، فيصنع له طعاماً، فنام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً.

وكان له قرينتان، فرتنى وصاحبتهما، وكان يأمرهما بأن تغنيا بهجاء الرسول فأهدر الرسول دمه، فقتله أبو برزة الأسلمي^(70*).

وقيس بن صبابة الكنانة، قدم من مكة مسلماً فيما يظهر، فقال: يا رسول الله جئتكم مسلماً، وجئتكم اطلب دية أخي، قتل خطأ، فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتداً، فقال في شعر له:-

شفى النفس إن قد مات بالقاع مسندا
تضرج ثوبيه دماء الأخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله
تلم فتحميني وطاء المضاجع
حالت به وتري وأدركت ثؤرتي
وكننت إلى الأوثان أول راجع
ثأرت به فهرا وحملت عقله
سراه بنني النجار أرباب فارع
فأمر الرسول بقتله، لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مشركاً.^(71*)

وأبو عزة اجمحي، كان هجا رسول الله ﷺ فأسر يوم بدر كافراً، فقال: يا رسول الله، اني ذو عيال وحاجة قد عرفتها، فامنن علي من الله عليك. قال: نعم. على أن لا تعين علي-يريد بشعره-قال: نعم. فعاهده و أنطلق سراجه ثم قال:-

ألا ابلاغاني النبي محمدا
بأنك حق والمليك حميد
ولكن إذا ذكرت بدرا وأهلها
تأوه مني اعظم وجلود
فعاد في هجائه. ثم اسر بعد يوم أحد، فقال: يا رسول الله: من علي، من الله عليك.

فقال الرسول ﷺ: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول:

إني خدعت محمدا مرتين. اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فاضرب عنقه. (72*)

وعصماء بنت مروان، كانت شاعرة، ولما قتل أبو عفة نافقت وقالت أشعارا تعيب الإسلام و أهله، ومن تلك الأشعار قولها:-(73*)

باست بنى مالك والنبيت

وعوف وباست بنى الخزرج

أطعمتم أتأوي من غيركم

فلا من مراد ولا مذ حج (74*)

ترجونه بعد قتل الرؤوس

كما يرتجى مرق المنضج

ألا انف يبتغي غرة

فبقطع من أمل المرتجى

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك، ألا أخذ لي من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك من قول رسول الله عمير بن عدي الخطمي، وهو عنده، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله، إني قد قتلتها. فقال له الرسول: نصرت الله ورسوله يا عمير. (75*)

وكعب بن الأشرف اليهودي، كان يحرض على رسول الله ﷺ، وينشد الأشعار في ذلك، ويبيكي قتلى المشركين، ويشبب بنساء النبي ونساء المسلمين، وكان يقول، بعد قتل المشركين في بدر:-

لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم، لبطن الأرض خير من ظهرها. فأهדר رسول الله دمه، وقال: اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت، في إعلانة الشر، وقوله الأشعار، ثم قال: من لي بابن الأشرف فقد آذاني ؟ فقال محمد بن مسلمة: به يا رسول الله. وأنا اقتله.

قال: فافعل. فخرج في بعض أصحابه فقتله. ولما جاءت اليهود رسول الله تشكو قتله، قال لهم: لو فر كما فر غيره ممن هو على مثل رأيه ما

اغتيال، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر، ولم يفعل ذلك أحد منكم إلا كان السيف^(76*)

وأبو رافع سلام بن أبي الحقيق، شاعر يهودي، كان فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، فاستأذن الأنصار رسول الله في قتله وهو بخير، فأذن لهم، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرج إليه خمسة نفر منهم، فقتلوه وهو في داره.^(77*)

وقال حسان بن ثابت في هذين الشاعرين اليهوديين شعرا هو: ^(78*)

لله در عصابة لا قيتهم
يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف
يسرون بالببيض الخفاف إليكم
مرحاً كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم
فسقوكم حتفاً بببيض ذفف
مستنصرين لنصردين نبيهم
مستصغرين لكل أمر مجحف ^(79*)

هؤلاء هم الشعراء الذين أهدر رسول الله دماءهم، ونفذ فيهم حكمه. أما من أهدر دماءهم ولم ينفذ فيهم الحكم لهربهم، أو لتوبتهم، فهم: هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وهو من فرسان قريش وشعرائها كان يهجو الإسلام والمسلمين، فأهدر النبي دمه، فهرب إلى نجران حتى مات بها كافراً.^(80*)

وأسيد بن أبي أناس كان يهجو رسول الله ﷺ وحين قدم قومه إلى رسول الله ﷺ ليعلنوا إسلامهم هرب، فقال قومه للرسول: يا رسول الله، إن اسيد بن أبي أناس هرب، وتبرأنا منه إليك، وقد نال منك فأباح رسول الله دمه. ولما كان عام الفتح كان اسيد فيمن أهدر دمه، وحين أخبر بذلك قدم إلى رسول الله فقال: يا محمد أنذرت دم اسيد؟ قال: نعم. قال: أقتبل منه إن جاءك مؤمناً؟ قال: نعم. فوضع يده في يد النبي (ص) فقال: يا محمد، هذه يدي في يدك، أشهد أنك رسول الله، وإن لا إله إلا الله. فأمر الرسول رجلاً يصرخ، إن اسيد بن أبي أناس قد آمن. وقد آمنه رسول الله ﷺ.^(81*)

وكعب بن زهير بن أبي سلمى قصته معروفة، فقد خرج وأخوه بجير إلى

ابرق العزاف من جبال الدهناء. فقال بجير لكعب: اثبت لي في الغنم حتى آتي هذا الرجل-يعني النبي ﷺ-) فاسمع كلامه، واعرف ما عنده، فأقام كعب ومضى بجير، فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام فأسلم، واتصل إسلامه بأخيه كعب فقال:- (82*)

ألا بلغا عني بجيراً رسالة
فهل لك فيما قلت ويحك هل لك ؟
سقائك بها المأمون كأساً روية
وانهلك المأمون منها وعلكا (83*)
وفارقت أسباب الهدى واتبعته
على أي شيء ويب غيرك ذلكا ؟
على مذهب لم تلف أما ولا أبا
عليه ولم تعرف عليه أخاك ؟
فان أنت لم تفعل فلست بأسف
ولا قائل إما عثرت: لعالك (84*)

فاتصل الشعر برسول الله ﷺ، فأهدر دمه وقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله. فكتب بجير إلى كعب: النجاء النجاء، فقد أهدر رسول الله ﷺ دمك، وما أحسبك ناجياً.

ثم كتب إليه: إن رسول الله ﷺ ما جاء أحد قط يشهد أن لا إله إلا الله، وإن محمداً رسول الله إلا قبله، ولم يطالبه بما تقدم الإسلام، فأسلم وأقبل إلى رسول الله ﷺ. فلما ورد عليه كتابه توجه إلى رسول الله ﷺ. قال كعب: فأنخت راحلتي على باب المسجد، ودخلت المسجد، وعرفت رسول الله ﷺ بالصفة التي وصفت لي، وكان مجلس رسول الله ﷺ من أصحابه مثل وضع المائدة من القوم، يتحذلقون حول حلقة حلقة، فيقبل على هؤلاء فيحدثهم، ثم على هؤلاء فيحدثهم، فدنوت من النبي-عليه السلام-فقلت: اشهد أن لا إله إلا الله، وإن محمداً رسول الله. قال: من أنت ؟ قلت: كعب بن زهير. قال: الذي يقول ما يقول، ثم أقبل على أبي بكر فاستشده الشعر، فأنشد أبو بكر: «سقائك بها المأمون كأساً روية» فقلت: لم اقل هكذا، وإنما قلت:

سقائك أبو بكر بكأس روية
وأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله-عليه السلام-:-مأمون والله . فأنشد:

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول»

فكساه النبي-عليه السلام-بردة، اشتراها معاوية بن أبي سفيان من آل كعب بن زهير-بعده-بمال كثير، وهي البردة التي يلبسها الخلفاء في العيدين.^(85*)

والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، كان شاعرا شديدا للعداوة للرسول ﷺ والإسلام، شهد بدرًا مع المشركين، فانهزم فغيره حسان بأبيات، فاعتذر بأبيات هي من أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار. ومن هجائه للرسول ﷺ وتحريضه المشركين قوله عندما رثى أخاه أبا جهل في قصيدة طويلة:-

فيال لؤى دببوا عن حريمكم

وآلهة لا تتركوها لذي الفخر

توارثها أبأؤكم وورثتم

أواسيها والبيت ذو السقف والستر

فما لحكيم قد أراد هلاككم

فلا تعدروه آل غالب من عذر

وجدوا لمن عاديتهم وتوازوا

وكونوا جميعا في التآسي وفي الصبر^(86*)

قال ابن هشام: أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روي ابن اسحق لأنه نال فيهما من النبي ﷺ استأمنت له أم هانئ بنت أبي طالب النبي ﷺ فأمنه يوم الفتح وصفح عنه. وكانت إذ أمنت له قد أراد علي قتله، وحاول أن يغلبها عليه، فدخل النبي ﷺ منزلها ذلك الوقت. فقالت: يا رسول الله، ألا ترى إلى ابن أمي يريد قتل رجل أجرته. فقال الرسول: قد أجرنا من أجرت وآمنا من آمنت. فأمنه.^(87*)

الحواشي

- (1*) العمدة 1 / 30
- (2*) الأغاني 9 / 171 (طبعة ساسي)
- (3*) تفسير القرطبي 15 / 52
- (4*) شرح بانث سعاد 131
- (5*) شرح شواهد المغنى 1 / 293
- (6*) كنز العمال 2 / 78 ا و عيون الأخبار 2 / 8 ا
- (7*) اللسان مادة (شعر)
- (8*) الأدب المفرد 125 والدار قطني 490
- (9*) انظر ديوان كعب 223
- (10*) العقد الفريد 1 / 256 وشعر النابغة 51
- (11*) طبقات الشعراء 187
- (12*) شرح بانث سعاد 166
- (13*) صحيح الجامع الصغير 2 / 50
- (14*) م.ن. 1 / 352
- (15*) معجم الشعراء 195 والعقد الفريد 1 / 256
- (16*) ابن هشام 2 / 216
- (17*) ربيع الأبرار 2 / 261 (المخطوط)
- (18*) الإصابة 2 / 257
- (19*) أسد الغاية 3 / 52
- (20*) الإصابة 2 / 109
- (21*) الاستيعاب 3 / 400
- (22*) المرزبان 82
- (23*) صحيح الجامع الصغير 1 / 336, 338
- (24*) الأغاني 8 / 243 (طبعة الدار)
- (25*) الإصابة 1 / 134
- (26*) العقد الفريد 3 / 398
- (27*) الدد: اللهو واللعب. انظر لمزهر 2 / 291
- (28*) ابن هشام 2 / 294
- (29*) الأغاني 15 / 28
- (30*) اللؤلؤ والمرجان 586
- (31*) الديوان 355 (طبعة البرقوقى) 395 (طبعة د. حنفي)
- (32*) تاريخ دمشق 6 / 59 والعقد الفريد 5 / 275

- (33*) آمالي القالي 1 / 241
- (34*) انظر اللؤلؤ والمرجان 471
- (35*) الكشف 3 / 292
- (36*) تفسير الخازن 3/374
- (37*) الأغاني 3 / 7
- (38*) الاستيعاب 2 / 354
- (39*) الإصابة 2 / 354
- (40*) م. ن. 186 / 2
- (41*) تاريخ دمشق 4 / 291 والأغاني 4 / 6
- (42*) هناتك: أخبارك وأشعارك
- (43*) المد: المكيال. والنصيف: نصفه. التعجيف: الأكل دون الشبع
- (44*) شرح أدب الكاتب 391
- (45*) تفسير الخازن 3 / 374
- (46*) شرح شواهد المغنى 1 / 334.
- (47*) ابن هشام 3 / 294 والإصابة 2 / 529
- (48*) الاستيعاب 2 / 256
- (49*) الإصابة 3 / 236
- (50*) النص والقصيدة في الممتع ص 17 وفيه مصادره الكثيرة.
- (51*) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية 1 / 115
- (52*) طبقات الشعراء 180
- (53*) الممتع في علم الشعر وعمله 43
- (54*) سير أعلام النبلاء 2 / 368 والشجاع: الحية الذكر
- (55*) العمدة 1 / 31
- (56*) مسند أحمد 3 / 460
- (57*) الأغاني 5 / 143
- (58*) صحيح الجامع الصغير 2 / 209 و 339
- (59*) البيان والتبيين 1 / 273
- (60*) المحاسن والمساوي 430
- (61*) الأغاني 16 / 232
- (62*) العقد الفريد 6 / 154
- (63*) طبقات ابن سعد 2 / 57
- (64*) نكت الهميان 231
- (65*) ابن هشام 2 / 30
- (66*) الإصابة 2 / 496
- (67*) خزانة الأدب 2 / 43 (ط. بولاق)
- (68*) ابن هشام 2 / 636
- (69*) الطبري 3 / 59 و العمدة 1 / 23

- (70*) ابن هشام 2/293 أَلَا خَادِعُ: عروق القفا. الثَّوْرَةُ: الثَّارُ
- (71*) ابن هشام 2/ 104 ونسب قريش 397
- (72*) ابن هشام 2/ 367
- (73*) الأَتَاوَى: الغريب
- (74*) ابن هشام 2/ 637 ومعجم الشعراء 231
- (75*) إِمْتَاعُ الْأَسْمَاعِ 108/1 - 111
- (76*) ابن هشام 2/ 273
- (77*) م. ن 2/276
- (78*) مرحا: نشاطا. مغرف: ملتف الأغصان. ذفف: سريعة
- (79*) طَلَبَاتُ الشَّعْرَاءِ 65
- (80*) ابن عساكر 6/ 45
- (81*) شرح بانت سعاد 94 وابن هشام 2/ 502
- (82*) علکا: شريك الشربة الثانية
- (83*) لعا: إذا دعي للعائر بأن ينتعش قيل: لعا لك
- (83*) شرح بانت سعاد 93
- (85*) ابن هشام 2/ 10 والأواسي: جمع آسية، وهي ما أسس عليه البناء
- (86*) انظر دراسات في الأدب الإسلامي 9.

الأغراض الشعرية

عندما جاء الإسلام، وكثر اتباعه، كانت تعاليمه تدعوهم للخضوع إلى نظم خاصة، وقوانين شاملة لكل ألوان الحياة، فكان لا بد أن يلتزم الشعراء بتلك النظم وان يتوجهوا في أغراضهم نحو تلك الحياة الجديدة، ويطرحوا ما لا يتناسب وتلك الحياة من الأغراض التي ألفوها في حياتهم الجاهلية، لأنها لم تعد تتفق ومبادئ وأخلاقيات المجتمع الإسلامي الجديد، وبرزت تلك الأغراض التي ابتعد عنها الشعراء المسلمون الغزل المتهتك والخمريات والهجاء المقذع الفاحش.

إلا أن الشعر ظل يصور حياة الناس، ويسيل على السنة الشعراء عذبا رقيقا، حيث يستوعب همومهم، ويعبر عما يجيش في صدورهم أو يدور في أفكارهم، فلم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر وتمثل به. (*)

واستحدثت حياتهم الجديدة أغراضا جديدة لم يعرفوها من قبل. وانتظمت تلك الأغراض كالآتي:

الشعر الديني:

كان الشعر الديني ابرز الأغراض الجديدة، حيث

بدأ الشعراء يتحدثون عن عقائد الدين ومثله العليا، ويدعون إلى التمسك بها والتحلي بما تدعو له، وهو لون جديد من الشعر لم يكن دين العرب من قبل الإسلام يستوعب أن يتحدثوا عنه بغرض شعري خاص.

تحدث الشعراء في هذا الغرض عن وحدانية الله، وعن الوحي والنبوة، وعن عقيدة الخلق والحياة، وعن الموت والبعث والحساب، وعن الثواب والعقاب، والجنة والنار، والحلال والحرام.

فالإسلام يدعو مثلاً إلى الإيمان بالأنبياء وبرسل الله الذين بعثهم للناس «قل كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله». فتناول حسان هذا الإيمان بقوله: (2*)

شهدت بإذن الله أن محمداً
رسول الذي فوق السماوات من عل
وان أبا يحيى ويحيى كليهما
له عمل في دينه متقبل
وأن الذي عادى اليهود ابن مريم
رسول أتى من عند ذي العرش مرسل
وأن أخوا الأحقاف إذ يعدلون
يجاهد في ذات الإله ويعدل
واستمر الشعراء في العصر الأموي مؤكدين عقيدة الإيمان بالرسول، فهذا جرير يعبر عن ذلك، ويفخر بمن ينتسب منهم إلى العرب، حيث يقول مستهدياً بما في القرآن الكريم: (3*)

أبونا أبو اسحق يجمع بيننا
أب كان مهدياً نبياً مطهراً
ومنا سليمان النبي الذي دعا
فأعطي بنيانا وملكاً مسخراً
وموسى وعيسى والذي خر ساجداً
فأنبت زرعاً دمع عينيه اخضراً
ويعقوب منا زاده الله رفعة
وكان ابن يعقوب أميناً مصوراً
ونكتفي بهذين المثلين لأن ما سوف يأتي من أغراض وإشعار زاخر

بالحديث عن العقائد الدينية.

الوعظ والإرشاد:

احتاجت أوامر الدين ونواهيه إلى الحث على الالتزام بها وتنفيذها، فنشأ لون جديد من الشعر هو شعر الوعظ والإرشاد، وقد حاول شعراء صدر الإسلام الإفادة من فنههم الشعري لتحقيق هذه الغاية النبيلة التي دعا إليها القرآن بمثل قوله «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة». وأكدها رسول الله ﷺ بقوله «الدين النصيحة».

وتعد لامية صرمة بن أبي أنس الأنصاري في طليعة تلك الأشعار، فقد صاغ مثل الإسلام، وكثيرا من مبادئه بأسلوب رفيع، وتوجه بنصيحته إلى أبنائه، وهي طويلة نكتفي منها بقوله:-(4*)

يا بني الأرحام لا تقطعوها

وصلوها قصيرة من طوال

واتقوا الله في ضعاف اليتامى

ربما يستحل غير الحلال

واعلموا أن لليتيم وليا

عالم يهتدي بغير السؤال

إلى أن يقول:-

واجمعوا أمركم على البر والتق

وى وترك الخنا واخذ الحلال

وهي تسير على هذا النهج في النصح والوعظ والإرشاد.

وجاء الشاعر الصلصال بن الدهميس مع وفد تميم، فأوصاهم الرسول ﷺ بشيء، وقد نظمها الصلصال قصيدة شعرية رائعة سبق أن تحدثنا عنها من قبل.

ومع قلة شعر كعب بن زهير، وضعف الروح الدينية فيه فقد وصلت إلينا مقطوعة له، فيها دعوة مخلص وموعظة حسنة لقومه، حيث قال: (5*)

رحلت إلى قومي لأدعوهم

إلى أمر حزم أحكمته الجوامع

سأدعوهم جهدي إلى البر والتقى

وأمر العلاء ما شايعتني الأصابع
فكونوا جميعاً ما استطعتم، فإنه

سيلبسكم ثوب من الله واسع
ووجد الشعراء في حركة ردة بعض القبائل بعد وفاة الرسول * مناسبة
كبيرة لينهض الشعر بمهمة النصح والإرشاد، فمحضوا قبائلهم اصدق
النصائح، ودعوههم إلى الخير والثبات على الإسلام، ونبذ المرتدين، والتتصل
من مدعي النبوة الزائفة، ومع أن معظم تلك الصيحات الصادقة والمواظ
المؤمنة لم تجد الأذان الصاغية أو القلوب الواعية، إلا أن الشعراء قد أدوا
واجبهم خير أداء، وبرؤوا الشعر من التقصير أو التهاون.

فعندما ارتدت كندة ثبت الشاعر ثور بن مالك على دينه، وحاول
أن يثني قومه عن الردة فلم يفلح، قال:-(6*)

وقلت: تحلوا بدين الرسول

فقالوا التراب سفاهاً بضيكا

فأصبحت أبكي على هلكهم

ولم أك فيما أتوه شريكاً

وتردد بنو عامر، فينهض الشاعر الحارث بن مرة النفيلي، يعظهم، ويسدي
إليهم صادق نصحه، فيقول لهم:-(7*)

بني عامر إن تنصروا الله تنصروا

وان تنصبوا لله والدين تخذلوا

وان تهزموا لا ينجكم عنه مهرب

وان تثبتوا للقوم والله تقتلوا

ويعلن أهل نجران ردتهم، فيقوم فيهم الشاعر عمير بن الحصين منشداً
واعظاً، فيقول:-(8*)

أهل نجران امسكوا بهدي الله

وكونوا يداً على الكفار

لا تكونوا بعد اليقين إلى الشك

وبعد الرضا إلى الإنكار

واستقيموا على الطريقة فيه

وكونوا كهيئة الأنصار

الأغراض الشعرية

وفي العصر الأموي عمت المواعظ وازدادت النصائح بعد أن ابتعد كثير من الناس عن الحياة الإسلامية الأولى، فواكب الشعراء وعاظ المساجد، وهبوا يصوغون المواعظ والإرشادات أشعارا، يتوجهون بها إلى الحكام، أو ينشرونها بين الناس، فنظم أعشى ربيعه موعظة طويلة، تبلغ اثنين وثلاثين بيتا، صدرها بقوله: (9*)

يا أيها الناس، أفي قلت موعظة وحكمة لم يقل شبهها بشر في الأولين
وفي الخالين قبلهم ولا الذين من الباقيين قد غبروا وهي تفيض بالأفكار
الإسلامية والمعاني الدينية، وتزخر بالدعوة إلى مكارم الأخلاق ومثالية
الإسلام.

ومثلها قصيدة النابغة الشيباني التي اقتبس فيها كثيرا من آيات القرآن
ومواعظه، والتي صدرها بقوله: (10*)

الحمد لله لا شريك له

من لم يقلها فنفسه ظلما

ووجد الشعراء من واجبهم أن يفدوا على الخلفاء، يقدمون لهم النصيح
والإرشاد، ويحثونهم على الالتزام بأوامر الدين، والابتعاد عن نواهيه، فلم
يجد معظم الحكام ضيرا في ذلك، ووجد الشعراء لديهم أذانا صاغية
وقلوبا واعية خاشعة، وكان سابق البربري رائد الشعراء الأمويين في هذا
الميدان، ومن مواعظه قوله يخاطب الخليفة عمر بن عبد العزيز: (11*)

باسم الذي أنزلت من عنده السور

والحمد لله، أما بعد يا عمر

إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر

فكن على حذر قد ينفع الحذر

واصبر على القدر المحتوم وارض به

وإن أتاك بما لا تشتهي القدر

وهي طويلة، تسير على هذا النهج، حتى تبلغ ستة وأربعين بيتا.

الوصايا:-

ومن ألوان شعر الوعظ والإرشاد التي ازدهرت في العصر الإسلامي
والأموي ما يسمى بـ «الوصايا» وهي الأشعار التي يتوجه الشعراء فيها

بالنصح والإرشاد لأبنائهم وذويهم، في أواخر أيامهم، أو قبل ذلك أحيانا، يودعون فيها خلاصة تجاربهم، وعصارة أفكارهم.

وقد عرف الشعر الجاهلي هذا اللون من الوعظ، ولكن الجديد فيه بعد الإسلام تغير المفاهيم والقيم الجديدة التي أشاعتها تعاليم الإسلام. ولعل من أقدم ما وصل إلينا من الوصايا الإسلامية وصية أبي قيس بن الأسلت، وهي وصية بليغة رائعة، أودعها الشاعر خلاصة تجاربه، وعصارة أفكاره وعقيدته، بكل إخلاص وأمانة، وهي تسير على هذا النحو: (12*)

يقول أبو قيس وأصبح غاديا:

ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
فأوصيكم بالله والبر والتقوى
وإعراضكم، والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم
وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم
فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وهي طويلة تنهج هذه الوتيرة.

وعندما أسن الشاعر عبدة بن الطبيب، ورابه بصره، جمع بنيه. ، أنشدهم وصية رائعة مطلعها:-(13*)

أبني إني قد كبرت ورباني
بصري، وفي لمصلح مستمتع
وهي في ثلاثين بيتا، زاخرة بالمعاني الإسلامية، والحكمة البالغة. وظل فن الوصية مزدهرا في العصر الأموي، وعمت موجته كثيرا من الشعراء، مثل النابغة الشيباني، الذي وصلت إلينا إحدى وصاياه الطويلة التي يقول فيها: (14*)

إن من يركب الفواحش سرا
حين يخلو بسوء غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه
شاهداه، وربيه ذو المحال
استمع يا بني من وعظ شيخ

عجم الدهر في السنين الخوالي
فاتق الله ما استطعت وأحسن
إن تقوى الله خير الخلال
ومنهم الصلتان العبدى، الذي وصى ابنه بأبيات حكيمة، أسوة بوصية
لقمان الحكيم ابنه، افتتحها بقوله:-(15*)
ألم تر لقمان وصى ابنه
ووصيت عمرا فنعم الوصي
وهكذا استطاع شعر الوعظ والإرشاد ومنه أشعار الوصايا، استيعاب
المعاني والأفكار الإسلامية، ونقل مضامين العصر الجديد ومفاهيمه إلى
الآخرين.

الزهد :-

ومما دعا إليه الإسلام الزهد في الحياة الدنيا ومتاعها الزائل، فالمسلم
الصحيح من رفض متاعها، وزهد عما فيها، وعاش لأخرته، وهذا لا يعني
الدعوة إلى الرهينة والانقطاع عن الدنيا، لأن الإسلام يدعو إلى العمل
والاعتدال في التمتع بما وهب الله من زخارف الحياة ومتاعها، بلا إفراط
أو تفريط.
وقد انتشر في أرجاء الدولة الإسلامية عدد كبير من الوعاظ الزهاد
الذين لا يفترون عن الدعوة إلى الزهد، والابتعاد عن ملذات الدنيا ومتعها،
ويذكرون بالموت والآخرة، مستلهمين آيات القرآن الكريم، وسيرة خير
الزهاد وقدوتهم محمد ﷺ، وأحاديثه الشريفة.
انتشر هؤلاء الوعاظ الزهاد بعد أن كثرت الأموال بأيدي الناس، وبدأت
الحياة تميل نحو الترف والعب من ملذات الدنيا ونعيمها.
وكان من الطبيعي أن ترك تلك المواعظ أثرها البالغ في نفوس الشعراء
الذين كانوا يترددون على مجالس الوعاظ ودروسهم.
وظهر ذلك جليا في أشعارهم، وعرف بشعر الزهد عدد من شعراء
صدر الإسلام، كعروة بن زيد الخيل وأبى الأسود الدؤلي.
أما من الشعراء الأمويين فعرف سابق البربري، ومالك بن دينار، وعروة
بن أذينة، ومعظم شعراء الخوارج.

واستطاع هؤلاء الشعراء أن يتمثلوا مبادئ الزهد وأصوله الأولى، كما استطاعوا أن يجعلوا هذا اللون من الشعر غرضاً مستقلاً قائماً بذاته، يقوم على أسس ومبادئ الزهد الإسلامي التي تتمثل في ترك العرض الفاني، والرضا بالقليل منه، والرغبة في نعيم الآخرة الدائم. قال حرب بن المنذر بن الجارود: (16*)

فحسبي من الدنيا كفاف يقيمني
وأثواب كتان أزور بها قبري
ومن الصور التي ينزع فيها الشعراء إلى النفور من الدنيا، والتعلق بمتاعها الزائل، قول سابق البربري: (17*)

أموالنا لذوي الميراث نجمعها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها
والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت
إن السلامة منها ترك ما فيها
وحتى شعراء اللصوصية في العصر الأموي نجد لديهم شذرات من هذه الفكرة، حيث يقول عبيد بن أيوب العنبري اللص: (18*)

تبكي على الدنيا سفاها وقد ترى
بعينيك إن لم يبق إلا ذميمها
ألا إنما الدنيا كنهى قرارة
تسامى قليلاً ثم هبت سموها
ويكثر شعراء الزهد من ذكر الموت، وتكرر صور القبور في أشعارهم ويطيلون الوقوف عند تلك الصور والاعتبار بها، ليميتوا في النفوس كل رغبة في الدنيا أو إقبال على زخرفها.
وكان مالك بن دينار يخرج كل خميس لزيارة القبور، وينشد هذه الأبيات، فيبكي ويبكي الآخرين: (19*)

ألا حي القبور ومن بهننه
وجوه في القبور أحبهنه
فلو إن القبور سمعن صوتي
إذا لأجبنني من وجدهنه
ولكن القبور صمتن عني

فأبت بحسرة من عندهنه
وزار القبور ذات مرة، فقال: (20*)

أتيت القبور فناديتهن
أين المعظم والمحتقر؟
وأين المدل بسطانه؟
وأين المزكي إذا ما افتخر؟
تفانوا جميعا فما مخبر
وماتوا جميعا ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا
أما لك فيما ترى معتبر؟

ويتحدث أعشى همداني عن الموت، ويرسم صورة ما بعد الحياة بأسلوب
يخاطب فيه الروح، ليرتفع الإنسان عن عالمه المادي إلى عالم الروح الفسيح،
وتترامى أشعاره إلى سمع عمر بن عبد العزيز، فلا يملك نفسه من البكاء،
حتى تخضل لحيته، قال: (21*)

وبينما المرء أمسى ناعما جذلا
في أهله معجبا بالعيش ذا أنق
غرا أتيح له من حينه عرض
فما تلبث حتى مات كالصعق
ثمت أضحى من غب ثالثة
مقنعا غير ذي روح ولا رمق
يبكى عليه، وأذنوه لمظلمة
تعلى جوانبها بالترب والفلق
فما تزود مما كان يجمعه
إلا حنوطا وما واره من خلق
وغير نضحة أعواد تشب له
وقل ذلك من زاد لمنطلق

ويظل هاجس الموت يؤرق الشعراء، ويمنع عن عيونهم أغمض ويحرمهم
النوم، وقد صور سابق البربري هذا الهاجس المفزع بقوله: (22*)

تأويني هم كثير بلابله

طروقاً فغال النوم عني غوائله
 فويحي من الموت الذي هو واقع
 وللموت باب أنت لا بد داخله
 أيا من ريب الدهريا نفس واهن
 تجيش له بالمضطربات مراجله
 ويظل يوم الحساب في الآخرة ماثلاً بين أعين شعراء الزهد، فينقص
 معيشتكم، ويطلق راحتهم، ويسلبهم لذة العيش، يقول سابق: (23*)
 وكيف يلذ العيش من هو عالم بأن اله الخلق لا بد سائله فيأخذ منه
 ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعله ويحضر الإمام الحسن البصري
 جنازة النوار زوجة الفرزدق، ويجتمع به على قبرها ويقول: ماذا أعددت
 لهذا المضجع؟ قال الفرزدق: شهادة أن لا اله إلا الله، منذ ثمانين عاماً.
 فقال الحسن: هذا العمود فأين الطنب؟
 فقال الفرزدق في الحال:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني
 اشد من القبر التهاباً واضيقاً
 إذا جاءني يوم القيامة قائد
 عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
 لقد خاب من أولاد دارة من مشى
 إلى النار مغلول القلادة موثقاً
 يقاد إلى نار الجحيم مسربلاً
 سرابيل قطران لباساً محرقاً (24*)
 ومن المبادئ إلى تتكرر في شعر
 الزهاد القناعة والرضا بالقليل
 والتوكل على الله في أمور الحياة عامة، وفي الرزق خاصة، ولذلك نرى
 أبا الأسود الدؤلي يعبر عن تلك المبادئ، ويصور يقينه بذلك، حيث يقول: (25*)
 وإذا طلبت من الحوائج حاجة
 فداع الإله واحسن الأعمال
 فليعطيك ما أراد بقدره
 فهو اللطيف لما أراد فعلاً

إن العباد وشأنهم وأمورهم
 بيد الإله يقالب الأحوال
 فدع العباد ولا تكن بطلابهم
 لهجا تضعضع للعباد سؤالا
 وقد صدر كعب بن زهير في بعض أشعاره عن روح تقربه إلى حد كبير
 من كبار الزهاد المسلمين، فقال مخاطبا امرأته بأسلوب ينم عن قناعة
 ورضا وتوكل، لا تصدر إلا عن إيمان عميق، وزهد صادق، حيث قال: (26*)
 أعلم أني متى ما يأتني قدري
 فليس يحبسـه شح ولا شفق
 والمرء والمال ينمى ثم يذهبـه
 مر الدهور ويفنيه فينـسحق
 فلا تخافي علينا الفقر وانتظري
 فضل الذي بالغني من عنده نثق
 أن يفن ما عندنا فالله يرزقنا
 ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق
 أما الشاعر الزاهد عروة بن أذينة، فقد عبر عن ذلك اليقين بقوله: (27*)
 لقد علمت وما الإسراف من خلقي
 إن الذي هو رزقي سوف يأتيني
 أسعى له فيعنيني تطلبه
 ولوقعت أتانـي لا يعنيني
 خيمي كريم، ونفسي لا تحدثني
 إن الإله بلا رزق يخليـني
 كما إن تقوى الله، والانكباب على عبادته، والورع عن محارمه، كل ذلك
 كان من مظاهر الزهد الإسلامي ومميزاته، فجسده شعراء الزهد، وبخاصة
 الخوارج، سلوكا لهم في حياتهم، فقال شاعر الخوارج عمرو بن الحصين
 الغنبري يصفهم: (28*)

متأهبون لكل صالحة
 ناهون من لا قوا عن النكر
 إلا تجيئهم مانهم

رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون إلا كأنهم
لخشوعهم صدروا عن الحشر
إلى أن يقول:-
كم من أخ لك قد فجعت به
قوام ليلته إلى الفجر
متأوها يتلوقوا من
أي الكتاب، مفضع الصدر
ظمآن وقدت كل هاجرة
تراك لذته على قدر
تراك ما تهوى النفوس إذا
رغب النفوس دعا إلى المزري
وعلى هذه الشاكلة نجد دعوة نصر بن سيار إلى الزهد في الدنيا،
والتزود بتقوى الله، ودوام تذكر يوم الحساب. (29*) :-
دع عنك دنيا وأهلا أنت تاركهم
ما خير دنيا وأهل لا يدومونا
أكثر تقى الله في الأسرار مجتهدا
إن التقى خيره ما كان مكنونا
واعلم بأنك بالأعمال مرتهن
فكن لذاك كثير الهم محزوننا
واقترن الزهد الإسلامي بالجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى محاربة
الظلم والطغيان، فلا غرابة أن نجد شعر الزهد يمجج بصور الجهاد، والدعوة
إلى طلب الشهادة مع استصغار الحياة، والاستهانة بما فيها، قال عروة بن
زيد الخيل:- (30*)
وكم كربة فرجتها وكريهة
شدت لها أزري إلى أن تجلت
وقد أضحت الدنيا لدي ذميمة
وسليت عنها النفس حتى تسلت
واصبح همي في الجهاد ونيتي

فلله نفس أدبرت وتولت
فلا ثروة الدنيا تريد اكتسابها
ألا أنها عن وفرها قد تخلت
وماذا ارجي من كنوز جمعتها
وهذي المنايا شرعا قد أظلت
وللخوارج أشعار كثيرة تجري على هذه الوتيرة، وتنطوي على صور
رائعة من الدعوة إلى الجهاد، وطلب الموت، واستعذاب الشهادة في سبيل
الله.

وهكذا استطاع شعراء الزهد تمثل مبادئ الزهد الإسلامي التي تقوم
على ترك اللذائذ الفانية والرضا بالقليل، والرغبة في نعيم الآخرة الدائم،
والتوكل على الله والثقة به، وكثرة عبادته، والابتعاد عن محارمه، ودوام ذكر
الموت، والوقوف عند صورهِ المفزعة والإحساس بهول يوم القيامة والإعداد
له.

شعر الفتوحات:

لقد حُبب الله تعالى إلى المؤمنين الجهاد، وزينه في قلوبهم، فقال تعالى:
«فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل في
سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما^(31*)». وثمة عشرات
الآيات التي تحثهم على الجهاد وتدعو إلى القتال في سبيل الله.
كما أكدت الأحاديث النبوية أهميته، فجعلته افضل الأعمال بعد الإيمان،
ودورة سنام الإسلام، وبابا من أبواب الجنة، وكانت سيرة رسول الله القدوة
الحسنة في الجهاد في سبيل الله والتضحية من أجل الإسلام.
فاندفع العرب في أقطار الأرض فاتحين محررين، إعلاء لرسالة الحق
ونشرا لتعاليم الإسلام في أرجاء المعمورة، بعد أن أمدهم الإسلام بطاقة
روحية هائلة.

وقد اجتذب ألقى الجهاد كل المؤمنين وجميع الشعراء المسلمين، الذين
استبذت بهم روح الشوق إلى ساحات الشرف والفداء، فاستجابوا لداعي
الحق، وكانوا في طليعة الجيوش الإسلامية الزاحفة.
وقد ترددت المعاني الإسلامية الجديدة في أشعار أولئك المجاهدين

المنطلقين في سبيل الله، وهم يحملون في صدورهم تعاليم الإسلام، ويحدوهم الهدف النبيل الذي خرجوا من أجله، وهو النصر لإعلاء كلمة الله، أو الشهادة ودخول الجنة.

وقد عبر عن ذلك المغيرة بن شعبه حين التقى برستم قائد الفرس، فقال: يدخل من قتل منا الجنة، ومن قتل منكم النار، ويظهر من بقي منا على من بقي منكم.^(32*)

وتمثل أشعار أبناء الشاعرة الكبيرة الخنساء في معركة القدسية تلك الروح العالية التي كان يحملها المجاهدون وتجسد معاني البطولة، وتصور روح الفداء والتضحية في سبيل المبادئ الخيرة، فقد حضرت الشاعرة حرب القدسية ومعها بنوها الأربعة فنصحتهم، وحثتهم على القتال والإقدام، فلما أضاء لهم الصبح بكروا مراكزهم وأنشأ أولهم يقول:-

يا أخوتي إن العجوز الناصحه
قد نصحتنا إذ دعتنا البارحه
مقالة ذات بيان واضح
فبكروا الحرب الضروس الكالجه
وإنما تلقون عند الصائحه
من آل ساساني الكلاب النابحه
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه
وانتم بين حياة صالحه
أو ميتة تورث غنما رابحه
وتقدم فقاتل حتى استشهد، ثم حمل الثاني وهو يقول:-
إن العجوز ذات حزم وجلد
والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب حماة في العدد
إما لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم عز الأبد
في جنة الفردوس والعيش الرغد

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الثالث، وهو يقول:-
والله لا نعصي العجوز حرفا
قد أمرتنا حربا وعطفا
نصحا وبراً صادقاً ولطفا
فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا
أو يكشفوكم عن حماكم كشفا
أنا نرى التقصير عنكم ضعفا
والقتل فيكم نجدة وزلفى
فقاتل حتى استشهد، ثم حمل الرابع وهو يقول:-
لست لخنساء ولا للأخر
ولا لعمرو ذي السناء الأقدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم
ماض على الهول خضم خضم
إما لفوز عاجل ومغنم
أو لوفاء في السبيل الأكرم
فقاتل حتى استشهد، فبلغ أمهم الخنساء الخبر فقالت: الحمد لله
الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. (33*)
ويعبر الشاعر جميل بن سعيد عن عقيدة المجاهدين الصادقين في
القتال حين يقول: (34*)
ولست أبالي إن قتلت، لأنني
أرجي بقتلي في الجنان مقامي
والشاعر المجاهد عبد الله بن رواحه يتوجه لغزو الروم في مؤتى، ويودعه
أصحابه قائلين: نسأل الله أن يردك سالماً، فيجيبهم بقوله:-
لكنني أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرغ تنضح الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي

يا ارشد الله من غاز وقد رشد^(35*)

تلك كانت أغاني وأناشيد الشعراء في فتواتهم الإسلامية، وهى إحدى ثمرات الإسلام الشعرية. ومن ثمراته الأخرى في تلك الفتوحات لون جديد من الأشعار يتشوق فيها الشعراء إلى مواطن صباهم، وملاعب طفولتهم التي بعدوا عنها سائحين في بلاد الله النائية، فحركت لوا عج البعاد فيهم أحاسيس الشوق، ومشاعر الحنين إلى تلك المواطن الغالية، فأرسلوا زفراتهم أشعارا مشحونة بالعواطف الرقيقة، والمشاعر الصادقة.

فهذا أحد الشعراء المجاهدين يحس بالحنين إلى موطنه نجد، متشوقا إلى أرضها، متطلعا إلى خيامها، فلا ينفك يرسل عباراته متحجرة فيقول: ^(36*)

اكرر طرفي نحو نجد وإنني
برغمي وإن لم يدرك الطرف أنظر
حنينا إلى أرض كأن ترابها
إذا أمطرت عود ومسك وعنبر
بلاد كأن الأقحوان بروضه
ونور الأقاحي وشي برد محبر
أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي
خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو نجد بنافع
أجل-لا-ولكني إلى ذاك أنظر
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة
لعينيك مجرى مائها يتحدر
متى يستريح القلب إما مجاور
بحرب فما نازح يتذكر

وقد فتقت الفتوح قرائح كثير من الآباء الشيوخ، إما تشبثا ببقاء أبنائهم معهم، أو شوقا إليهم بعد أن بعدوا عنهم وفارقوهم، وهم في اشد الحاجة إليهم .

وأشعارهم في ذلك تعبر عن قصص ومواقف إنسانية عظيمة، لم يستطع ولاة الأمور إزاءها إلا الاستجابة لندائهم المكوم، وإرجاع أبنائهم إليهم .
ومن تلك الأشعار أبيات الشاعر المخبل السعدي الذي تطوع ابنه الوحيد

في جيش سعد بن أبي وقاص المتوجه إلى بلاد فارس، فقال:-
 أيماكني شيبان في كل ليلة
 لقلبي من خوف الفراق وجيب
 ويخبرني شيبان إن لم يعقني
 تعق إذا فارقتنني وتحوب
 ويقول فيها:-

فان يكو غصني اصبح اليوم باليا
 وغصنك من ماء الشباب رطيب
 إذا قال صحبي يا ربيع ألا ترى؟
 أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
 أشيبان ما يدريك إن كل ليلة
 غبقتك فيها والغبوق حبيب
 وكان الشاعر المخبل قد أسن وضعف، وكاد يغلب على عقله، فعمد إلى
 ماله ليبيعه ويلحق بابنه، فمنعه علقمة بن هودة وأعطاه فرسا وقال له:
 أنا اكلم لك عمر في رد ابنك، وتوجه إلى عمر، وانشده أبيات المخبل،
 فرق له عمر، وكتب إلى سعد يأمره أن يرد شيبان إلى أبيه، فرده عليه، ولم
 يزل عنده حتى مات. (37*)

ويهاجر كلاب بن أمية بن الأشقر إلى المدينة في خلافة عمر، ويقيم بها
 مدة، ثم يلقي طلحة والزبير فيسألهما: أي الأعمال افضل؟ فيقولان له:
 الجهاد في سبيل الله. فيتوجه إلى الخليفة عمر ويسأله أن يغزيه، فيرسله
 عمر للغزو، وكان أبوه قد كبر وضعف، فلما طالت غيبة كلاب قال أبوه وكان
 شاعرا:

لئن شيخان قد نشدا كلابا
 كتاب الله إن حفظ الكتابا
 إذا هتفت حمامة بطن وج
 على بيضاتها ذكرا كلابا
 وانك والتماس الأجر بعدي
 كباغي الماء يتبع السرابا
 تركت أباك مرعشة يده

وأملك ما تصيغ لها شرابا

وأكثر من أشعاره الباكية يتشوق فيها إلى ابنه، حتى بلغ شعره عمر، فكتب إلى سعد يأمره بإقمال كلاب، فلما قدم، أرسل عمر إلى أمية فقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال: النظر إلى بنى كلاب، فدعاه له، فلما رآه اعتنقه وبكى بكاء شديدا، فبكى عمر، وقال: يا كلاب الزم أباك وأملك ما بقيا. (38*)

واستأثرت المشاهد الغربية التي لم يألّفها العرب من قبل، بقسط كبير من اهتمام شعراء الفتوحات الإسلامية، فصوروا تلك المشاهد تصويرا دقيقا، وأودعوا الأشعار دهشتهم واستغرابهم لتلك المناظر التي كانوا يرونها لأول مرة، ومن تلك المشاهد الغربية الفيلة، وقد ذكرها كثير من الشعراء في أشعارهم، كقول ربيعة بن مقروم يفخر برؤيتها: (39*)

ودخلت أبنية الملوك عليهم

ولشرقول المرء مالم يفعل

وشهدت معركة الفيول وحولها

أبناء فارس بيضها كالأعبل

وكان القعقاع بن عمرو أول فارس يواجه الفيل الأعظم يوم القادسية فيقطع مشفره، ويفقأ عينه، فقال في ذلك مشبها الفيلة ذوات الأجسام الضخمة بالبيوت: (40*)

فان كنت قاتلت العدو فللته

فإني لألقى في الحروب الدواهيا

فيولا أراها كالبيوت مغيرة

اسمّل أعيانا لها وماقيا

وأفاض الرجاز في وصف الفيلة، وأبدعوا في ذلك. (41*)

ولفتت كنائس الروم التي حلوها بالزخارف والنقوش، أنظار الشعراء، فذكروها في أشعارهم، وأعربوا عن مشاعرهم، وهم يشهدونها لأول مرة. (42*)

ووصفوا القصور الشاهقة والقلاع الحصينة التي لم يسبق أن رأوا مثلاً من قبل، فعندما وصل المسلمون إلى الحيرة من أرض العراق، ورأوا قصورها العالية، لم يتمالك الشاعر عاصم بن عمرو التميمي نفسه، وانطلق

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً
ورجلاً فوق أثباج الركاب
حضرنا في نواحيها قصوراً
مشرعة كأضراس الكلاب
وحين كان يشد المجاهدون على أعدائهم لم يكن ذلك يلهيهم عن التوجه
إلى الله، يستمدون منه العون، أو ينسيهم إن يستنزّلوا النصر منه تعالى، بل
كانت ألسنتهم تلهج بذكره، وقلوبهم تعمر بالتوكل عليه واليقين بنصره،
فقائد المسلمين في فتح دمشق خالد بن الوليد يحمل على الروم وهو
ينشد: (44*)

لك الحمد مولاي على كل نعمة
وشكراً لما أوليت من سابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة
وأنقذتنا من حنّس الظلم والظلم
وأكرمتنا بالهاشمي محمد
وكشفت عنا ما نلاقي من الغم
فتمم اله العرش ما قد نرومه
وعجل لأهل الشرك بالبؤس والنقم
ولم يفتر لسان المجاهدين عن ذكر الله، ولا قلوبهم عن الإنابة إليه،
فضرار بن الأزور يبتدر لحرب الروم في فتح دمشق، وهو يقول: (45*)
عليك ربي في الأمور المتكل
اغفر ذنوبي إن دنا مني الأجل
يا رب وفقني إلى خير العمل
وعني امح سيدي كل الزلل
أنا ضرار الفارس القرم البطل
باغ على الأعداء أضحى المتصل
اقمع بسيوفي الروم حتى تضمحل
مالي سواك في الأمور من أمل
وأسهم الشعر في تحريض المؤمنين على الجهاد ومواصلة الكفاح، وكان

من ابلغ الوسائل في استنهاض الهمم، والهاب جذوة الحماس في صدور المقاتلين، فأنشده القادة يحرضون به جنودهم على المضي في الجهاد، كما أنشده الجنود يستحثون به رفاقهم في السلاح والعقيدة على مواصلة الجهاد والنضال.

فكانت أشعار الفتوحات الإسلامية أناشيد رائعة تزخر بروح الإيمان والاستبسال، كقول قائد معركة اليرموك خالد بن الوليد: ^(46*)

هـبوا جميع اخوتي أرواحا
نحو العدو نبتغي الكفاحا
نرجو بذاك الفوز والنجاحا
إذا بذلنا دونه أرواحا
ويرزق الله لنا صلاحا
في نصرنا الغدو والأرواحا

وحين عظم النزال، واشتد أوار القتال بين المسلمين والروم في حروبهم لفتح الصعيد بمصر، خرج من بين صفوف المقاتلين الشاعر رفاعة بن زهير المحاربي، يحرض الناس على القتال وهو ينشد قائلاً: ^(47*)

يا معشر الناس والسادات والهمم
ويا أهيل الصفايا معدن الكرم
فسدوا العزم لا تبغوا به فشلا
ومكنوا الضرب في الهامات والقمم
وخلصوا القوم في البيداء مطرحة
على الثرى خمشاً بالذل والنقم

وبعد: فقد كان الجهاد الذي حاول البعض أن يرد إليه انشغال العرب عن قول الشعر من أهم العوامل التي أذكت جذوة الشعر، وجعلته يسير على السنة المجاهدين سواء في غزواتهم الأولى أو في فتوحاتهم.

وان هذا الجهاد قد فتح آفاقاً جديدة أمام الشعر العربي، تجلت في شعر الحنين ورتاء النفس والأعضاء واحتسابها في سبيل الله، ووصف الطبيعة الجديدة في الميادين والأمصار المفتوحة.

ويمكن أن نعد شعر الفتوحات نموذجاً حياً لاستجلاء آثار الإسلام في الشعر العربي، حيث كان يعبر عن واقع حياة المسلمين آنذاك وعقيدتهم

بكل تفصيلاتها.

شعر الشكوى:-

وقد استغل بعض الولاة في ظل النظام الجديد مناصبهم ، وخرجوا على قاعدة الأمانة والنزاهة اللتين يفترض أن يتحلوا بهما، فلم يسكت الشعراء على تصرفاتهم بل كانوا يغرون الخلفاء، ويسألونهم أن يجردوا هؤلاء المسيئين من أموالهم، أو يشاطروهم فيها، وكأن الشعراء يقولون لولاة الأمور: حاسبوهم على وفق قانون «من أين لك هذا ؟»

والشعراء في كل ذلك يصدرون عن روح الإسلام وتعاليمه التي تؤكد الأمانة وتحث على النزاهة وعفة اليد واللسان.

قال يزيد بن الصعق موجهها شعره إلى الخليفة عمر بن الخطاب: (48*)

أبلغ أمير المؤمنين رسالة
فأنت أمين الله في النهي والأمر
وأنت أمين الله فينا ومن يكن
أميناً لرب العرش يسلم له صدي
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى
يسيغون مال الله في الأدم الوفر
فأرسل إلى الحجاج فاعرف حسابه
وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشر
ولا تنسين النافعين كليهما
ولا ابن غلاب من سرة بني نصر
وما عاصم منها بصفر عيابه
وذاك الذي في السوق مولى بني بدر
وأرسل إلى النعمان فاعرف حسابه
وصهر بني غزوان وأني لذوخبر
وشبلا فسله المال وابن محرش
فقد كان في أهل الرساتيق ذا ذكر
فقسامهم نفسي فداؤك أنهم
سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر

ولا تدعوني للشهادة أنني
أغيب ولكني أرى عجب الدهر
نؤوب إذا آبوا ونغزوا إذ غزوا
فأنى لهم أوفر ولسنا أولى وفر
فقاسم الخليفة عمر هؤلاء الذين ذكرهم الشاعر شطر أموالهم .
وفي العصر الأموي ازدادت شكوى الشعراء لتجاوزات الولاة، ومخالفات
السعاة. وحين أرق السعاة قوم الشاعر الراعي النميري، وكلفوهم مالا يطيقون،
وصبوا عليهم سياط ظلمهم، حتى أفقرُوا أغنياءهم واهزلوا فقراء. رفع الشاعر
الراعي النميري صوته بالشكوى إلى الخليفة عبد الملك بن مروان فقال: (49*)
أولي أمر الله أنا معشر
حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله في أموالنا
حق الزكاة منزلا تنزيلا
قوم على الإسلام ما يمنعوا
ما عونهم ويضيعوا التهليلا
فادفع مظالم عيلت أبناءنا
عنا وأنقذ شلوننا المأكولا
إن السعاة عصوك حين بعثتهم
وأثوا دواعي لوعلمت وغولا
إن الذين أمرتهم أن يعدلوا
لم يضلوا مما أمرت فتिला
وهي قصيدة طويلة يعدد فيها الشاعر مظالم الولاة، ومساوئ السعاة،
مستجدا بالخليفة ليرفع عن قومه ما لحقهم من حيف وما انزل بهم الولاة
من ظلم.
ويستغيث الشاعر كعب الأشقري، وهو في خراسان، بالخليفة عمر بن
عبد العزيز، ويخاطبه بشأن عماله، ويصفهم بالذئاب وبمخالفتهم أوامر
الخليفة، وانهم لا يراعون حتى يعمل السيف فيهم، فيقول: (50*)
إن كنت تحفظ ما يليك فإنما
عمال أرضك بالبلاد ذئاب

لن يستجيبوا للذي تدعوه

حتى تجالد بالسيوف رقاب

ويرفع الفرزدق شكواه إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك صارخا من ظلم العامل الذي أسرف في سوء معاملة الرعية وشق عليهم، فضربهم بالسياط، حتى ألجأهم إلى اخذ الربا ليوفوا له ما يطلبه، لا يهمه إن دخل هؤلاء نار جهنم، أو خلدوا في صقر، ويحاول أن يستثير الخليفة بذكر شيمه الإسلامية، فيقول: (51*)

أمير المؤمنين وأنت تشفي

بعدل يديك أدواء الصدور

فكيف بعامل يسعى علينا

يكلفنا الدراهم في البدور (52*)

وأنى بالدراهم وهي منا

كرافع راحتيه إلى العبور (53*)

إذا سقنا الفرائض لم يردّها

وصد عن الشويهة والبعير

إذا وضع السياط لنا نهارا

أخذنا بالربا سرق الحرير

فأدخلنا جهنم ما أخذنا

من الأرباء من دون الظهور

فلو سمع الخليفة صوت داع

ينادي الله: هل لي من مجير؟

وأصوات النساء مقرنات

وصبيان لهن على الحجور

إذا لأجابهن لسان داع

لدين الله مغضاب نصور

أمين الله يصدع حين يقضي

بدين محمد، وبه أمور

وشكا الشاعر عبد الله بن الزبير الأسدي الوالي ابن أم الحكم «أخت معاوية» عبد الرحمن الثقفي إلى خاله الخليفة معاوية، لأنه اشتد في أمر

الخراج، وعامل الناس بالظلم وابتعد صد عن الحق فقال بكل جرأة وشجاعة:- (54*)

ألا ابليغ معاوية بن حرب
فقد خرب السواد فلا سوادا
وان جبالنا خربت وبادت
فقد تركت لحالبها جمادا
فهل لك أن تدارك ما لدينا
وترفع عن رعيته الفسادا
فان امينكم لا الله يخشى
ولا ينوي لأمتكم سدادا
إذا ما قلت: اقصر عن هواه
تمادى في ضلالته وزادا
ورفع الشاعر عبد الله بن همام السلولي شكواه إلى عبد الله بن الزبير
من عماله الذين خانوا الأمانة، وظلموا الرعية، وذكر أسماءهم الصريحة
في قصيدة طويلة منها:- (55*)

يا ابن الزبير، أمير المؤمنين ألم
يبلغك ما فعل العمال بالعمل ؟
باعوا التجار طعام الأرض واقتسموا
صلب الخراج، شحاحا قسمة النفل
وقدموا لك شيئا خائنا خذلا
مهما يقل لك شيخ كاذب، يقل
وقيل طالب حق ذو مراننية
جلد القوى، ليس بالواني ولا الوكل
اشدد يديك بزيد إن ظفرت به
واشف الأرامل من دحروجة الجعل (56*)

وهكذا لم يقف الشعراء موقف المتفرج الصامت وهم يرون بعض العمال والولاة يميلون عن الحق، أو يتبعون الهوى، أو يجورون على من في أمرتهم من ضعاف المسلمين وفقرائهم، فكانت أشعارهم السنة حق تنادي بالعدل وتدعو ألي محاسبة المقصرين، وتحث على الالتزام بحدود الشريعة والنزوع

إلى معالجة الواقع.

الشعر السياسي:-

جاء الإسلام داعياً إلى إعلاء كلمة الله، وإلى تحقيق الشريعة الإلهية المتمثلة بالإسلام، الذي يدعو نظامه إلى تطبيق الحرية والمساواة والعدالة والشورى في أرجاء الأرض كافة.

فكان من الطبيعي أن يجد مناهضة شديدة من شعراء قريش، ومن والاهم من شعراء القبائل واليهود.

واحتدم الصراع بين شعراء الفريقين، وهب شعراء صدر الإسلام يذودون عن حياض الإسلام وتعاليمه، مناقشين أفكار المشركين، مسفهين آراءهم، مظهرين فساد النظام القبلي السائد في المجتمع الجاهلي، وبذلك بذرت بذرة الشعر السياسي.

وكان حسان بن ثابت أول الشعراء المسلمين الذين ابتكروا الشعر السياسي في ظل الإسلام، حيث كانت قصيدته في وفد بني تميم من أول أشعاره السياسية، يقول فيها:- (57*)

إن الذوائب من فهرو أخواتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريره
تقوى الإله، وبالأمر الذي شرعوا
ومنها:-

كم من موال لهم نالوا كرامته
ومن عدو عليهم جاهد جدعوا
ومنها:-

أكرم بقوم رسول الله قائدهم
إذا تفرقت الأهواء والشيع
وبعد انتصار الإسلام، مضى الشعراء ينظمون أشعارهم مع الأحداث، وينتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وتطل بوادر الاختلاف بين المهاجرين والأنصار عمن يخلفه، ويواكب الشعر هذا الحدث الكبير، ويعبر الشعراء عن آرائهم السياسية، كل منهم يحاول تأييد من يرى جدارته

بالخلافة.

فيقول شاعر الأنصار النعمان بن العجلان:- (58*)

وكان خطاء ما أتينا وأنتم
صواباً كأن لا نريش ولا نبري
وقلتم: حرام نصب سعد ونصبكم
عتيق بني عثمان حلال أبا بكر
وأهل أبوبكر لها خير قائم
وان علياً كان اخلق للأمر
وكان هواناً في عليّ وإنه
لأهل لها من حيث ندري ولا ندري
وهذا بحمد الله يشفي من العمى
ويفتح آذاناً ثقلن من الوقر
فلولا اتقاء الله لم تذهبوا بها
ولكن هذا الخير اجمع للصبر
ولم نرض إلا بالرضا ولربما
ضربنا بأيدينا إلى اسفل الصدر
ويجمع المسلمون على مبايعة أبي بكر بعدما حدث في سقيفة بني
ساعده، وينهض شاعر المهاجرين ابن أبي عزة الجمحي مغتبطاً، فيقول:
مؤيداً ذلك الإجماع السياسي، مندداً بتطلعات الأنصار نحو الخلافة:- (59*)
شكراً لمن هو بالثناء حقيق
ذهب الجميع وبويع الصديق
من بعد ما دحضت بسعد نعله
ورجاء رجاء دونه العيوق
إن الخلافة في قريش ما لكم
فيها ورب محمد معروق
وتلوح بوادر الردة في عصر أبي بكر ويقوم الشعر بدور كبير في محاولة
توحيد الأمة تحت راية الإسلام، وأعادتها إلى النظام الواحد في ظل الإسلام.
، وفيما ذكرنا من أشعار تلك الحركة في شعر الوعظ والإرشاد ما يغنينا
عن الآتيان بالأمثلة الشعرية هنا.

ولم تتبلور الأفكار السياسية بالمعنى الدقيق إلا بعد مقتل عثمان، وبدء الاضطرابات والفتن داخل المجتمع الإسلامي الموحد، وتوزع الناس إلى، شيع وأحزاب متنافسة، لكل منها فهمه الخاص لنظام الحكم، ووسائله في الدعاية لأرائه وفهمه، ومع ذلك فقد ظلت العقيدة الدينية محور الاختلاف والخصومة بين تلك الفئات.

وكانت الأشعار في أول الفتنة العثمانية عتاباً رقيقاً، ثم صارت تعنيفاً شديداً فيما بعد، بسبب تأييد أو خذلان عثمان.

فلام كعب بن مالك الأنصار لعودةهم عن نصرته ونكوصهم عن الدفاع عنه، ومدح حسان بن عمرو بن عوف الذين دافعوا عن عثمان، ولكنه عنف الأنصار لموقفهم المتخاذل في تلك الفتنة.

وتتسع الهوة بين المسلمين، وتبرز المواقف المتناقضة بعد مصرع عثمان، وتعصف رياح الفرقة في عهد علي. وتتأكد أكثر في مطلع العصر الأموي، وتتبلور الأشعار السياسية المعبرة عن الاتجاهات والنظريات المختلفة.

ومع ذلك فكل الشعر السياسي الذي ازدهر في العصر الأموي كان يستمد مبادئه من هدي الإسلام وأصوله الأولى. وبخاصة فيما كان يضفي الشعراء على قادة وزعماء أحزابهم من شمائل وصفات.

ومعروف أن الناس، ومنهم الشعراء، انقسموا في هذا العصر إلى فريقين رئيسيين، فريق مؤيد للحكم، وآخر مخالف له، أي فريق الحزب الأموي في جهة، وفريق الحزب العلوي وإلى جانبه الأحزاب الطارئة المؤقتة كالخوارج والزبيريين في جهة أخرى.

أما شعراء الأمويين فقد حاولوا تأكيد الصلة الوثيقة بين حكم الأمويين والدين، يقول الفرزدق: (*)⁽⁶⁰⁾

أبى الله ألا نصركم بجنوده

وليس بمغلوب من الله صاحبه

أبى الله إلا أن ملككم الذي

به ثبت الدين الشديد نصائبه

وكانوا يؤكدون في أشعارهم قدرية خلافة الأمويين، واختيار الله لهم، ولا سبيل إلى تبديل أو تغيير ما قضى الله به. (*)⁽⁶¹⁾

وخلعوا الصفات الدينية على زعماء الأمويين، ونسبوا إليهم كل الفضائل

والمناقب الدينية التي عرف بها العلويون والخوارج، فعندما يمدح جرير عبد الملك بن مروان يقول: (62*)

لولا الخليفة والقرآن يقرؤه
ما قام للناس أحكام ولا جمع
أنت الأمين أمين الله لا سرف
فيما وليت ولا هيابة ورع
أنت المبارك يهدي الله شيعته
إذا تضرقت الأهواء والشيع
ويمدح الفرزدق يزيد بن عبد الملك بمثل هذه المناقب فيقول: (63*)
وأنت غياث الأرض والناس كلهم
بك الله قد أحيا الذي كان باليا
وما وجد الإسلام بعد محمد

وأصحابه للدين مثلك راعيا
وحتى فكرة المهدي المنتظر التي ينادي بها العلويون، أخذها شعراء
الأمويين واسيغوها على خلفائهم. (64*) أما العلويون، فكان الكميت بن زيد
الأسدي، شاعرهم المعبر عن آرائهم السياسية، والمدافع عن حقهم في
الخلافة، والمفند لحجج وأفكار مناوئتهم.
وتضم هاشميا ته التي تقارب ستمائة بيت تلك الأفكار والاحتجاجات
كاملة.

وكان الكميت يستعين بأسلوب الاحتجاج بالقرآن الكريم، لتأكيد حق
بني هاشم في الخلافة كقوله: (65*)

وجدنا لكم في حاميم آية
تأولها منا تقي ومعرب
وفي غيرها آيا وآيات تابعت
لكم نصب فيها لذي الشك منصب
كما ناقش موضوع وراثته الأمويين للخلافة، وأكد إن كان أحد يرث
رسول الله * فال بيته بنو هاشم أولى الناس بذلك. (66*)

وقالوا: ورثناها أبانا وأمنا
وما ورثتهم ذاك أم ولا أب

يرون لهم فضلا على الناس واجباً

سفاهاً وحق الهاشميين أوجب

ولو دققنا النظر في أفكار الهاشميات الأساسية لوجدناها محددة بفكرتين تتبعان من تعاليم الإسلام وأفكاره، وهما: فكرة المساواة بين المسلمين، وفكرة توزيع الثروة.^(67*) ونرى الكمية حين يهجو الأمويين إنما يهجوهم لبعدهم عن هدي القرآن والسنة، وضلالة بدعهم التي طالما أحدثوها، كما ابتدع الرهبان ما لم ينزل به وحي.

لهم كل عام بدعة يحدثونها

أزلوا بها اتباعهم ثم اوجلوا

كما ابتدع الرهبان ما لم يجيء به

كتاب ولا وحي من الله منزل

تحل دماء المسلمين لديهم

ويحرم طلع النخلة المتهدل^(68*)

وثمة رواية طريفة عن نظم الكمية الهاشميات تقول: لما قال الكمية الهاشميات، قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال: يا أبا فراس أنا ابن أخيك. قال: ومن أنت ؟ فانتسب له. فقال صدقت. فما حاجتك ؟.

قال نفث على لساني، وأنت شيخ مضر و شعرها، وأحببت أن اعرض عليك ما قلت، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان غير ذلك أمرتني بستره، وسترته علي.

فقال: يا ابن أخي، احسب شعرك على قدر عقلك. فتأت ما قلت راشداً.

فأنشده:-

طربت وما شوقاً إلى البيض اطرب

ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

قال: بل، فالعب. فقال:

ولم يلهنني دار ولا رسم منزل

ولم تطربني بنان مخضب

قال فما يطربك إذن ؟ فقال:

وما أنا ممن يزجر الطيرهمه

أصاح غراب أم تعرض ثعلب

قال: فما أنت ويحك ؟ والى من تسمو؟ فقال:
وما السانحات البارحات عشية
أمر سليم القرن أم مرا غضب ؟
قال: ما هذا . فقد أحسنت فيه ؟ فقال:
ولكن إلى أهل الفضائل والنهي
وخير بني حواء والخير يطلب
قال: ومن هم ويحك ؟ فقال:
إلى النضر البيض الذين بحبهم
إلى الله فيما نابني أتقرب
فقال: أرحني ويحك، من هؤلاء ؟ فقال:
بني هاشم رهط النبي فأنني
لهم وبهم أرضى مرارا واغضب
قال: لله درك يا بني أصبت فأحسنت إذ عدلت عن الزعانف
والأوباش. (69*)

أما الزبيريون الذين كانوا اقل شعرا ممن سواهم، لعدم إيمان زعيمهم
عبد الله بن الزبير بدور الشعر في دعوته، فقد عرف من شعرائهم المترجمين
لسياستهم وأفكارهم عبید الله بن قيس الرقيات الذي عرف بمدحه لآل
الزبير بمناقب استمدها من صفات ومثاليات الإسلام، كقوله في مصعب
بن الزبير:- (70*)

إنما مصعب شهاب من الله
تجلت عن وجهه الظالماء
يتقي الله في الأمور وقد افلح
من كان همه الاتقاء
إما الخوارج فقد اخضعوا أشعارهم كلها للمقاييس الدينية التي آمنوا
بها، وصدروا في سلوكهم عنها، وافنوا حياتهم من أجل سيادتها. وقد تحدثنا
عن أشعار الزهد لديهم ، ونضيف هنا بأنهم كانوا يدينون من يتخذ الشعر
وسيلة لكسب أو جاه، يقول عمران ابن حطان مخاطبا الفرزدق:- (71*)
أيها المادح العباد ليعطى
إن لله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت إليهم
وارج فضل المقسم العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه
وتسمي البخيل باسم الجواد
وقد كفر بعض شعرائهم كل من لا يدين بأفكار ومبادئ الخوارج التي
يعتقدون أنها الإسلام الصحيح، وكل ما دونها ضلال. قال سبرة بن
الجبعد: (72*)

فمن مبلغ الحجاج أن سميره
قلى كل دين غير دين الخوارج
رأى الناس إلا من رأى مثل رأيه
ملاعين تراكين قصد المخارج
وللخوارج آراء سياسية يتفق كثير منها مع مبادئ الإسلام، وقد يخالفونه
في بعضها، ولكن أشعارهم لا تجسد تلك الآراء إلا ذرات قليلة منها، كما
أوضحنا سابقا. ومع ذلك فقد كان الشعر السياسي وثائق صدق للحرية
التي تمتع بها الأفراد في ظل الدولة العربية الإسلامية، وأمثلة حية على
قدرة الأمة على التفكير والتحرك السياسيين في إطار المسؤولية الفردية
والجماعية.

الفصل العذري:

من المعروف إن الإسلام قد هذب كثيرا من مشاعر اتباعه، وصقل
أحاسيسهم، وطهر نفوسهم من إدراك المجون، ونزه ألسنتهم عن فحش
القول، وبعد بهم عن كل ما يشين سلوكهم. وصنع جيلا من الشباب المؤمن
الطاهر العفيف، البعيد عن كل ألوان الفساد.
وكانت بادية الحجاز ونجد الموطن الخصب لنشأة هذا الجيل في العصر
الأموي، حي اكتملت نشأته في ظل التربية الإسلامية بتوجيه ورعاية الصحابة
والتابعين.

وكان الحب العذري أثرا لهذه التربية، وصدى لتعاليم الإسلام، التي
غرست الطهر والفضيلة والعفاف في نفوس هؤلاء الرجال، ووليدا طبيعيا
لالتقاء العاطفة الدينية ونزعة الغريزة الجنسية في نفوس المؤمنين الصادقين.

وقد اختصت بوادي نجد والحجاز بهذا اللون من الحب لأنها الأرض التي يقطنها أبناء الجيل الذين نشأَتهم الصحابة والمتابعون فاكتملت نشأتهم، ولأنها موطن المثل والتقاليد البدوية، ولأن أهل الحجاز قد جبلوا على الظرف، وشاع بينهم روح التسامح حتى بين فقهاءهم الكبار، كسعيد بن المسيب مفتي المدينة، وسيد التابعين الذي وصفه الإمام أحمد بن حنبل بقوله: سعيد بن المسيب أفضل التابعين، وكان يفتي وأصحاب رسول الله أحياء.

لقد كان هذا العالم الجليل يجب إنشاد شعر الغزل، ويحكم بجودته أحيانا، حتى قال جامع بن مرخية الكلابي:-

سألت سعيد بن المسيب مفتي ال

مدينة هل في حب ظمياء من وزر

فقال سعيد بن المسيب: إنما

تلام على ما تستطيع من الأمر

فلما سمعها ابن المسيب قال: والله ما سألتني أحد عن هذا، ولو سألتني ما كنت أجيب إلا به. (73*)

وقال عبد الله بن عمر العمري: خرجت حاجا، فرأيت امرأة تتكلم بكلام أفحشت فيه، فأدريت ناقتي ثم قلت لها: يا أمة الله، ألسنت حاجة؟ أما تخافين الله؟ فسفرت عن وجهه يبهز الشمس حسنا، ثم قالت: تأمل يا عم، فإني من عناء العرجى بقوله:-

أما طت كساء الخزعن حروجهها

وأدنت على الخدين بردا مهلهلا

من اللائي لم يحججن يبغين حسبة

ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال: فقلت لها: فإني أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار.

وبلغ سعيد بن المسيب، فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها: أغربي قبحك الله، ولكنه ظرف أهل الحجاز. (74*) وعندما قيل له: إن قوما بالعراق يكرهون الشعر. قال: نسكوا نسكا أعجميا. (75*)

ومنهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أحد رجال المدينة السبعة المقدمين في الفقه والنسك والعبادة، وكان من شعراء الغزل العذري

في زمانه وحين قيل له: أنقول الشعر في فضلك ونسكك ؟ أجابهم : . إن
المصدور إذا نفث برأ .
ومن شعره قوله :-

أأتترك آتيان الحبيب تأثما

ألا إن هجران الحبيب هو الإثم (76*)

وغزل فقيه المدينة ومحدثها عروة بن أذينة معروف مشهور، إذ لم يعرف
من شعره غير غزله، ومثله ناسك مكة وقارئها عبد الرحمن الجشمي
الملقب بالقس لعبادته.

ومعظم الباحثين المعاصرين الذين تحدثوا عن ظاهرة الحب العذري
وأشعاره عللوها بأثر الإسلام، وإنه أشرك بعضهم مع الإسلام عوامل أخرى
ثانوية كالسياسة والفقر وجمال الطبيعة.

فالدكتور شوقي ضيف علل تلك الظاهرة بالإسلام فقال: ولا شك في
أن تفسير موجة الغزل العذري يرجع إلى الإسلام الذي طهر النفوس،
وبرأها من كل إثم وكانت نفوس أهل بوادي نجد والحجاز ساذجة لم تعرف
الحياة المتحضرة في مكة والمدينة، ولا ما يطوي فيها من لهو وعبث، ومن
تحلل أحيانا من قوانين الخلق الفاضل. (77*)

وأرجع الدكتور يوسف خليف هذا الغزل إلى اثر الإسلام أيضا حيث
قال: كانت هذه الحياة الإسلامية سببا في أن يصبح هذا اللون من الحب
اللون الأول في لوحة الحياة البدوية الإسلامية.

فالإسلام هو الذي حال بين عرب البادية وبين ألوان الحب الأخرى
الحسية، فلم يجدوا لعواطفهم متنفسا إلا في هذا الحب العفيف الذي لا
يجرمه الدين الجديد ولا ينكره. (78*)

ويرى الدكتور شكري فيصل أن هذا اللون من الغزل ما كان له أن يظهر
إلا في العصر الأموي حيث اكتملت نشأة الجيل الذي مازجت التربية
الإسلامية أعماقه وخالطت دماءه، وظللت طريقه.

ويرى أن الغزل العذري يجب أن يكون أثرا لتربية جيل جديد تربية
صادقة صارمة. (79*)

فهو أذن صدى لتعاليم الإسلام التي تربي هؤلاء الشعراء في كنفها .
وقد توصل الدكتور احمد عبد الستار الجواري، بعد بحث طويل وتحقيق

دقيق، إلى إن هذا الحب ظاهرة اجتماعية جديدة نتجت عن التطور الذي أحدثه الإسلام في نفوس العرب، وير نقطة البدء في تاريخ العواطف في المجتمع الإسلامي.^(80*)

ويقرر الدكتور غنيمي هلال اثر الإسلام في نشأة هذا الغزل فيقول: كان للدين تأثير في هذا الحب، وطبعه بطابعه فلم يكن ذلك النوع من الحب ليجد لو لم يغز قلوبا عامرة بالعقيدة مؤمنة بالروح وبالدار الآخرة، تعتق فضيلة الزهد، وتؤمن بجهاد النفس، وتنتظر الثواب على العفاف في الحب.^(81*)

أما الدكتور عبد القادر القط فيرى أن نشرك عوامل أخرى مع الدين لكي نقدم صورة أكثر اكتمالا وشمولا لنشأته، فيقول:- إن العفة لا تكفي وحدها لنعلل بها نشأة هذا الشعر بمقوماته العامة، وظهور هذه الطائفة من الشعراء الذين يدورون جميعا في فلك التجربة العاطفية وحدها، ولعلنا لو التمسنا بعض الأسباب الأخرى إلى جانب هذا السبب الديني، نستطيع أن نقدم صورة أكثر اكتمالا وشمولا لتلك النشأة.^(82*) فهو إذن يحاول التماس أسباب أخرى، وقد ذكر السبب الاجتماعي والسبب السياسي والسبب الحضاري، إلا انه لم يغفل التفسير الديني بل أعطاه الصدارة في تعليقه.

وقد سبق هؤلاء جميعا الدكتور طه حسين عندما اقر بالتعليل الديني، ولكنه غلفه بالفقر أيضا، حين قال: كان أهل مكة والمدينة يائسين، ولكنهم أغنياء، فلهم كما يلهو كل يائس، وكان أهل البادية الحجازية يائسين، ولكنهم كانوا فقراء، فلم يتح لهم اللهو، وقد حيل بينهم وبين حياتهم الجاهلية، وقد تأثروا بالإسلام وبالقرآن خاصة، فنشأ في نفوسهم شيء من التقوى ليس بالحضري الخالص، وليس بالبدوي الخالص، ولكن فيه سذاجة بدوية، وفيه رقة إسلامية، وانصرف هؤلاء الناس عن حروبهم وأسباب لهوهم الجاهلي، كما انصرفوا عن الحياة العملية في الإسلام إلى أنفسهم، فانبكوا عليها واستخلصوا منها نغمة لا تخلو من حزن، ولكنها نغمة زهد وتصوف، وأنا اعلم إن لفظ التصوف هنا لا يؤدي معناه الذي أريده، فقل: انهم انصرفوا إلى شيء من المثل الأعلى في الحياة الخلقية، وظهر هذا الزهد الديني الخالص الذي تجد له صدى في أشعار الخوارج.

والآخر هذا الغزل العفيف الذي هو في حقيقة الأمر مرآة صادقة لطموح هذه البادية إلى المثل الأعلى في الحب من جهة، ولبراءتها من ألوان الفساد التي كانت تغمر أهل مكة والمدينة من جهة أخرى. (83*)

وقد تحدث زميلنا الدكتور محمد حسن عبد الله في كتابه (الحب في التراث العربي) حديثاً مسهباً ومفصلاً عن آراء القدامى والمستشرقين والعرب المعاصرين في نشأة الحب العذري. (84*) وبالإضافة إلى اثر الإسلام في نشأة هذا اللون من الشعر، فإننا نحس في ثناياه جواً دينياً غامراً، وفي ألفاظه تأثراً إسلامياً واضحاً، وفي معانيه أفكاراً ومفاهيم دينية تنم عن ثقافة وعقيدة أصحابه.

إننا نشعر بنفحات دينية وجو ديني عندما نقرأ قول قيس بن ذريح: (85*)
إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا إلى الله فقد الوالدين يتيم أو قول جميل الذي يتضرع إلى الله شاكياً هجران حبيبته، ويدعوها إلى تقوى الله في معاملته: (86*)

إلى الله أشكولاً إلى الناس حبها
ولا بد من شكوى حبيب يروع
ألا تتقين الله فيمن قتلته
فأمسى إليكم خاشعاً يتضرع
فيا رب حببني إليها واعطني ال
مودعة منها، أنت تعطي وتمنع
وفي غزل ابن الطثرية لون واضح من الروح الدينية، حيث يقول: (87*)
وإني لداعي الله في ساعة الضحى
عليك وداع جنح كل أصيل
ومحتضن ركن الإيمان ومشتك
إلى الجانب الغربي صعد عويلي
ويتحدث جميل عن الحدود الشرعية التي تقام على مخالف تعاليم الدين، وأنه يستحق تلك الحدود إن كان في الحب حدود، حيث أنه موقن
بالا مخالفة في حبه، فيقول: (88*)

لئن كان في حب الحبيب حبيبته
حدود لقد حلت على حدود

وتأثر هذا الغزل بالألفاظ والمصطلحات الإسلامية الجديدة واضح، فقد تكررت فيه ألفاظ الصلاة والسجود، والجنة والنار، والشرك والإيمان، والجهد والشهيد، والشيطان والملائكة. مثل قول جميل: (89*)

أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها
لي الويل مما يكتب الملكان
أو قوله:-

لا والذي تسجد الجباه له
مالي بما دون ثوبها خبر
وقد ترك الإسلام أثرا واضحا في مفاهيم وتصورات وأفكار الشعراء العذريين، فهم مؤمنون بأن ما فيهم من حب هو قدر من الله مكتوب، ولا يستطيعون له ردا، يقول جميل: (90*)

لقد لا مني فيها أخ ذو قرابة
حبيب إليه في نصيحته رشدي
فقال: أفق، حتى متى أنت هائم
ببثينة. فيها لا تعيد ولا تبدي ؟
فقلت له: فيها قضى الله ما ترى

عليّ، وهل فيما قضى الله من ردّ؟
ولا يكتفي قيس بن الملوح بترديد هذه الفكرة، بل يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يجعل هذا الحب لونا من ألوان الابتلاء الرباني، خصه الله به من بين العالمين، فيقول:- (91*)

خليلي، لا والله لا املك الذي
قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري، وابتلاني بحبها
فهلا بشيء غير ليلى ابتلاني

وهم مؤمنون بأنهم مجموعون مع من يحبون، يوم القيامة، موقنون بما حدث به رسول الله * «المرء مع من أحب».

وقد عبروا عن هذا اليقين في أشعارهم، فيقول عروة بن حزام الذي يعد من أوائل العذريين، حيث عاش في زمان الخليفة عثمان: (92*)

وانى لأهوى الحشر إذ قيل أننى
وعفراء يوم الحشر ملتقيان
ونكاد نحس بمشاعر الرضا بقدر الله، وما كتب على هؤلاء المحبين
ونلمس صبر المؤمنين على ما ينزل بهم من ماس، ويصب عليهم من مصائب.
كقولهم (93*):

فوالله ما أبكي على يوم ميتتي
ولكنني من وشك بينك اجزع
فصبراً لأمر الله إن حان يومنا
فليس لأمر حمه الله مدفع
وفي أبيات قيس بن ذريح فهم عميق لحقيقة إرادة الله، وشعور فياض
بالقناعة والرضا للذين أشاعهما الإسلام في نفوس أتباعه، حيث
يقول: (94*)

تبكي على لبنى وان تركتها
وكنت كآت غيه وهو طائع
فلا تبكين في اثر شيء ندامة
إذا نزعته من يديك النوازع
فليس لأمر حاول الله جمعه
مشت، ولا ما فرق الله جامع
ومما سبق يتضح بأن التدين أو الزهد أو المكانة العلمية الشرعية، كل
ذلك لم يقف حائلاً دون الاستماع إلى الغزل العف الطاهر الرقيق، والتأثر
به، بل حتى نظمته وإنشاده من قبل الفقهاء أحياناً. وان الإسلام قد ترك
بصمات واضحة في أشعار فريق من شعراء الغزل المسمى بالعذري، ويتضح
ذلك في الألفاظ والتعبير، وفي التصورات والأفكار.

أما الأغراض التقليدية التي كانت معروفة عندما جاء الإسلام، كالفخر
والهجاء والمديح والثناء، فقد استمر الشعراء ينظمون فيها، مع تغيير واضح
طراً على الأهداف وتعديل كبير ادخل على الألفاظ والمعاني، وتحكيم مقياس
جديد لكل تلك الأغراض وهو الإسلام وتعاليمه، والنقلة الحضارية الكبيرة
التي انتقل إليها المجتمع العربي. ويتجلى اثر الإسلام الكبير في تلك الأغراض
كالآتي:-

الفخر والحماسة:

كانت أشعار الفخر والحماسة في صدر الإسلام أكثر الأغراض الشعرية صلة بالإسلام، لما للجهاد من مكانة في الحياة الإسلامية الجديدة، إذ كان معظم الشعراء من الأبطال المحاربين، شاركوا في المعارك بسيوفهم وأشعارهم.

وقد تطور هذا الفن الشعري على أيدي الشعراء الإسلاميين تطوراً كبيراً، يمكن أن نلمسه عندما ننظر إلى المآثر التي فخر بها أولئك الشعراء.. فلم يعد الشاعر يفخر بإعلاء كلمة القبيلة أو رفع شأنها، ولا بكسب المغنم أو سبي الأعداء.. بل صار يفخر بنيل الشهادة في سبيل الله، ويتأييد الملائكة لجند الله، ويانتصار المؤمنين الصادقين، نحو قول كعب بن مالك:- (95*)

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد

فيه مع النصر ميكال وجبريل

أن تقتلونا فدين الله فطرتنا

والقتل في الحق عند الله تفضيل

كما فخروا بالدين الجديد، وبهداية الله، يقول العوام بن جهيل:- (96*)

من مبلغ عنا شأمي قومنا

ومن حل بالأجواق سرّاً وجهراً

بأننا هدانا الله للحق بعدما

تهود منا حائر وتنصرنا

ولم يعد الشاعر يفخر بقومه على أساس قبلي، وإنما صار الفخر يقوم الشاعر باعتبارهم أنصار الإسلام، وحملة دعوته الأوائل، الذين اختارهم الله من بين البرية، ليقودوا الناس من الظلمة إلى النور، يقول حسان:- (97*)

الله أكرمنا بنصر نبيه

وبنا أقام دعائهم الإسلام

وبنا اعز نبيه ووليه

وأعزنا بالنصر والإقدام

نحن الخيار من البرية كلها

ونظامها وزمام كل زمام

وكرر قيس بن سعد بن عبادة هذا اللون الجديد من الفخر، فأكد فضل

قومه الأنصار: (98*)

هذا اللواء الذي كنا نخصّ به
مع النبي وجبريل لنا مدد
ماضر من كانت الأنصار عيبته
أن لا يكون له من غيرهم أحد
وتعد قصيدة النعمان بن العجلان سجلا كاملا لمفاخر الأنصار التي
خدموا بها الإسلام ومنها: (99*)

نصرنا وأوينا النبي ولم نخف
صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا: مرحباً بكم
وأهلاً وسهلاً قد آمنت من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا
كقسمة أيسار الجذور على الشطر
ونكفيكم الأمر الذي تكرهونه
وكنا أناساً نذهب العسر باليسر
وكان العباس بن مرداس أكثر الشعراء إلحاحاً على تأكيد الفخر بقومه،
على أساس إسلامي جديد، فقد نظم في يوم حنين العديد من القصائد
التي تزرخ بالاعتزاز بقومه، وتفيض بالإشادة بفضائلهم، وبما قدموا في
سبيل الإسلام، كقوله: (100*)

دع ما تقدم من عهد الشباب فقد
ولّى الشباب وزار الشيب والزعر
واذكر بلاء سليم في مواطنها
وفي سليم لأهل الفخر مفتخر
قوم هم نصرُوا الرحمن واتبعوا
دين الرسول وأمر الناس مشتجر (101*)

وظل يردد هذا اللون من الفخر في حنين، حتى بلغت أشعاره تسع
قصائد في مائة واثنين وثلاثين بيتاً. وكان الشعراء يفخرون بنعمة الإسلام
التي خصهم الله بها، واسبغها عليهم، ثوب عز في الدنيا، ونعيماً مقيماً في
الآخرة، كما يقول النابغة الجعدي: (102*)

وعمرت حتى جاء احمد بالهدى
وقوارع تتلى من القرآن
ولبست الإسلام ثوباً واسعاً
من سيب لا حرم ولا منان
وكانت صلة الشاعر أو قومه برسول الله ﷺ، وحضورهم أو حضور
آبائهم بين يدي رسول الله *، أو مبايعته، شرفاً لهؤلاء الشعراء، أنطقهم
بالفخر، ودعاهم إلى الزهو، يقول عبد الرحمن بن صفوان مزهوا بمكانة
أبيه لدى رسول الله *:- (103*)

وأنا ابن صفوان الذي سبقت له
عند النبي سوابق الإسلام
ويفخر بحر بن ضبع بمبايعة جده، ومصافحته رسول الله *:- (104*)
وجدي الذي عاوى الرسول يمينه
وخبت إليه من بعيد رواحله
ويؤكد العباس بن عصيم هذا الشرف، ويزداد شرفاً بموقف عمه
أيضاً:- (105*)

عصيم أبى زار النبي محمداً
وعمي سواء قل هذا التفاضل
ولما دعا داع لدين محمد
وفدنا فمننا كان ايمن زائر
وفي العصر الأموي واصل الشعراء النظم في هذا المنحى أيضاً، فقال
الفرزدق:- (106*)

ومنا رسول الله أرسل بالهدى
وبالحق جاءت باليقين نوادره
وقال في موضع آخر من شعره:-
ومنا نبي الله يتلو كتابه
به دوخت أوثانها ويهودها
ويؤكد عروة بن أذينة هذا الشرف العظيم في مواضع عديدة من قصائده،
فيقول:- (107*)

منا الرسول نخير الناس كلهم

ولا نحاشي من الأقوام إنسانا

ويقول أيضا:

منا الرسول وأهل الفضل أفضلهم

منا وصاحبه الصديق في الغار

وصار الدين وازعا قويا جديدا يردع الناس عن التردى في الرذيلة،
ويسموهم ويدفعهم إلى مكارم الأخلاق والفضيلة، واعترف الشعراء بأثر
هذا الوزع الجديد، وفخروا به دافعا جديدا يضاف إلى العادات الحسنة،
وتقاليدهم الخيرة.

قال الشاعر بيهس بن صهيب:-(108*)

ما ينبح الكلب ضيفي، قد أسب إذا

ولا أقول لأهل: أطفئوا النارا

من خشية أن يراها جائع صرد

إنني أخاف عقاب الله والنار

ويبرز أبو الأسود الدؤلي اثر الإسلام في رده عن الجهل والغواية،

فيقول:-(109*)

إنني لثنييني عن الجهل والخنا

وعن شتم ذي القربى خلألق أربع

حياء وإسلام وبقيا، وأنني

كريم، ومثلى قد يضر وينفع

ويسير على خطاه شاعر أموي هو البحري بن أبي صفرة فيقول:-(110*)

وأني لتنهاني خلألق أربع

عن الفحش فيها للكريم روادع

حياء وإسلام وشيب وعفة

وما المرء إلا ما حبته الطبائع

ويقول شاعر أموي آخر مفتخرا، وهو زيد بن الحكيم:-(111*)

شريت الصبا والجهل بالحلم والتقى

وراجعت عقلي والحليم يراجع

أبى الشيب والإسلام أن اتبع الهوى

وفي الشيب والإسلام للمرء وازع

المدح:

كانت نظرة المسلمين في صدر الإسلام إلى المدح بأنه مظهر من مظاهر الأبهة والتعظيم والكبرياء، وهي صفات نهى عنها الدين، بل أوصى بضدها، ولذلك قل ما وصل إلينا من شعر المدح في تلك الفترة بالنسبة إلى الأغراض الأخرى.

وحينما اختلفت الحياة بعد الإسلام عما كانت عليه في الجاهلية، وأصبح للمسلمين قائد هو الرسول ﷺ ومن بعده الخليفة في عصر الراشدين والأمويين، كان لا بد أن يتوجه المدح إلى شخص القائد أولاً، ثم من يليه من الحكام، ولا بد أن يكون ثمة فرق بين أن يمدح الشاعر الجاهلي شيخ القبيلة، وأن يمدح الشاعر الإسلامي الرسول أو الخليفة أو الوالي المسلم، فقد تغيرت أسس الحكم والقيادة وتبدلت كثير من القيم الأخلاقية والاجتماعية.

ومع أن الرسول ﷺ كان راغباً عن مدح الشعراء وموجهاً كل همه إلى صرف الشعراء نحو تأكيد أسس الدين الجديد، وإلى نشر الرسالة بين الناس، والتمكين لها في أرجاء الأرض، فإن بعض الشعراء أبوا إلا مدحه، وكانت مدائحهم له أقرب إلى الشعر السياسي منها إلى المدح التقليدي، فقد حاول هؤلاء الشعراء من خلال مدحهم تأكيد جملة من المبادئ والأسس الإسلامية التي أراد رسول الله أرساها في أذهان الناس عند بدء الدعوة، تلك الأسس والمفاهيم المتجسدة في سيرته الشريفة، منها هداية الرسالة الإسلامية التي بشر بها رسول الله قومه قريشا والعرب المحيطين به أولاً، ثم البشرية كافة بعد ذلك على نحو ما نرى في قول كعب بن مالك وهو يمدح الرسول ﷺ: (112*)

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه

نور مضيء له فضل على الشهب

بدا لنا فاتبعناه نصدقه

وكذبوه فكنا اسعد العرب

وقول أسيد بن أناس فيه: (113*)

وأنت الفتى تهدي معداً لدينها

بل الله يهديها وقال لك اشهد

وحاولوا تأكيد صلة الرسالة الإسلامية بالسماء، وأنها وحي من الله،
انزل على محمد لتبليغ الناس، قال كعب بن مالك: (114*)

وفينا رسول الله نتبع أمره
إذا قال فينا القول لا نتطلع
تدلى عليه الروح من عنده
ينزل من جو السماء ويرفع
ويؤكد الشاعر أصيد بن سلمة هذه الصلة، وأن الله هو الذي بعث
محمدًا لبليغ رسالة الرحمة إلى من في الأرض: (115*)
إن الذي سمك السماء بقدره
حتى علا في ملكه فتوحدا
بعث الذي لا مثله فيما مضى

يدعو لرحمته النبي محمدًا
أما الأمر الثالث الذي حاول شعراء الإسلام تأكيده من خلال مدحهم
رسول الله، فهو صلاحية الرسالة التي كان يبشر بها، فهي هداية للناس في
الدنيا، وإنقاذ لهم من سوء المصير في الآخرة، وفي ذلك طرف من الدعاية
للدين الجديد، ونشر لمفاهيمه بأسلوب مبتكر يقول كعب بن مالك:-

فمن يتبعه يهد لكل رشد
ومن يكفر به يجر الكفور
ويقول في قصيدة أخرى:- (116*)

الحق منطقته والعدل سيرته
فمن يجبه إليه ينج من تب
أما حين كان الشعراء يمدحون الخلفاء من بعد الرسول، فإنهم كانوا
يصورون الجوانب المضيئة من سيرتهم، حين يطبقون تعاليم القرآن، ويسيرون
على هدي سيرة الرسول. فعندما أراد عمرو بن عاصم أن يمدح الخليفة
عثمان بن عفان، قال:- (117*)

إن ابن عفان الذي جريتم
فطم اللصوص بمحكم الفرقان
ما زال يعمل بالكتاب مهيمنا
في كل عنق منهم أوبنان

وفعلوا الشيء نفسه مع بقية الممدوحين من غير الحكام، وعدوا اقتداء الممدوح بالرسول، والسير على مناهجه، من اعظم المناقب التي يمدح بها الرجال. قال حسان يمدح الزبير بن العوام: (118*)

أقام على عهد النبي وهديه
حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على مناهجه وطريقه

يوالي ولي الحق والحق اعدل
وفي العصر الأموي حاول الشعراء إبراز الجوانب الدينية في ممدوحهم من الحكام، للصلة الوثيقة بين الحاكم والدين، ولأن الحاكم كان يمثل السلطة الدينية والدنيوية في آن واحد، فتباروا في إبراز تلك الصفات الرفيعة في الممدوحين، حتى وان افتقروا الويها، ولعلمهم كانوا يقصدون إلى رسم النموذج الإسلامي الذي يجب أن يتحلى به الحاكم المسلم، ليتعمق في سلوك من يطبقه منهم فعلا، وليقترب منه من كان بعيدا عنه من الحكام، وأشعارهم في ذلك دعوة صريحة لكل المسلمين الذين يستمعون إليهم، ليتحلوا بتلك الصفات وليعملوا على نشرها بين صفوف مجتمعهم .
فعندما أراد عبد الله بن الحشر أن يمدح أحد الأمراء الأمويين قال: (119*)

أقام لأهل الأرض دين محمد
وقد أدبروا وارتاب كل مضلل
فما زال حتى قوم الدين سيفه
وعزّ بحزم كل قمر محجل

أما شعراء الأحزاب السياسية فكانوا يتسابقون إلى إضفاء أكبر مقدار من المناقب الدينية على ممدوحهم، من قادة ورجال الأحزاب التي يؤيدونها. فشعراء الحزب الأموي الحاكم بالغوا إلى درجة كبيرة في إثبات تلك المناقب لرجال بني أمية فقال الفرزدق يمدح يزيد بن عبد الملك: (120*)

ولو كان بعد المصطفى من عباده
نبي لهم منهم، لأمر العزائم
لكنت الذي يختاره الله بعده
لحمل الأمانات الثقال العظام

ويقول في الأمويين:-
ورثتم خليل الله كل خزانة
وكل كتاب بالنبوة قائم
بحكم الذي فوق السماوات عرشه
بما في ثري سبع من الأرض عالم
ويمدح سليمان بن عبد الملك فيقول: (121*)
وبالمسجد الأقصى الإمام الذي اهتدى
به من قلوب الممترين ضلالها
به كشف الله البلاء وأشرق
له الأرض والآفاق نحس هلالها
وينتقل إلى مدح الأمويين فيقول:-
وجدنا بني مروان أوتاد ديننا
كما الأرض أوتاد عليها جبالها
وانتم لهذا الدين كالقبلة التي
بها أن يضل الناس يهدي ضلالها
ويصور النابغة الشيباني يزيد بن عبد الملك بأنه الإمام التقي الورع
الذي يقطع الليل نحيبا وابتهاالا، وتلاوة للقران، فيقول: (122*)
وحباه المليك تقوى وبراً
وهو من سوس ناسك وحمال
يقطع الليل آهة وانتحاباً
وابتهاالا لله أي ابتهاال
تارة راكعاً وطوراً ساجوداً
ذا دموع تنهل أي انهلال
وله نوبة إذا قام يتلو
سوراً بعد سورة الأنفال
ويمدح جرير الوليد بن عبد الملك بمثل هذه المناقب: (123*)
فأنت لرب العالمين خليفة
ولي لعهد الله بالحق عارف
هداك الذي يهدي الخلائق للتقى

وأعطيت نصراً لم تنله الخلائف
 وكان عمر بن عبد العزيز أوفر الخلفاء الأمويين حظاً في تلك المدائح،
 لما عرف عنه من عدل وصلاح وتقوى، وتطبيق للشرعية، وتزخر أكثر دواوين
 الشعراء الأمويين الذين أدركوا عصره، بمدحه وتجسيد مناقبه الإسلامية.
 ومن تلك المدائح قول كثير عزة، وهو معروف باتجاهه العلوي: (124*)
 وأظهرت نور الحق فاشتد نوره

على كل لبس بارق الحق مظلم
 وصدقت بالفعل المقال مع الذي
 أتيت فأمسى راضياً كل مسلم
 تكلمت بالحق المبين وإنما
 تبين آيات الهدى بالتكلم
 وما زلت تواقاً إلى كل غاية
 بلغت بها أعلى البناء المقدم
 فلما أتاك الملك عضوا ولم يكن
 لطالب دنيا بعده من تكلم
 تركت الذي يفنى وإن كان موقفاً
 وآثرت ما يبقى برأي مصمم
 ومنها قول جرير فيه أيضاً: (125*)

أنت المبارك والمهدي سيرته
 تعصي الهوى وتقوم الليل بالسور
 أصبحت للمنبر المعمور مجلسه
 زينا وزين قباب الملك والحجر
 نال الخلافة إذ كانت له قدرا

كما أتى ربه موسى على قدر
 أما مديح الخوارج فنادوا ما يوجه إلى شخص بذاته، وإنما كان يوجه
 إلى المجموع، لأنهم قوم تشابهوا في سلوكهم، وتوحدوا في خصالهم، فحين
 يمدح مجموع الخوارج فإنما يعني ذلك مدح كل واحد منهم .
 وطبيعي أن تكون المناقب التي يمدحون بها تعبيراً عن تقواهم، وعبادتهم
 وحبهم للموت، وكرهيتهم للحياة الناعمة المترفة، يقول عمر بن الحصين

العنبري:- (126*)

في فتية صبروا نفوسهم
 للمشرفية والقنا السمر
 متأهبون لكل صالحة
 ناهون من لاقوا عن النكر
 إلا تجيئهم فأنهم
 رجف القلوب بحضرة الذكر
 متأوهون كأن جمر غضى
 للموت بين ضلوعهم يجري
 تلاقاهم، ألا كأنهم
 لخشوعهم صدروا عن الحشر (127*)
 فهم كأن بهم جوى مرض
 أو مسهم طرف من السحر
 لا ليالهم ليل فيلبسهم
 فيه غواشي النوم بالسكر
 كم من أخ لك قد فجعت به
 قوام ليلته إلى الضجر
 متأوها يتلو قوارع من
 أي الكتاب، مقرح الصدر
 نصب تجيش بنات مهجته
 م الخوف، جيش مشاشة القدر
 ظمآن وقدة كل هاجرة
 تراك لذته على قدر

وعندما ندقق النظر في مدائح شعراء العلويين نجدها صورا ناطقة
 بالمناقب الدينية التي اسبغها الشعراء على رجال بني هاشم ، على نحو ما
 نرى في مديح أيمن بن خريم الأسدي للهاشميين، وكان يتشيع
 لهم: (128*)

نهاركم مكابدة وصوم
 وليالكم صلاة واقتراء

وليتم بالقرآن وبالتزكي
فأسرع فيكم ذاك البلاء
أجعلكم وأقواماً سواء
وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم
لأرؤسهم وأعينهم سماء

وسبق أن تحدثنا عن هاشميات الكميث، التي كرس شعره فيها مدح بني هاشم، أصل الحزب العلوي والشيعة فيما بعد. وهي زاخرة بالمناقب الدينية التي اقتبسها الشاعر من القرآن الكريم.

والى جانب هذا اللون السياسي من المديح، استحدث لون جديد من المديح، توجه به الشعراء إلى الذات الإلهية، معترفين بقدرته، مشيدين بأفضله، مقرين بإنعامه على المخلوقات كافة، وهو أقرب إلى الدعاء منه إلى المديح، فقد اتخذ الشعراء من الأساليب والألفاظ التي يرددونها المؤمنون في صلواتهم وعباداتهم وسيلة لذلك المديح، كالذي نراه في قول حسان: (129*)

وأنت اله الخلق ربي وخالقي
بذلك ما عمرت في الناس اشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا
سواك إلهاً أنت أعلى وامجد
لك الخلق والنعماء والأمر كله
فإياك نستهدي وإياك نعبد
ومثله قول عبد الله بن أبي رهم: (130*)

وأقول إذ طرق الصباح بغارة
سبحانك اللهم رب محمد
سبحان ربي لا إله غيره
رب العباد ورب من يتورد

وابتكر الشعراء لونا جديدا من المديح اختصوا به رسول الله ﷺ بعد وفاته، تعبيرا عن عواطفهم الدينية، وتقربا إلى الله تعالى بنشر محاسن الدين، والثناء على شمائل الرسول، أطلق عليه المدائح النبوية، ومن المعروف أن ما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء، ولكنه في الرسول يسمى مدحا كأنهم

لحظوا أن الرسول ﷺ موصول الحياة، وانهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء. (*131)

وثمة ألفاظ تتكرر في هذه المدائح كأنها مصطلحات يجب الالتزام بها في هذا اللون من المدائح الذي يسمى أحياناً (البديعات) أيضاً، من مثل وصف الرسول ب (الهدى) ولفظة (الطريقة) وجملة (صلى الإله) وكلمة (طيبة). (*132)

وتسود أشعار المدائح النبوية نزعة صوفية حيث يبدي الشعراء رغبة صادقة في أن ينالوا الثواب على تلك الأشعار، وأن يجمعهم الله مع حضرة الرسول الكريم في جنة الخلد، ليأنسوا بجواره، ويتشرفوا بقلائه، ويسعدوا بمصاحبته كقول حسان: (*133)

يا رب فاجمعنا معنا ونبيننا
في جنة تثنى عيون الحسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا
يا ذا الجلال وذا العلا والسودد
وتضرع إلى الله أن يحقق له تلك الأمنية العزيزة في قصيدة أخرى حيث قال: (*134)

وليس هوائي نازعاً عن ثنائه
لعلي به في جنة الخلد اخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره
وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد
وحسان خليق بأن يسمى رأس البديعيين، فهو الذي بدأ الشعر في المديح النبوي (*135) وبعده كعب بن زهير بن أبي سلمى. وقد سارت مديحه كعب على الزمان، وقلدها كثير من الشعراء على مر العصور. فعارضوها وشطروها وخمسوها، وكثرت شروحها. الهجاء:
سبق أن ذكرنا أن الرسول * كان يشجع شعراء المسلمين في صراعهم مع مشركي قريش.

فحين التحم الفريقان باللسان والسنان، ودفع كل فريق بشعرائه إلى المعركة، ندب من توسم فيهم القدرة من أصحابه لهجاء المشركين، ووجههم إلى حيث يؤثرون فيهم ، ويشفون صدور المؤمنين.

لقد اقترن الهجاء بالقتال في سبيل الدعوة كما قال حسان: (136*)

لنا في كل يوم من معدٍّ
سباب أو قتال أو هجاء فنحكم
بالقوافي من هجانا ونضرب
حين تخطط الدماء

فازدهر فن الهجاء بنوعيه، الفردي والجماعي، وبرز شعراء مسلمون في هذا الميدان، ولكنه اختلف عن الهجاء القديم، إذ لم يكن تسرعاً بالشعر إلى إعراض الناس، ولا قذفاً بألوان الشتائم والمساوئ، وإنما كان هجاءً لمن ضل عن طريق الحق وتكب سبيل الهداية.

ومع ذلك فلم يترسم الشعراء طريقة القرآن في هجاء المشركين والمنافقين واليهود.

فالقرآن قد هجاهم بأسلوب جديد، يعتمد تسفيه معتقداتهم، ومناقشة حججهم ثم إبطالها بعد كشف زيفها وتهافتها، وفضح ما يسرون وما كانوا به يتآمرون.

فمن هجاء القرآن للمشركين أن أمية بن خلف كان إذا رأى رسول الله * همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى فيه: «ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالا وعدده، يحسب أن ماله أخلده، كلا لينبذن في الحطمة، وما أدراك ما الحطمة، نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة. إنها عليهم مؤيدة في عمد ممددة» (137*)

وقصة أبي لهب وزوجته مشهورة في كتب السيرة، فنزلت بحقه وحق زوجته أم جميل بنت حرب (حمالة الحطب) سورة «تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى نارا ذات لهب، وامراته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد» فلما سمعت أم جميل ما نزل فيها، وفي زوجها أتت أبا بكر، وفي يدها فهر (حجر) فقالت: يا أبا بكر: أين صاحبك ؟ فقد بلغني انه) يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله أني لشاعرة، ثم قالت:-

مذمماً عاصيننا
وأمره أبيينا
ودينه قايينا

ثم انصرفتم. (138*)

ومما هجي به المنافقون بعد أن خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ. فقال عبد الله بن أبي وكان رأس النفاق: انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فذهب وكان رأس النفاق: انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال: مرحبا بالصديق، سيد بني تيم ، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم اخذ بيد عمر، فقال: مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم اخذ بيد علي، فقال: يا بن عم رسول الله وختته، سيد بني هاشم ، ما خلا رسول الله ثم افترقوا، فقال ابن أبي لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت، فإذا رأيتموني فافعلوا كما فعلت، فأثثوا عليه خيرا، فرجع المسلمون إلى النبي * واخبروه بذلك. فنزلت الآيات في هجائهم ، وهي:-

«وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ، إنما نحن مستهزئون، الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى، فما ربحت تجارتهم، وما كانوا مهتدين»... إلى آخر الآيات. (139*)

أما اليهود فمما هجوا به، انهم كانوا يستفتحون على الأوس، والخزرج برسول الله * قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم بعض المسلمين: يا معشر اليهود، اتقوا الله، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد، ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته .

فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر، فانزل الله: «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين. بسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما انزل الله بغيا أن ينزل الله فضله على من يشاء من عباده، فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين. وإذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله، قالوا نؤمن بما أنزل علينا، ويكفرون بما وراءه، وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين، ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم

العجل من بعده وانتم ظالمون». (140*)

وبمثل هذه المناقشات المنطقية والحجج الدامغة كان القرآن يهجو أعداء الإسلام جميعاً، ويلزمهم الدليل، ويظهرهم بمظهر السفیه. ويتلخص أسلوب القرآن الجديد في هجائهم بطريقتين تختلفان في أسلوبيهما، وإن كانتا تنتهيان إلى غاية واحدة. يناقش حجتهما بالدليل العقلي وبالمنطق، فيورد أقوالهم ثم ينقضها عليهم، مبيناً تفاهماً وضعف ما تستند إليه.

والطريقة الثانية اعتماده على التاريخ، يروي منه ما يكسو خصومه العار، ويصور أن ضلالتهم واعتمادهم ليس بالشيء الجديد. وقد يعتمد على تصوير الحال وإبرازه مجسماً بالتمثيل أو بإلقاء الضوء على ما يتأمر به في الظلام. (141*)

فهل أفاد الشعراء من هذا الأسلوب الرائع في هجاء أعداء الإسلام؟ وهل استطاعوا أن يتمثلوا صور الهجاء القرآني، وهي ماثلة أمام أعينهم، ويتلوها المسلمون صباح مساء.

إن ما وصل إلينا من هجاء شعراء الإسلام لا ينبئ عن انتفاعهم من تلك الصور والأساليب إلا في القليل النادر. فمعظم أهاجيهم كانت استمراراً لأسلوب الجاهليين في التعبير بالألقاب والأخلاق الشخصية، وفي الحروب والأنساب لأنهم وجدوا أن الاستمرار بتلك الطريقة هو السبيل المؤثر في نفوس الأعداء.

فتصدى لهجاء المشركين وحلفائهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهما بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة. (142*)

ويظهر أن الرسول ﷺ لم ينه شعراءه عن هذا النهج من الهجاء بل كان يأمرهم به ويحثهم على سلوكه بمثل قوله: «قولوا لهم مثل ما يقولون لكم» (143*)

وفعلاً كانت طريقة حسان وكعب هي التي تؤذي القرشيين المكين، ولو

انهما رمياهم بالشرك وعبادة الأوثان لما نالا منهم، إذ كانت تلك عقيدتهم، وكانوا يعتزون بها. (144*) ومع ذلك فثمة ذرات إسلامية يمكن أن نلمسها في أشعار بعضهم، متأثرين بمنهج القرآن في هجاء الخصوم، فغبروهم بالشرك وعبادة الأوثان، وسوء المصير والمنقلب، وبالصد عن هدي الرسول، كقول كعب بن مالك، يهجو قريشا. (145*)

فكَبَّ أبُو جهل صريعاً لوجهه
وعتبة قد غادرته وهو عاثر
وشيبة والتيمى غادرن في الوغى
وما منهم إلا بذى العرش كافر
فأمسوا وقود النار في مستقرها
وكل كفور في جهنم صائر
وكان رسول الله قد قال: اقبلوا
فولّوا وقالوا: إنما أنت ساحر
وقوله في هجاء اليهود من بني النضير، حيث ناقشهم بما أوتوا من علم الكتاب، وبكفرهم وبإنكارهم نبوة محمد وتكذيبه. (146*)

لقد خزيت بغدرها الحبور
كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك انهم كفروا برب
عزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معاً فهماً وعِلماً
وجاءهم من الله النذير
فقالوا: ما أتيت بأمر صدق
وأنت بمنكر منا جدير
فقال: بلى، لقد أدّيت حقاً
يصدقني به الفهم الخبير
فلما أشربوا غدرًا وكفراً
وحاد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبيّ برأي صدق
وكان الله يحكم لا يجور

فأيده وسلطه عليهم
وكان نصيره نعم النصير
فتلك بنو النصير بدار سوء
أبارهم بما اجتروا المبير
وحاول حسان بن ثابت أن يمزج بين المنهجين في هجاء أبي سفيان بن
الحارث، فقال له:-

ولست بذئ دين ولا ذي أمانة
ولست بحر من لؤي ولا كعب
ولكن هجين ذو دناءة لمقرف
مجاجة ملح غير صاف ولا عذب
وهو نادرا ما ينفرد بالنهج الإسلامي الجديد في الهجاء، كقوله يعير
قريشا بتغريير إبليس إياهم، وبموالاتهم له وطاعته حيث قال:

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم
لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم
إن الخبيث لمن والاه غرار
وقال: إنني لكم جار فأوردهم

شر الموارد فيه الخزي والعار^(147*)
ومثل قوله يعير قريشا بطاعة الشيطان، وبنداء الشرك وشعاره:-^(148*)

طاوعوا الشيطان إذ أخزاهم
فاستبان الخزي منهم والفشل
حين صاحوا صيحة واحدة

مع أبي سفيان قالوا: اعل هبل
وهذا شاعر إسلامي آخر يعير المشركين بالعكوف على الأوثان،
فيقول:^(149*)

لحا الله أقواما أرادوا محمداً
بسوء، ولا أسقاهم ثوب ماطر
عكوفاً على الأوثان لا يتركونها
وقد أم دين الله أهل البصائر

ووجد شعراء الإسلام المخلصون في حركة الرزة، ونكوص المرتدين عن فرائض الإسلام وواجباته مدعاة للهجاء بأسلوب جديد، كقول عمارة بن قريط يهجو قومه بني عامر، لإبطالهم فريضة الصلاة، وامتناعهم عن أداء الزكاة:-(150*)

ثقلت صلاة المؤمنين عليكم
بني عامروالحق جد ثقیل
واتبعتموها بالزكاة وقلتم
ألا لا تقروا منهما بضتیل
فلا یبعد الله المهیمن غیرکم
سبیلکم فی کل شر سبیل
وسار معاذ بن یزید العامری علی هذا النهج فی هجاء قومه المرتدین،
فقال:-(151*)

بنی عامرأین الفرار
من الله والله لا یغلب
منعتم فرائض أموالکم
وترك صلاتکم اعجب
وکذبتم الحق فیما أتى
وان المکذب لأكذب
وقد نهى الإسلام عن الهجاء المقذع الذي یعتمد الفحش والقذف والسب الذي یقبح نشره، فقد جاء فی الحديث الشریف:
«من قال فی الإسلام شعرا مقذعا فلسانه هدر»
ونهى عن رواية هذا الشعر فقال: من روى هجاء مقذعا فهو أحد الشاتمین. أي أن إثمه کإثم قائله.-(152*)
وعندما أفدع ضابیء بن حارث البرجمی فی هجاء جدول بن نهشل،
وقال:-

وأمکم لا تتركوها وکلبکم
فان عقوق الوالدين کبیر
فرمى أمهم بالکلب، استعدادوا علیه عثمان بن عفان، فحبسه وقال: لو أن رسول الله * حی أتحبسبه نزل فیک قرآن. وما رأیت أحدا رمى قوما بکلب

قبلك . (153*)

ولعمر بن الخطاب موقف معروف من الهجاء المقذع، وتفسير خاص لمصطلح، يضيف لمعناه السابق معنى آخر، فهو يعني عنده التفضيل والمقارنة، إذ يدخل الشاعر بين الرجلين المتنافسين ليمدح واحداً، ويهجو الآخر، فيزهو الأول ويغلي الثاني حقداً، فيشتبك الرجلان ثم يقع بين حييهما مالا تحمد عقباه من الشرور والفتن.

وقد نهى الخطيئة عنه، ثم سجنه لتماديته فيه، وحين أخرجه من السجن قال له: إياك وهجاء الناس. قال الخطيئة: إذا يموت عيالي جوعاً، هذا مكسبي ومنه معاشي. قال فإياك والمقذع من القول. قال: وما المقذع. قال: أن تخير بين الناس فتقول:

فلان خير من فلان، وال فلان خير من آل فلان، قال: فأنت والله- أهجي مني. (154*)

وفي العصر الأموي تواجها كثير من أشعار الهجاء المتأثرة إلى حد بعيد بمثالية الإسلام، إذ كان الشعراء يهجون خصومهم بالبعد عن الدين، وبالانحراف عن مبادئه القويمية، كالذي نراه في هجاء جرير آل المهلب حيث رماهم بالتفريط في دينهم، وبطغيانهم طغيان ثمود، فأهلكوا بالطاغية:

آل المهلب فرطوا في دينهم

وطغوا كما فعلت ثمود فباروا

وعندما هجا الفرزدق، غير فالبعد عن مواطن العبادة، وبضعف الدين ورقته:-

ألا قبح الفرزدق كلما

أهل مصل للصلاة وكبرا

فلا يقربن المروتين ولا الصفا

ولا مسجد الله الحرام المطهرا

فانك لو تعطي الفرزدق درهما

على دين نصرانية لتنصرا

وعير بني قفيرة بارتكاب أكبر المحرمات وأعظمها، فلا يتقون منها شيئاً:-

أخزى الإله بني قفيرة انهم

لا يتقون من الحرام كؤودا

أما في هجائه للأخطل وقومه بني تغلب، فكان يعيرهم بنصرًا نيتهم ،
وبما وصفهم القرآن، فيقول:-

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد

وبجبرئيل وكذبوا ميكاالا

ويقارن بين صلاح قومه، وبعد قوم الأخطل عن الصلاح، وبين مصير
قوم الأخطل في الآخرة، ومصير قومه، فيقول:-

تغشى الملائكة الكرام وفاتنا

والتغلبى جنازة الشيطان

يعطى كتاب حسابه بشماله

وكتابتنا بأكفنا الأيمان (155*)

والهجاء بين الأحزاب السياسية لم يعد إثارة الأحقاد في النفوس، بل
صار نقاشًا يدور بين شعراء تلك الأحزاب السياسية، وجانبًا مهمًا من
جوانب الدعاية السياسية ضد الأحزاب المناوئة، والاتجاهات
المخالفة.

فعبيد الله بن قيس الرقيات، يعي خصومه بعدم الالتزام بكتاب الله أو
الانتهاز عما نهى عنه، ويحاججهم بعدم خضوعهم لله أو تقواه، فيقول: (156*)

أيها المستحل لحمي كله

من ورائي ومن ورائك الحسب

تختل الناس بالكتاب فهلا

حين تغتابني نهاك الكتاب

لست بالمخبت التقى ولا المح

ض الذي لا تذمه الأنساب

وحين يهجو الفرزدق خصوم الأمويين المحاربين إياهم، يرميهم بمثالب
البعد عن الدين، ويجردهم من الإيمان، ويهددهم بسوء المنقلب والمصير،
حين يقول وهو ينظر إلى أسلوب القرآن وآياته: (157*)

لا بارك الله في قوم، ولا شربوا

إلا أجاجا، أتونا من سجستانا

منافقين استحلوا كل فاحشة

كانوا على غير تقوى الله أعوانا

ألم يكن مؤمن فيهم فينذرهم
عذاب قوم أتوا لله عصيانا
وكم عصى الله من قوم فأهلكهم
بالريح، أو غرقا بالماء طوفانا
وعندما قتل مصعب بن الزبير زوجة المختار، ابنة الصحابي النعمان ابن
بشير، لم يعيره سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بالمثالب التي كانت شائعة
بين الشعراء وفق المقاييس القديمة، وإنما راح يعرض سيرة هذه المرأة
الطاهرة، ويسرد فضل وسابقة قومها الأنصار في الإسلام، ثم خلص إلى
القول بخروج قتلتها على الإسلام، وهذا الهجاء لون من الدعاية السياسية
ضد الزبيريين، قتلة هذه المرأة الأنصارية. قال:-^(158*)
أتى راكب بالأمر ذي النبأ العجب
بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب
بقتل فتاة ذات دل ستيرة
مهذبة الأخلاق والخيم والنسب
مطهرة من نسل قوم أكارم
من المؤثرين الخير في سالف الحقب
خليل النبي المصطفى ونصيره
وصاحبه في الحرب والضرب والكرب
أتاني بأن الملحدين توافقوا
على قتلها فتجنبوا القتل والسلب
فلا هنأت آل الزبير معيشة
وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب
كأنهم إذ أبرزوها وقطعت
بأسيا فهم فازو بمملكة العرب
ألم تعجب الأقوام من قتل حرة
من المحصنات الدين محمودة الأدب
من الغافلات المؤمنات بريئة
من الذم والبهتان والشك والكذب
وهجاء الخوارج الأمويين ينم عن تأثير كبير بأسلوب القرآن، وفهم دقيق

لمعانيه، فلما قسا عبيد الله بن زياد على الخوارج، وقتل منهم جماعة بينهم عروة بن أدية، خرج أخو عروة مرداس في أربعين رجلاً وأرسل إليهم ابن زياد ألفين فهزمهم مرداس، فقال قيس بن فاتك في ذلك: (159*)

أألفا مؤمن-فيما زعمتم-
ويقتلهم ب (أسك) أربعوناً ؟
كذبتهم ليس ذاك كما زعمتم
ولكن الخوارج مؤمنوننا
هم الفئة القليلة قد علمتم
على الفئة الكبيرة ينصروننا
وتأثر النص بأفكار الإسلام ومعانيه واضح، ويمكن أن نرى ذلك في كثير من النماذج الهجائية الأخرى سواء في الألفاظ أو المفاهيم .

النقائض :

سبق إن أشرنا في الصراع الشعري بين مكة والمدينة في عصر الرسالة إلى استغلال الشعراء فن النقائض في ذلك الصراع .
ومعروف إن النقائض لون من ألوان الهجاء الملتزم وإن أهم ما يعتمد عليه الشاعر في نقائضه نقض المعاني التي ترد في قصيدة الشاعر الآخر، وهناك عدة طرق يسلكها الشاعر للوصول إلى هذا الغرض، ليصل إلى الهجاء، منها :-

وطريقة التوجيه: يفسر فيها الشاعر الحادثة بما يؤيد موقفه .
فعندما فخر عمرو بن العاص بنصر قريش في أحد، وعجز المسلمين عن تحقيق هذا النصر، فقال: (160*)

خرجنا من الفيض عليهم كأننا
مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق
تمنت بنو النجار جهلاً لقاءنا
لدى جنب سلع والأمانى تصدق
فما راعهم بالشر إلا فجاءة
كراديس خيل في الأزقة تمرق

أرادوا لكما يستبيحوا قبابنا
 ودون القباب اليوم ضرب محرق
 كان رؤوس الخزر جيئ غدوة
 وإيمانهم بالمشرفية بروق
 ناقضه كعب بن مالك، وسلك طريقة التوجيه، ولئى يتخاذل لعدم انتصار
 المسلمين في أحد، بل صور صبرهم وبلاءهم في تلك المعركة، وأكد اعتزاز
 المسلمين بقيادة الرسول ﷺ، قال: (161*)
 ألا ابلفا فهراً على نأى دارها
 وعندهم من علمنا اليوم مصدق
 بأن غداة السفح من بطن يثرب
 صبرنا ورايات المنية تخفق
 صبرنا لهم والصبر منا سجية
 إذا طارت الإبرام نسمو ونرتق
 لنا حومة لا تستطاع يقودها
 نبي أتى بالحق عف مصدق
 ألا هل أتى إفناء فهربن مالك
 مقطوع أطراف وهام مضلق
 وطريقة المقابلة: أن يضع الشاعر إزاء كل ما يدعيه الشاعر الأول من
 مفاخر ما يقابله.
 فلما افتخر أبو سفيان بن حرب بتقتيل المسلمين في أحد، وقال: (162*)
 وسلي الذي قد كان في النفس إنني
 قتلت من النجار كل نجيب
 ومن هاشم قرما كريما ومصعبا
 وكان لدى الهيجاء غير هيب
 ولو إنني لم اشف نفسي منهم
 لكنت شجا في القلب ذات ندوب
 تصدى له حسان سالكا طريقة المقابلة وراح يعدد من قتل من
 إشراف قريش في بدر، مقابلة لمن ذكر أبو سفيان من كبار المسلمين.
 قال:-

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم
ولست لزور قلاته بمصيب
أتعجب أن قصدت حمزة منهم
نجيباً وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمراً وعتبة وابنه
وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصي علياً فأراعه
بضربة غضب بله بخضيب
وطريقة التهديد والوعيد والشماتة: يهدد فيها الشاعر وقومه، ويشمت
بما ينزل بهم من مصائب ونكبات:
ومثاله حين فخر هبيرة بن أبي وهب بانتصار المشركين في أحد، وبقتيل
المسلمين، بعد تجميع قريش القبائل العربية ضدهم فقال:
سقنا كنانة من أطراف ذي يمن
عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة: أنى تذهبون بنا ؟
قلنا: النخيل، فأموها ومن فيها
نحن الضوارس يوم الحرمن أحد
هابت معدُّ قتلنا نحن نأتيتها
ثمت رحنا كأننا عارض برد
وقام هام بني النجار يبكيها
فأجابه حسان بن ثابت سالكا طريقة التهديد والوعيد، فكثرة العدد،
والجموع التي خاض بها هبيرة، جعلها كعب سبة عليهم، لأنهم أوردوها
حياض الموت في الدنيا، ومصيرها النار في الآخرة. قال:-
سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم
إلى الرسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض ضاحية
فالنار موعدها، والقتل لاقية (*) (163)
وطريقة القلب: أن يقلب الشاعر المعاني على قائلها.
ففي بدر تواعد ضرار بن الخطاب المسلمين بجولة أخرى، وأنكر على

الأنصار الفخر بالانتصارات التي حققها المسلمون، محاولاً أن يعلل الانتصار بوجود قيادة الرسول * ومن معه من المهاجرين، وهم من قريش. فقال:

فان تكُ قتلَى غودرت من رجالنا
فإننا رجال بعهدهم سنغادر
ووسط بني النجار سوف نكرها
لها بالقنا والدار عين زوافر (*) (١٦٤)

إلى إن يقول:-

فإن تظفروا في يوم بدر فإنما
بأحمد، أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفرا الأخيار هم أولياؤه
يحامون في اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم
ويدعى عليُّ وسط من أنت ذاكر
ويدعى أبو حفص وعثمان منهم
وسعد إذا ما كان في الحرب حاضر
أولئك لا من نتجت في ديارها
بنو الأوس والنجار حين تفاخر
فتناول كعب بن مالك هذين المعنيين، وسلك في نقض المعنى الأول سبيل
التكذيب، إذ جمع المشركون في بدر، وحشدوا كل ما استطاعوا ومع ذلك
كان النصر حليف المسلمين فعلام هذا الادعاء الكاذب والضجيج الصاخب
الذي آثاره ضرار؟ فقال:-

عجبت لأمر الله والله قادر
على ما أراد، ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معاشراً
بغوا وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنضروا من يليهم
من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسلك لنقض المعنى الثاني سبيل القلب، ففخر بالرسول *، وبتأييد
الأنصار له، وعير قريشا بالصد عن سبيل الهداية، والتولي عن الاستجابة

لما دعاهم الرسول من الخير والحق:-

وفينا رسول الله والأوس حوله

له معقل منهم عزيز وناصر

وجمع بني النجار تحت لوائه

يمشون في المأذي والنقع ثائر^(165*)

وبعد إن فخر بشجاعة المسلمين النادرة، وإقدامهم الشجاع قال:-

وكان رسول الله قد قال: اقبلوا

فوئوا وقالوا: إنما أنت ساحر^(166*)

وقد تطور فن النقائض في العصر الأموي، حتى وصل إلى أوجه على

أيدي جرير والفرزدق و الأخطل والراعي النميري، بسبب الظروف

الاجتماعية والسياسية ومع ذلك فلم يخل من التأثير بالإسلام والاعتباس

من معاني القرآن ومفاهيمه الجديدة. كقول الفرزدق في إحدى نقائضه:-

ولست بما أخوذ بلغو تقوله

إذا لم تعد عاقدات العزائم

فانه قد أفاد من قوله تعالى:

﴿لَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ

الْأَيْمَانَ﴾

ومن نقائض الفرزدق لجرير قوله: ^(167*)

ضربت عليك العنكبوت بنسجها

وقضى عليك به الكتاب المنزل

نظر في معنى البيت إلى قوله تعالى ﴿وَأَنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتَ الْعَنْكَبُوتِ﴾

واستغل جرير نصراية الاخطل في نقائضه له، لينفذ من ذلك إلى

التعيير، حيث يقول له: ^(168*)

رجس يكون إذا صالوا آذانهم

قرع النواقيس لا يدرون ما السور

وما تغلب إن عدت مساعيها

نجم يضيء ولا شمس ولا قمر

الضاحكين إلى الخنزير شهوته

يا قبحت لك أفواها إذا كشروا

والمقرعين على الخنزير ميسرهم
 بئس الجذور وبئس القوم إذ يسروا
 ما كان يرضى رسول الله دينهم
 والطيبان أبو بكر ولا عمر
 جاء الرسول بدين الحق فانتكثوا
 وهل يضير رسول الله أن كفروا
 ويسير على هذا النهج في كثير من نقائصه، وكان يقول: اعنت عليه
 بكفره. ويقول أيضا :-
 أعانتني عليه خصلتان: كبر سن، وخبث دين. (*169)

الرفاء:

من المعروف أن الشعراء يسلكون في رثائهم إحدى ثلاث طرق هي:-
 الندب: وهو بكاء الفقيد، فيئن الشاعر ويتفجع وتتفجر دموعه مدرارا،
 وكأنها لا تريد أن تجف، وتتدفق كلماته بكية حزينة، ثم تنتظم أشعارا
 تفيض بالحزن والألم .

التأبين: وهو ليس نواحا ولا نشيجا، بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى
 الحزن الخالص، فالشاعر فيه لا يعبر عن أحزانه هو، وإنما يعبر عن
 أحزان الجماعة، وما فقدته في هذا الفرد المهم من أفرادها، ولذلك يسجل
 فضائله ويلح في هذا التسجيل، وكأنه يريد أن يحفرها في ذاكرة التاريخ
 حفرا، حتى لا تنسى على مر الزمان.

الغزاء: وتعني هذه الطريقة أن ينفذ الشاعر من حادثة الموت الفردية،
 التي هو بصدها، إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة، وقد ينتهي به هذا
 التفكير إلى معان فلسفية عميقة. (*170)

وقد رثى شعراء صدر الإسلام من فقد منهم في السلم أو الحرب،
 وسلكوا كل هذه الطرق، ولكن حظ مراشيمهم من طريقة الغزاء كان قليلا، مع
 إن الإسلام قد وجههم إليها، وحثهم على سلوكها، لأن الحياة في نظره ظل
 زائل، وعلى المسلم أن يقبلها كما هي، دار فناء وانتقال، والإنسان اضعف
 من أن يغير سنة الله في الكون، فلتقم نظرتة على التسليم بقضاء الله
 وقدره وليصبر على الاختبار احتسابا وطلبا للأجر. قال تعالى: «... وبشر

الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إن لله وإن إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون» (171*)

وقد تغيرت بعد الإسلام مناقب التآبين، وتبدلت الشمائل التي يعددها الشعراء في مراثيهم، إذ أخضعوها للمقاييس الإسلامية الجديدة، فتحدثوا بسيرة لم تكن تعرفها الجاهلية. فيها المجد والتقوى والإيمان، وفيها الخير والبر والوفاء وفيها الرحمة والهداية والنقاء، وبهذه المآثر الكريمة والمناقب الأصيلة، كانت مصيبة الشاعر حسان في فقد رسول الله *، وانتقاله إلى الملأ الأعلى، حيث رثاه بقوله مؤبنا: (172*)

بأله ما حملت أنثى ولا وضعت
مثل النبي رسول الرحمة الهادي
ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد
أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذي كان نوراً يستضاء به
مبارك الأمر ذا حزم وإرشاد
مصدقاً للنبيين الأئلى سلفوا
وأبذل الناس للمعروف للجادي
وينتقل خليفة رسول الله * أبو بكر الصديق إلى جوار ربه، فيسيل الشعر على لسان الشعراء مؤبنا إياه، بخصاله الكريمة، ومناقبه الفاضلة، ويقول حسان:- (173*)

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة
فأذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعدلها
بعد النبي وأفأها بما حملا
والثاني الصادق المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا
عاش حميداً لأمر الله متبعاً
بهدي صاحبه الماضي وما انتقلا
وتتمت يد مجوسية حاكمة لتغتال عمر بن الخطاب، فيرثيه الشماخ بن ضرار الغطفاني، ويؤبنه بمناقب إسلامية خالصة ساس بها المسلمين ورعى

أمورهم فيها بالعدل:- (174*)

جزى الله خيراً من إمام وباركت
يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يجرؤ يركب جناحي نعامة
ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها
بوائج في أكمامها لم تفتق
ويسقط عثمان بن عفان شهيدا، نتيجة خطأ في فهم قتلته، وسؤ في
التقدير، فيتوارد الشعراء على تأبينه بحامده الإسلامية ومناقبه الدينية
فقال حسان: (175*)

إني رأيت أمين الله مضطهداً
عثمان رهنا لدى الأجداث والكفن
يا قاتل الله قوماً كان شأنهم
قتل الإمام الأمين المسلم الفطن
ما قتلوه على ذنب ألم به
إلا الذي نطقوا إفكاً ولم يكن
إذا تذكرته فاضت بأربعة
عيني بدمع على الخدين محتتن
ويستشهد علي بن أبي طالب-كرم الله وجهه-فينهض الشعراء يؤ بنونه
بما فقدوا من أخلاقه الإسلامية، وخصاله الدينية الخيرة، فهو حب رسول
الله، وخير قریش حسباً وديناً، يقيم الحق، ويحكم بالعدل، ويفيض بالعلم،
ولا يتبخر تباهياً، كما يقول أبو الأسود الدؤلي:- (176*)

أفي شهر الصيام فجعتمونا
بخير الناس طراً أجمعيناً؟
فكل مناقب الخيرات فيه
وحب رسول رب العالميننا
لقد علمت قریش حيث كانت
بأنك خيرها حسباً وديننا
وكنّا قبل مقتله بخير

نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه
ويعدل في العدا والأقربينا
وليس بكاتم علماً لديه
ولم يخلق من المتجبرينا
وهكذا كان يعرض الشعراء مآثر المراثي الدينية، ويسجلون مناقبه
الإسلامية الجديدة، وهو تطور طرأ على شعر الرثاء في صدر الإسلام،
وامتد إلى أشعار الرثاء في العصر الأموي أيضاً، ويتضح ذلك أكثر في
أشعار الخوارج، كقول عيسى بن فاتك يؤبن قتلى الخوارج: (177*)
ألا في الله لا في الناس شالت
بداود واخوته الجذوع
مضوا قتلاً وتمزيقاً وصاباً
تحوم عليهم طير وقوع
إذا ما الليل اظلم كابوده
فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا
وأهل الأمن في الدنيا هجوع
يعالون النحيب إليه شوقاً
وان خضضوا فريهم سميع
ومع ما قلناه من قلة المراثي التي تمثلت منهج الإسلام عند حدوث
المصائب وتوجيهه في مواجهة مصيبة الموت بالصبر والرضا بقدر الله
وقضائه، فقد وصلت إلينا بعض المراثي المتأثرة بهذا التوجيه السامي، ولعل
قصيدة أبي ذؤيب الهزلي في رثاء أبنائه الخمسة، الذين صرعهم الوباء
مرة واحدة، ما يمثل هذه الطريقة، التي تقوم على الرضا بقضاء الله،
والتسليم والتفويض إليه، والإيمان بحتمية الموت حيث يقول: (178*)
أودى بني وأعقبوني غصة
بعد الرقاد، وعبرة لا تعلق
ولقد أرى أن البكاء سفاهة
ولسوف يولع بالبكاء من يذجع

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع
فغبرت بعدهم بعيش ناصب
وإخال أني لاحق مستتبع (179*)
ولقد حرصت بان أدافع عنهم
فإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفع
والدهر لا يبقي على حد ثانهِ
جون السراء له جدائد أربع (180*)

وتشيع في مرثية الشاعر الأموي عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب
بوضاح اليمن، روح السماحة والرضا، والصبر على قضاء الله وقدره، والإيمان
بفناء كل حي: (181*)

سأصبر للقضاء فكل حي
سيلقى سكرة الموت المذوق
فما الدنيا بقائمة وفيها
يلف ختامها سوقاً بسوق
وعندما رثى الشاعر محمد بن خالد بن الوليد عمر بن عبد العزيز
جسد أسلوب الإسلام في عزائه، حيث تحدث عن فناء الدنيا، واستحالة
الخلود، وعن الأجل المكتوب، وذكر بمن ذهب من الملوك ليستخلص الأحياء
منهم العبرة، لأنهم على طريقتهم سائرون وبهم لاحقون قال:-

هل في الخلود إلى القيامة مطمع
أم للمنون عن ابن آدم مدفع
هيهات ما للنفس من متأخر
عن وقتها لو أن علما ينفع
أين الملوك وعيشهم فيما مضى
وزمانهم فيه وما قد جمعوا
ذهبوا ونحن على طريقة من مضى
منهم فمفجوع به ومفجع

عشر الزمان بنا فأوهي عظمنا

إن الزمان بما كرهنا مولى (182*)

وظهر لون جديد من الرثاء لم يألّفه الشعر العربي من قبل، هو رثاء الشهداء، فقد صور الشعراء القتل بيد الأعداء هو الشهادة التي طالما كان المقاتلون يحلمون بها، وهي الغاية التي يجاهد المؤمنون للوصول إليها، وهي اصدق استجابة لدعوة الله المؤمنين إلى الجنة.

قال حسان يرثي حمزة بن عبد المطلب الذي استشهد في أحد:- (183*)
أسئلة أصحاب أحد مخافة

بنات أبي من أعجم وخبير
فقلت لها: إن الشهادة راحة
ورضوان رب يا أمام غفور
فان أباك الخير حمزة فاعلمي
وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الخلق ذو العرش دعوة
إلى جنة يرضى بها وسرور
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي
لحمزة يوم الحشر خير مصير

ومن الجديد الذي لم نألّفه في الرثاء الجاهلي، أن يرثي الشاعر نفسه، وان يبكيها بعد أن يصاب بجروح قد تقربه من نهايته.
وقد وصلت إلينا قصائد رائعة من هذا الرثاء، من ذلك قصيدة الشاعر مالك بن الرب التميمي الذي مرض في مدينة (مرو) من أرض فارس، وهو في جيش المسلمين لتحرير الفرس من العبودية.

وأحس بالموت، فقال قصيدته، يرثي نفسه، وهي من غرر الشعر العربي، وعدتها (58) بيتا، تفيض بالمشاعر الإسلامية، وتكاد تقطر رقة وعذوبة، ولكنها تعبر عما كان يحس به أبناء الصحراء العربية من الغربة والابتعاد عن مواطنهم، وهم يسبحون في أقطار الأرض، لتحرير البشرية من الكفر والشرك والظلم والطغيان، وتعبر عما كان يعانيه أبناء العروبة من أزمة نفسية وهم ينتقلون من حضارة قديمة إلى حضارة جديدة وبيئات جديدة، ومطلعا:-

ألا ليت شعري هل أبين ليلة
 بجنب الغضى أزجني القلاص النواجيا
 ومنها قوله مصوراً لحظات الموت الأخيرة، وهو ينقل إلينا بأمانة ما
 يدور بينه وبين المحيطين به، وهو يقابل مأساة الموت، ويحس بالنهاية
 المحتومة: (184*)

ولما تراءت عند مرو منيتي
 وخلُّ بها جسمي وحانت وفاتي
 أقول لأصحابي ارفعوني فإنه
 يقرَّب عيني أن سهيل بداليا
 فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
 برابية أني مقيم لياليا
 أقيما عليَّ اليوم أو بعض ليلة
 ولا تعجلاني قد تبين شانيا
 وقوما إذا ما استلَّ روحي فهيئا
 لي السدر والأكفان عند فنائيا
 وخطاً بأطراف الأسنة مضجعي
 ورداً على عينيَّ فضل ردائيا
 ولا تحسداني بارك الله فيكما
 من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا
 خذاني فجراني بثوبي إليكما
 فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا
 وهي تسير على هذه الطريقة من المحاوراة المحكمة النسج، والصور
 الموحية، والأفكار المؤلمة، إلى أن يقول في آخرها مصورا غربته الموحشة،
 وتشوقه إلى بيئته، وأهل بيته:-

غريب بعيد الدار ثاوبقفرة
 يد الدهر معروفاً بأن لا تدانيا
 اقلب طرفي حول رحلي فلا أرى
 به من عيون المؤنسات مراعيها
 وبالمثل منا نسوة لو أشهدنني

بكين وفدين الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندي وأهله
ذميماً ولا ودعت بالرمل قاليا
فمنهن أمني وابنتاي وخالتي
وباكية أخرى تهيج البواكيا
ومثل هذا اللون من الرثاء قصيدة الشاعر كثير بن الغريزة النهشلي، في
رثاء شهداء المسلمين بمعارك الطالقان وجوز جان من ارض فارس، في
عهد عمر بن الخطاب حيث أودعها رثاء رائعا لنفسه، عندما أحس بدنو
أجله، بعد أن افتقد أصحابه من الشهداء وهو متأكد من حتمية الموت،
منها :- (185*)

فلا تستبعدا يومي فاني
سأوشك مرة أن تفقداني
ويدركني الذي لا بد منه
وإن أشفقت من خوف الجنان
وتبكييني نوائح معولات
تركن بدار معترك الزمان
حبائس بالعراق منهنهات
سواجي الطرف كالبحر الهجان
اعاذلتي من لوم: دعاني
وللرشد المبين فاهدياني
وعاذلتي صوتكما قريب
ونضعكما بعيد الخيروان
فردا الموت عنني إن أتاني
ولا وأبيكما لا تفعلان
فهو يختم قصيدته بخلاصة فلسفة الشاعر في موقفه من الموت، وهي
فلسفة الإسلام، ونظرته إلى حقيقة الموت، وأحقية وقوعه.

وثمة لون جديد من الرثاء استحدثته الحياة الإسلامية الجديدة وما
ساد فيها من مفاهيم الدين الإسلامي، حيث كان يرثي الشعراء المسلمون
ما يفقدون من أعضاء جسدهم في ساحات القتال، ومعارك الفتح، وهو

رثاء مفعم بالاستهانة بفقد تلك الأعضاء واحتسابها في سبيل الله، والفخر بما أوقعت بالأعداء قبل فقدها .

فلما فقد عثمان بن مطعون عينه من لكمة أودت بها، قال: (186*)

فان تك عيني في رضا الرب نالها
يدا ملحد في الدين ليس بمهتد
فقد عوض الرحمن عنها ثوابه
ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد

وقطعت رجل عبيدة بن الحارث في معركة بدر، فاحتسبها في سبيل الله، وعدها وسيلته للوصول إلى مبتغاة، وهو الجنة، ليسعد فيها، ويعيش بهناء، إذ قال: (187*)

فان تقطعوا رجلي فإني مسلم
أرجي بها عيشا من الله دانيا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت
مع الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعت بها عيشا تعرقت صفوه
وعالجته حتى فقدت الأذانيا
فأكرمني الرحمن من فضل منه
بثوب من الإسلام غطى المساويا
وما كان مكروها لي قتالهم
غداة دعا الأكفاء من كان داعيا

وفي فتح بلاد فارس يطعن علياء بن جحش العجلي في بطنه، وتتدلّق أمعاؤه فلا يجزع، ولم يتردد، ودفع بها إلى داخل بطنه، وانشد وهو يجود بأنفاسه الأخيرة: (188*)

أرجوبها من ربنا ثوابا
قد كنت ممن احسن الضرابا
ويفقد المهلب بن أبي صفرة عينه أثناء فتح سمرقند، فيرثيها بأسلوب إسلامي جديد، نحس به عمق الإيمان وصدق اليقين، فيقول: (189*)
إذا ذهب عيني لقد بقيت نفسي
وفيهما بحمد الله عن تلك ما ينسى

إذا جاء أمر الله أعيأ خيولنا
ولا بد إن تعمى العيون لدى الرمس
وأخيرا فمما تميز به أسلوب الرثاء بعد الإسلام وفي العصر الأموي، ما
يردد الشعراء من مصطلحات إسلامية جديدة في غمرة رثائهم ، مثل
صلاة الله وسلامه على المتوفى . أو صلاة الملائكة والمؤمنين وسلامهم عليه .
وقد انتشرت هذه الظاهرة في بداية عصر الرسالة، فقال حسان وهو
يرثي حمزة:- (190*)

صلى عليك الله في جنة
عالية مكرمة الداخل وكرر
ذلك في رثاء شهداء الرجيع:-
صلى الإله على الذين تتابعوا
يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
وقال كعب بن مالك في رثاء شهداء مؤتة: (191*)
صلى الإله عليهم من فتية
وسقى عظامهم الغمام المسبل
ويتضح هذا الاتجاه في رثاء الشعراء رسول الله * أكثر من أي رثاء آخر
كقول صفية بنت عبد المطلب:- (192*)

أفاطم صلى الله رب محمد
على جدث أمسى بطيبة ثاويا
وقول أبي بكر الصديق:- (193*)
فصلى المليك ولي العبا
دورب البلاد على أحمد
وواصل شعراء العصر الأموي هذا الاتجاه في رثائهم، فقال جرير يرثي
زوجته: (194*)

صلى الملائكة الذين تخيروا
والصالحون عليك والأبرار
وعليك من صلوات ربك كلما
نصب الحجيج ملبدين وغاروا
وقال محارب بن دثار يرثي عمر بن عبد العزيز:- (195*)

سلام الله والصلوات منه
على عمر ترحن وتغديننا
وقال مالك المزموم يرثي زوجته أم العلاء: (196*)

صلى الإله عليك من مفقودة
إذا لا يلائمك المكان البلقع
ومع سلوك الشعراء كل طرق الرثاء المعروفة ندبا وعزاء وتأيينا فانهم
طوروا الرثاء فيما أوردوا من مناقب إسلامية جديدة لم يعرفها الشعراء من
قبل.

وتمثل بعض الشعراء روح الإسلام وتوجيهاته عند نزول المصائب ووقوع
الرزايا، فوصلت إلينا مرات نحس فيها سماحة الإسلام وروح الرضا والصبر
والطمأنينة التي أشاعها الإيمان الجديد في نفوس أتباعه.

الشعر التاريخي:

سبق أن تحدثنا في مقدمة الكتاب عن مكانة الشعر عند العرب قبل
الإسلام وبعده، وتبين لنا بأن العرب قد فطروا على حب الشعر وقوله، وهم
لا يستطيعون الاستغناء عنه كما قال الرسول ﷺ: لا تدع العرب الشعر
حتى تدع الإبل الحنين.

والشعر هو العلم الذي لم يكن للعرب علم اصح منه، كما قال عمر بن
الخطاب، ولولاه لضاعت كثير من الأحداث وطمست العديد من مناقب
الرجال ومفاخرهم، وقد قيل: «لولا الشعراء ما عرف جود حاتم، وكعب بن
إمامة، وهرم تجن سنان، وأولاد جفنه، وإنما أشاد بذكرهم الشعر». (197*)
فهو إذن الكتاب الجامع لتأريخ العرب، والمسجل لكل أحداثهم، والشاهد
العدل على كل تصرفاتهم، يحفظونه في صدورهم، ويروونه عن أسلافهم
إلى أبنائهم، ولذلك قالوا: (198*) لما رأت العرب المنثور يند عليهم، وينفلت
من أيديهم، ولم يكن لهم كتاب يتضمن أفعالهم، تدبروا الأوزان والأغاريذ،
فأخرجوا الكلام احسن مخرج، بأساليب الغناء، فجاءهم مستويا، ورأوه
باقيا على مر الأيام، فآلفوا ذلك وسموه الشعر.

فلا غرابة أن نجد بعد ذلك الشعر الإسلامي سجلا لأحداث المجتمع
الجديد، ووثائق صدق لتأريخ هذه الأمة المجيدة في أزهى عصورها وفي

احلك ساعاتها، لا يترك حادثة ذات شأن وتأثير في مجرى التاريخ الإسلامي إلا سجلها.

ومن هنا كانت كتب التاريخ زاخرة بالأشعار المعبرة عن المواقف والاتجاهات إزاء الأحداث.

فكتاب السيرة النبوية، وهو يبحث في موضوع خاص هو سيرة رسول الله * فقط، دون التطرق إلى موضوعات التاريخ العام، هذا الكتاب يضم بين صفحاته أكثر من (850) قصيدة ومقطوعة شعرية لما يربو على (320) شاعرا.

ولو أحصينا ما في كتب التاريخ الإسلامي العام لوجدنا أضعاف هذه الأعداد، إذ كان المؤرخون يتبعون كل حدث تاريخي بمجموعة كبيرة من الأشعار التي أنشدت في مناسبة ذلك الحدث توثيقا له، وتوضيحا لجميع جوانبه.

وتعد قصيدة الشاعر الإسلامي صرمة بن قيس الأنصاري اشمل القصائد التي أرخت للدعوة الإسلامية بأسلوب تاريخي وفني رفيع، حتى إن عبد الله بن عباس، الذي كان يلقب ب (حبر الأمة) لسعة علمه، كان يختلف إلى الشاعر الأنصاري يتعلم منه تلك القصيدة التي قال فيها:-
(199*)

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه
فأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وألفى صديقا واطمأنت به النوى
وكان له عوننا من الله، باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه
وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فاصبح لا يخشى من الناس واحدا
قريبا ولا يخشى من الناس نائيا

بذلنا له الأموال من حلّ ما لنا
 وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
 ونعلم أن الله لا شيء غيره
 ونعلم أن الله أفضل هاديا
 نعادي الذي عادى من الناس كلهم
 جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
 وهي تسير على هذا النهج الدقيق في استقصاء الأحداث، وسرد الوقائع
 بأسلوب يمتزج بالعاطفة الدينية والفخر الإسلامي الجديد .
 كما حاول الشعراء استقصاء غزوات الإسلام الأولى وإحصاءها،
 فنظم حسان بن ثابت ويقال: ابنه عبد الرحمن، قصيدة طويلة استقصى
 فيها تلك الغزوات في معرض فخره بقومه الأنصار، الذين شهدوا
 جميع تلك الغزوات وأبلوا فيها بلاء حسنا، قال في تلك
 القصيدة: (200*)

ألست خير معد كلها نظرا
 ومعشراً إن هم عموا وإن حصلوا
 قوم هم شهدوا بدرأ بأجمعهم
 مع الرسول فما آلو وما خذلوا
 وبإيعوه فلم ينكث به أحد
 منهم ولم يك في إيمانهم دخل
 ويوم صبحهم في الشعب من أحد
 ضرب رصين كحر النار مشتعل
 ويوم ذي قرد يوم استشار بهم
 على الجياد فما خاموا ولا نكلوا
 وذا العشيرة جالسوها بخيلهم
 مع الرسول عليها البيض والأسل
 ويوم ودان أجلاوا أهله رقصا
 بالخييل حتى نهانا الحزن والجبل
 وغزوة يوم نجد ثم كان لهم
 مع الرسول بها الأسلاب والنفل

وليلة بحنين جالوا معه
 فيها يعالهم بالحرب إذ نهالوا
 وغزوة القاع فرقنا العدو به
 كما تفرق دون المشرب الرسل
 وغزوة الفتح كانوا في سريته
 مرابطين فما شاطوا وما عجلوا
 ويوم خيبر كانوا في كتيبه
 يمشون كلهم مستبسل بطل
 ويوم سار رسول الله محتسبا
 إلى تبوك وهم راياته الأول
 وهكذا يستمر في تعداد الأيام الإسلامية. فكان شعره وثيقة صادقة
 لأحداث تلك الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام. وفي كتب السيرة والتاريخ
 عشرات القصائد الطويلة التي قيلت في كل غزوة من تلك الغزوات، وأتت
 على تفصيلاتها حيث كان الشعراء من أبطالها المشاركين فيها بألسنتهم
 وألسنتهم ، فكانت أشعارهم أصدق شاهد على مجرياتها وأحداثها.
 وأجتزئ من قصيدة كعب بن مالك الأنصاري، التي قاربت الخمسين
 بيتا بعض الصور التي رسمها لوصف معركة أحد، حيث مزج الشاعر فيها
 بين المفاهيم الإسلامية الجديدة، والموروث الفني القديم، الذي تأصل لدى
 الشعراء في صورهم وتعبيراتهم ، حيث قال:- (201*)
 وقال رسول الله لما بدوا لنا
 ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
 وكونوا كمن يشري الحياة تقريبا
 إلى ملك يحيا لديه ويرجع
 ولكن خذوا أسيا فكم وتوكلوا
 على الله إن الأمر لله اجمع
 فسرنا إليهم جهرة في رحالهم
 ضحيا علينا البيض لا نتخشع
 فجئنا إلى موج من البحر وسطه
 أحابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف ونحن نصية
 ثلاث مئين إن كثرنا وأربع (202*)
 فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى
 وليس لأمر حمة الله مدفع
 ضريناهم حتى تركنا سراتهم
 كأنهم بالقاع خشب مصرع
 لدن غدوة حتى استفقنا عشية
 كأن ذكنا حرنار تلضع
 فنلنا ونال القوم منا وربما
 فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع
 ودارت رحانا واستدارت رحاهم
 وقد جعلوا كل من الشريشبع
 شددنا بحول الله والنص شدة
 عليكم وأطراف الأسنة شرع
 تكر القنا فيكم كأن فروعها
 عزالى مزاد ماؤه يتهزع
 عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر
 بذكر اللواء فهو في الحمد أسرع
 فخانوا وقد أعطوا وتخاذلوا
 أبى الله إلا أمره وهو أصنع (203*)

وهي طويلة تسير على هذه الوتيرة من الحماس البطولي المتدفق المتحصن بروح العقيدة، والملتزم بالفكر الإسلامي الرشيد، بحيث استطاع الشاعر أن يرسه لنا صورة فنية رائعة لتلك المعركة وينقلنا إلى جو القتال الذي كان يعايشه بنفسه.

وفي أثناء مراحل الصراع الطويل المرير بين المسلمين والمشركون، وقبل أن يتحقق النصر النهائي للمؤمنين، صادف الإسلام الكثير من العثرات، وجوبه المسلمون بصور متعددة من الغدر والخيانة، فسقط عشرات من الضحايا في طريق المسيرة الطويلة الشاقة قبل الوصول إلى الهدف الأخير.

ومن صور الغدر والخيانة التي تحدث عنها شعر تلك الفترة ما حدث للصحابي الشهيد خبيب بن عدي الأنصاري، حيث قدم بعد غزوة أحد، رهط من قبيلتي عضل والقارة، وقابلوا رسول الله ﷺ، وقالوا له: يا رسول الله إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث معهم نفرا من أصحابه، فيهم حبيب، حتى إذا كانوا على الرجيع غدروا بهم، وخرجوا بحبيب حتى إذا جاءوا إلى التعميم ليصلبوه قال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ؟ قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله، لولا أن تظنوا أنني إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة، ثم رفعوه على خشبه فلما أوثقوه قال: اللهم إن قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا. ثم قال: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحداً

ثم قتلوه وقتلوا بعده بقية النفر الذين معه. وقد أنشد حبيب قبيل استشهاده أبياتا رقيقة تفيض، بالإيمان، ووصف مؤرخا ما جرى له بالتفصيل فقال:-(204*)

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم يبدي العداوة جاهداً
عليّ لأنني في وثاق بمضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممنوع
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي
ومما جمع الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبرني على ما أصابني
فقد بضعوا لحمي وقد ضل مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزق (205*)
وقد عرضوا بالكفر والموت دونه
وقد ذرفت عيناى من غير مدمع

وما بي حذار الموت إنني لميت
ولكن حذاري حرنار ترفع
فلست بمبدٍ للعدو تخشعاً
ولا جزعاً، أني إلى الله مرجعي
ولست أبالي حين اقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي

وهكذا عبرت هذه الأبيات عن عمق إيمان الشاعر، ورباطة جأشه، واعتصامه بالله في أدق الظروف وأحرج المناسبات، فلم يرض لنفسه المساومة ولم يتنازل عن عقيدته أنملة، وظلت عقيدته، السور الذي يحميه في لحظاته الأخيرة وهج يودع الدنيا، ويقابل ربا كريماً، وهذا أمر يثير العجب، ويدعو إلى الدهشة، فكيف تمكنت العقيدة من قلب هذا الشاعر وسيطرت على تفكيره بمثل هذه الصورة التي رأيناها في أبياته، وهو لما يزل في بداية مراحل الدعوة. انه الإسلام الذي غير النفوس وصقل الطباع، وصادف أرضاً خصبة في معادن العرب، فكان خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام.

وتتوالى الأيام، ويعم نور الإسلام أرجاء المعمورة بعد أن أدى رسول الله ﷺ الأمانة، وبلغ الرسالة بصدق وأمانة، وتأتي آخر أيام الرسول *، فتتمكن الحمى من جسده الشريف، وتتصعد حرارتها في سائر أوصاله، ثم تبدأ قواه بالتلاشي، وتحين ساعة الأجل، ثم تقع المصيبة يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول، ويلحق الرسول ﷺ بجوار ربه.

فتضج المدينة بالنشيج، ويعلو البكاء في كل أرجائها، وترتفع أصوات الشعراء لتصور هول ذلك اليوم وتعبر عن لوعة المسلمين وحرقة أفئدتهم بهذا المصاب الجلل، وتصل إلينا عشرات القصائد، تؤرخ لتلك المناسبة الحزينة، نكتفي بنص قصير يصور تلك المصيبة، ويؤرخ للحدث الجلل، الذي حل بالمسلمين. فقد قال حسان من قصيدة طويلة⁽²⁰⁶⁾ -

تهيل عليه الترب أيدٍ وأعين
عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة
عشية علوه الثرى لا يوسد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه
ومن قد بكته الأرض فالناس، كمد
فبيناهم في ذلك النور إذ غدا
إلى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محمودا إلى الله راجع
يبكيه حتى المرسلات ويحمد^(207*)
وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها
لغيبه ما كانت من الوحي تعهد
قفاراً سوى معمورة اللحد أضافها
فقيد يبكيه بلاط وغرق^(208*)
ومسجده فالوحشات لفقده
خلاء فيه مقام ومقعد

وما كاد ينتهي الناس من تجهيز رفات رسول الله * الطاهر حتى تتجه
أنظارهم إلى سقيفة بني ساعدة وتتعلق قلوبهم بها، حيث اجتمع وجوه
المسلمين ليقرروا من يخلف رسول الله ﷺ. وأوشكت الفتنة أن تعصف
بوحدة المسلمين لاختلاف القوم داخل السقيفة، لولا أن تداركها إرادة الله
وحكمة كبار الصحابة، فاهتدوا إلى مبايعة أبي بكر الصديق، فأخمدت
الفتنة في مهدها ولم يتخلف الشعر عن تصوير هذا الحدث، فقد نهض
الشعراء بواجباتهم وأدلوأ بدلوهم في هذا المقام، فقال حسان بن ثابت
مصوراً ما حدث في ذلك اليوم:^(209*)

تنادى سهيل وابن حرب وحارث
وعكرمة الشاني لنا ابن أبي جهل
قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه
فأصبح بالبطحاء أذل من النعل
أولئك رهط من قريش تبايعوا
على خطة ليست من الخطط الفضل
واعجب منهم قابلو ذاك منهم

كأنا اشتملنا من قريش على ذحل
 وكلهم ثان عن الحق عطفه
 يقول اقتلوا الأنصار بئس من فعل
 فكان جزاء الفضل منا عليهم
 جهالتهم حمقا وما ذاك بالعدل
 وطبيعي كان حسان يمثل رأي الأنصار في اجتماع السقيفة، ويتبنى
 استحقاقهم الخلافة، فبلغ شعر حسان قريشا، فأمرؤا ابن أبي عزة الجمحي
 شعرهم أن يجيبه، فقال معبرا عن رأي المهاجرين: (210*)
 معشر الأنصار خافوا ريكم
 واستجبروا الله من شر الفتن
 إنني ارهب حربا لا قحاً
 يشرق الموضع فيها باللبن
 جرّها سعد وسعد فتنة
 ليت سعد بن عباد لم يكن
 ليس ما قدر سعد كائنا
 ما جرى البحر وما دام حزن
 ليس بالقاطع منا شعرة
 كيف يرجى خير أمر لم يحن
 ليس بالمدرّك منها أبداً
 غير أضغاث أماني الوسن
 ولما اجمع المسلمون على مبايعة الصديق رأى الهاشميون في ذلك صرفا
 للخلافة عن مستحقها علي بن أبي طالب، وعبر شعرهم عن ذلك، مشيدا
 بفضائل الإمام علي، وماضيه في الإسلام فقال: (211*)
 ما كنت احسب أن الأمر منصرف
 عن هاشم، ثم منها عن أبي حسن
 أليس أول من صلى لقبيلتكم
 واعلم الناس بالقرآن والسنن
 واقرب الناس عهدا بالنبى ومن
 جبريل عون له في الغسل والكفن

ما فيه ما فيهم لا يمترون به
وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردهم عنه فتعلمه

ها إن ذا غبننا من اعظم الغبن

فبعث إليه الإمام علي فنهاه، وأمره ألا يعود، وقال: الدين احب إلينا من غيره. وما إن تولى الخلافة أبو بكر حتى أطلت فتنة المرتدين برأسها، فانقضت أكثر القبائل العربية، ولم يثبت على الإسلام غير قريش وثقيف والمدينة، وكانت ردة العرب مختلفة، فمنهم من قال: لو كان نبيا ما مات، ومنهم من قال: انقضت النبوة بموت محمد، فلا نطيع أحدا أبدا، ومنهم من قال: نؤمن بالله ونشهد أن محمدا رسول الله، ونصلي ولكن لا نعطي أموالنا. (212*)

وجهاز الخليفة الصديق أحد عشر لواء لمحاربة المرتدين، واستنفرت تلك الألوية من كانوا يملكون به من المسلمين، وحقق الله النصر على أيدي تلك الألوية المؤمنة، وهزمت فلول الردة والكفر أمام جحافل الحق، لتختفي من الأرض العربية إلى الأبد.

وكان من الطبيعي أن يواكب الشعر هذا الحدث الرهيب، وان ينقل الشعراء ما كان يدور في مجتمعهم مفصلا، فروى الشعراء مواقف من ثبت على إسلامه في مجتمعات كانت تموج بالردة والكفر، ومع ذلك صمدوا ولم يجرفهم ذلك التيار الهادر، وتجلت بطولات الشعراء في إنكارهم على أقوامهم الردة، ووصمهم إياهم بالكفر والغدر.

فحين ارتدت كندة ثبت منها رجال صادقون وفوا بما عاهدوا الله عليه، وبينهم عدد كبير من الشعراء مثل ثور بن مالك وعبد الله بن زيد وعبد الرحمن بن حبيب، ومن شعراء بني عامر عبد الله بن خنيس وعمارة بن قريط وعبد الله بن مرة، ومن شعراء بني أسد عبد الرحمن ابن الأزور وعبد الرحمن بن حبيش.

إن هؤلاء الشعراء، وغيرهم كثير في القبائل المرتدة، كانوا يمثلون طليعة الإيمان الصادق، وخلاصة الفكر الثاقب وأصالة الوفاء الحق، لعقيدتهم ولمصلحة قومهم. فقد كانت أشعارهم وثائق صادقة، تروي بكل أمانة ما دار من أحداث في تلك المؤامرة التي استهدفت العقيدة والنظام.

والأشعار في تلك الحركة كثيرة جداً، منها قصيدة زيد الخيل الطائي،
التي بعث بها إلى الخليفة مصدرة بقوله: (*213)

أمام أما تخشين بنت أبي نصر
فقد قام بالأمر الجلي أبوبكر
نجي رسول الله في الغار وحده
وصاحبه الصديق في معظم الأمر

وكان عمرو بن العاص أميراً على الأرض، فاستأذن سادتهم في الرجوع
إلى المدينة خشية ارتدادهم عن الإسلام، فوقف شاعر الأزد مجفية بن
النعمان العتكي، معبراً له عن أصدق الإخلاص، واعمق الفهم لروح الإسلام،
معرباً في شعره عن مدى تمسكه بالإسلام، وبسنة النبي * في حياته وبعد
فراقه، فأنشد قائلاً: (*214)

يا عمرو إن كان النبي محمد
قد أتى الأمر الذي لا يدفع
فقلوبنا قرحى وماء دموعنا
جار وأعناق البرية خضع
يا عمرو إن حياته كوفاته
فيما ننظر ما يقول ونسمع
فأقم فإنك لا تخاف رجوعنا
يا عمرو ذاك هو الأعز الأمانع

ومن الأحداث التاريخية التي استأثرت باهتمام الشعراء وفجرت
أشعارهم، الفتنة التي اندلعت في أواخر أيام الخليفة عثمان، تلك الفتنة
التي ذهب ضحيتها الخليفة نفسه، فقد وثب عليه الشعراء مراحل تطورها
بدقة.

فالشاعر كعب بن مالك الأنصاري يصور لنا ما كان يدور في داخل
الدار التي حوَّصر فيها الخليفة ومن معه من الصحابة المهاجرين والأنصار،
حيث كان هؤلاء الرجال المحاصرون يريدون أن يقتاتوا الأعداء الذين
حاصروهم، ولكن الخليفة عزم عليهم إن لا يفعلوا وقال لهم: اعزم على كل
من رأي لي عليه سمعا وطاعة أن يكف يده، ويلقي سلاحه، وقال لأبي
هريرة:-

عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت سيفك، فإنما تراد نفسي، وسأقي
المؤمنين بنفسي، يقول كعب مصورا موقف الخليفة الشجاع المخلص،
الحريص على دماء المسلمين، والمضحى من أجلهم : (215*)

فكف يديه ثم أغلق بابه
وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لمن في داره: لا تقاتلوا
عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صبا عليهم الع
داوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر عنهم
وولى كأدبار النعام الجوافل
ويؤرخ حسان بن ثابت جانبا آخر من تلك الفتنة، فيصف خذلان الأنصار
لعثمان، وما عاناه عثمان من عنت، وما سوف يلاقي القتلة من مطالبتهم
بدماء قتلى الدار قال: (216*)

اتركتموه مفرداً بمضيعة
تنتابه الغوغاء في الأمصار
لهضان يدعوغائباً أنصاره
يا ويحكم يا معشر الأنصار
هلا وفيتم عندها بوعدكم
وفديتم بالسمع والأبصار
جيرانه الأدنون حول بيوته
غدروا ورب البيت ذي الأستار
إن لم تروا مدداً له وكتيبة
تهدي أوائل جحفل جرار
طاوعتهم فيه العدو وكنتم
لوشئتم في معزل وقرار
لا يحسبن المرجفون بأنهم
لن يطلبوا بدماء أهل الدار
ويصور الشاعر حنظلة بن الربيع التميمي، كاتب رسول الله ﷺ، نوايا

الذين أشعلوا تلك الفتنة، وأنهم يريدون الانقضاض على نظام الحكم المتمثل بالخلافة حيث كانوا يريدون زوالها، فهم لا يختلفون في ذلك عن أعداء الإسلام آنذاك من اليهود والنصارى، فكل فريق منهم قد ضل الطريق الصحيح، فقال: (217*)

عجبت لما يخوض الناس فيه
يرومون الخلافة أن تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم
ولا قوا بعدها ذلاً ذليلاً
وكانوا كاليهود أو النصارى
سواء كلهم ضلوا السبيل

ويتولى الخلافة الإمام علي، وتندلع الحرب بين المسلمين يوم الجمل، حيث خرجت السيدة عائشة راكبة جملاً، مطالبة بدم عثمان، والاقتصاص من القتل، وتطورت الأمور وتعمدت، وحاول كثير من العقلاء الإصلاح، فلم تفلح جهودهم، واشتعلت الحرب بين الفريقين، وسالت دماء المسلمين على أيدي المسلمين، وكان الشعر العين الساهرة لتسجيل وقائع تلك الأيام السوداء من تاريخ المسلمين، ومن تلك الصفحات التاريخية التي حفظها الشعر أن محمد بن طلحة كان في جيش السيدة عائشة، فجعل لا يحمل عليه أحد إلا حمل عليه وهو يردد: حم لا ينصرون.

فتقدم إليه أحد أنصار علي قطعنه طعنة قاتلة، ثم قال أبياتا مزج فيها بين رأي جماعته السياسي، وبين ما عرف من تعاليم الدين، حيث وصف ضحيته بالتدين وقلة الأذى للآخرين، فالشاعر يعرض هنا الصراع النفسي الذي كان يعانيه المقاتلون، لان الطرفين في القتال من المسلمين. يقول: (218*)

وأشعث قوام بآيات ربه
قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه
فخر صريعاً لليدين وللضم
يذكرني حم والرمح شاجر
فهلا تلاحم قبل التقدم

على غير شيء غيران ليس تابعا

علياً، ومن لا يتبع الحق يندم

وما تكاد تنتهي أيام الجمل السوداء حتى تقرع وقعة صفين الدامية (أبواب الفتنة من جديد، وتطول أيامها وتتوالى ضحاياها من الفريقين المسلمين، وكلما طالت هذه الأيام كانت تمدنا بأشعار جديدة تؤرخ أحداثها وترسم صورا لشراسة القتال فيها، وقد كثرت فيها المرتجزات والأشعار بصورة ملفتة للنظر، ويزخر كتاب وقعة صفين لابن مزاحم بتلك الأرجاز والأشعار.

ومن الشعراء الذين برزوا في صفين قيس بن عمرو بن مالك النجاشي، وكان من شعراء الإمام علي، ومن شعره قوله يصف جيش الإمام، مهديا معاوية بشجعان العراق والحجاز: (219*)

دعن معاوي ما لن يكونا

فقد حقق الله ما تحذروننا

أناكم عليّ بأهل العراق

وأهل الحجاز فما تصنعونا؟

يرون الطعان خلال العجاج

وضرب القوانس في النقع دينا

هم، هزموا الجمع جمع الزبير

وطلحة والعشر الناكثينا

فإن يكره القوم ملك العراق

فقدما رضىنا الذي تكرهونا

وكان في الصف الآخر شاعر بني أمية كعب بن جعيل التغلبي يهاجي شعراء علي ويرد عن الأمويين، ويناقض كل خصومهم . ومعظم أشعار الشعارين تتخللها الأفكار السياسية إلا أنها ترسم صورة تاريخية لأيام صفين الطويلة، ومعاركها المتتابعة القاسية.

أما الثورات التي اشتعلت في خلال حكم الأمويين، فإن الشعر قد حفظ لنا كثيرا من أحداثها وابرز العديد من مواقف المفجرين لها أو المتصدين لهم من الحكام ومؤيديهم.

وقد تصدرت ثورة الإمام الحسين كل تلك الثورات، وتطوراتها معروفة،

حيث آلت إلى نهايتها المفجعة في العاشر من المحرم من سنة إحدى وستين، ولا بد أن تكون الأشعار قد صورت تلك المأساة المؤلمة، إلا أن ما وصل إلينا من أشعارها قليل لا يتناسب مع أهميتها وعمق تأثيرها بعد تلك النهاية الحزينة.

ويعتذر أبو الفرج الأصفهاني مؤرخ (مقاتل الطالبين) عن تلك الظاهرة بقوله: ^(220*) «وقد رثى الحسين بن علي-صلوات الله عليه- جماعة من متأخري الشعراء، استغني عن ذكرهم في هذا الموضوع كراهية الإطالة. وأما من تقدم فما وقع إلينا شيء رثى به، وكانت الشعراء لا تقدم على ذلك مخافة من بني أمية وخشية منهم».

ولعل من أروع ما حفظ لنا من أشعار هذه الثورة تلك الأرجوزة القصيرة التي كان ينشدها الطرماح بن عدي على فرسه حينما كان يقود أربعة نفر قد اقبلوا من الكوفة على رواحهم حيث قال: ^(221*)

يا ناقتي لا تدعري من زجري
وشمري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر
حتى تحلي بكريم النجر
الماجد الحرّ حبيب الصدر
أتى به الله لخير أمر
ثم أبقاه بقاء الدهر

فلما انتهوا إلى الحسين انشدوه هذه الأبيات فقال لهم: أما والله أنني لأرجو أن يكون خيرا ما أراد الله بنا، قتلنا أم ظفرنا.

وهذا الراجز لا يتحدث عن الثورة وأهدافها وصلتها بالإسلام، وإنما يبيث مشاعره الصادقة تجاه الضيف العزيز الذي حل في أرضهم، مع إشارة خفيفة لمكانته الدينية. ولما أتى أهل المدينة مقتل الحسين خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب، ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوي بثوبها وهي تقول: ^(222*)

ماذا تقولون أن قال النبي لكم
ماذا فعلتم وانتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقي

منهم إساري، ومنهم ضرجوا بدم ؟

ويصور الشاعر عبد الله بن الحر الجعفي الكوفي عمق المأساة التي كان يحس بها خاذلو الحسين، ويرسم شعره عظم الحسرة التي كان يشعر بها هؤلاء، وهم يتفرقون من حوله، ويسلمونه لأعدائه بمفرده، مع آل بيته فقطل؛ (223*)

يا لك حسرة ما دمت حياً
تردد بين حلقي والتراقي
حسينا حين يطلب بذل نصري
على أهل العداوة والشقاق
ولو أني أواسيه بنفسي
لنلت كرامة يوم التلاقي
مع ابن المصطفى نفسي فداء
فيا لله من ألم الفراق
غداة يقول لي بالقصر قولاً:
أتركنا وتزعم بانطلاق؟
فلو فلق التلهف قلب حي
لهم اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الأولى نصروا حسينا
وخاب الآخرون أولو النفاق

وهذه القصيدة الرائعة وغيرها مما قاله هذا الشاعر محاولة للتكفير عما ارتكبه أهل الكوفة من خطأ فادح، حين خذلوا الحسين بعد أن دعوهم للثورة.

وهكذا ظل الشعراء يعزفون مثل هذا اللحن الباكي الحزين، ويؤرخون تلك المأساة التي أملت بالمسلمين حين استشهد الإمام الحسين والعديد من آل بيته الطيبين.

وتتوالى الثورات بعد هذه الثورة، فتتفجر ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي سنة أربع وستين، ثأراً لمقتل الحسين، وتكفيراً عن تخليهم عنه في ثورته، ثم المختار الثقفي في سنة ست وستين، فثورة عبد الرحمن بن محمد الأشعث الكندي في سنة إحدى وثمانين، وهي ثورة قاد فيها ابن الأشعث العراقيين ضد حكم الحجاج، وطالت أيامها إلى أن انتهت بهزيمة

ابن الأشعث، وقتله سنة خمس وثمانين.

وقد أثرت هذه الثورة تأثيراً عميقاً في الشعر الأموي، ونالت اهتماماً كبيراً لدى الشعراء، حيث سار في ركابها عدد منهم، أمثال أبي جلدة بن عبيد الله اليشكري والطفيل بن عامر بن وأثلة الكناني، وعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بأعشى همدان.

كان هؤلاء الشعراء يتصدرون جيوش ابن الأشعث وثورته، ويحرضون الناس على تأييد الثورة، و يحمسونهم للقتال مع ابن الأشعث، فقد كان الأعشى يسير بين يدي ابن الأشعث وهو راكب فرسه، في الطريق إلى العراق، قادمين من سجستان وهو يردد: (224*)

شطت نوى من داره بالأيوان

أيوان كسرى ذي القرى والريحان

من عاشق أمسى بزا بلستان

إن ثقيفاً منهم الكذابان

كذابها الماضي وكذاب ثان

أمكن ربي من ثقيف همدان

يوماً إلى الليل يسلي ما كان

إننا سمونا للكفور الفتان

حين طغى في الكفر بعد الإيمان

بالسيد الغطريف عبد الرحمن

وهي تسير على هذا النمط من الحماسة الحربية، والمقارنة بين إيمان ابن الأشعث واتباعه وكفر الحجاج واتباعه.

ويروى أن الشاعر الطفيل بن عامر كان ينشد وهو قادم مع ابن الأشعث من كرمان في طريقهم لقتال الحجاج، أبياتا تسير على نهج القصيدة السابقة، في التهديد والاحتجاج بإيمان ابن الأشعث وضلال الحجاج حيث كان يقول: (225*)

ألا طرقتنا بالغريين بعدما

كللنا على شحط المزار جنوب

أتوك يقودون المنايا وإنما

هدتها بأولانا إليك ذنوب

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له
من الله في دار القرار نصيب
ألا أبلغ الحجاج أن قد أظله
عذاب بأيدي المؤمنين مصيب
وما قيل من هذه الأشعار يرسم لنا كثيرا من جوانب تلك الثورة، التي
سالت فيها دماء إسلامية غزيرة، وزهقت بسببها نفوس مؤمنة كثيرة.
وبعد حرب صفين اشتعلت نار العصبية القبلية من جديد بعد أن أخمدها
الإسلام طيلة العصر الإسلامي، واشتعل أوارها أكثر بتقدم السنين في
العصر الأموي، وقد واكب الشعر تطوراتها، بل كان في كثير من الأحيان
مفجرا لتلك العصبيات.

ومعروف أن النقائض الشعرية الأموية قد ازدهرت في ظل العصبية
القبلية، وأنها كانت إحدى ثمراتها، وقد عدت نقائض جرير والفرزدق من
اصدق الوثائق لأيام العرب وقبائلها، في الجاهلية والإسلام.
وقد ارتفعت بعض الأصوات الشعرية منكرة على الناس تلك العصبية،
منددة بالفخر بالأنساب والتعلق بها، وتتجلى تلك الأصوات بصورة خاصة.
لدى شعراء الخوارج، الذين قامت دعوتهم على المساواة بين الناس،
التي دعا إليها الإسلام، من ذلك قول شاعرهم عمران بن حطان حين
نزل بقوم من الأزد في سواد الكوفة فرحبوا به، ثم سألوه عن نسبه،
فقال: (226*)

نزلنا بحمد الله في خير منزل
نسرّ بما فيه من الأنس والخضر
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم
وليس لهم دعوى سوى المجد يعتصر
من الأزد إن الأزد أكرم معشر
أتوني فقالوا: من ربيعة أو مضر
أم الحيّ قحطان، فتلكم سفاهة
كما قال لي روح وصاحبه زفر
وما منهم إلا يسرّ بنسبه
تقريني منه وإن كان ذا نضر

فنحن بنو الإسلام والله واحد

وأولى عباد الله بالله من شكر^(227*)

وارتفعت أصوات أخرى من خارج صفوف الخوارج، تنهض العصبية القبلية، وتدعو إلى الانتماء إلى الإسلام، فهو خير الأنساب وأكرمها عند الله.

من ذلك صوت الشاعر نهار بن توسعة من بني بكر بن وائل، وشاعر بكر في خراسان، الذي فخر بنسبته إلى الإسلام بدل بكر أو تميم حيث قال:^(228*)

أبى الإسلام لا أب لي سواه

إذا هتفوا ببكر أو تميم

دعي القوم ينصر مدعيه

فيلحقه بذئ النسب الصميم

وما كرم ولو شرفت جدود

ولكن التقى هو الكريم

إلا أن هذه الأصوات الضعيفة الخافتة ضاعت وسط الضجيج المتعالي لإشعار العصبية، التي كانت تصدر من كل جانب، حكاما ومحكومين، ويشارك في تغذيتها معظم شعراء العصر الأموي وخصومهم.

وفي غمار انشغال حكام العروبة وبنائها بتلك العصبيات أطلت الشعوبية بوجهها الكريه من بين ركام الفرقة الناتجة عن العصبية القبلية.

وحاول بعض الشعراء تدارك الأمر قبل فوات الأوان، لمعرفتهم بنوايا تلك الفئات التي تدعو إلى تفريق الصفوف وإلى محو كل أمجاد الأمة وما تعزز به من فضائل، وتعمل على زرع الشك واليأس في نفوس أبنائها، فدعا هؤلاء الشعراء المخلصون إلى إعادة الوحدة بين القبائل العربية، لمواجهة الأخطار والمؤامرات التي يحيكها الحاقدون على العروبة والإسلام، تمهيدا للانقضاض على الدولة والنظام الذي بناه حكم الإسلام.

ومن ابرز تلك الصيحات المؤمنة الصادقة قصيدة نصر بن سيار، والي خراسان والتي بعث بها إلى هشام بن عبد الملك بعد أن خبر أحقادهم في أثناء ولايته:-

أرى خلل الرمد وميض نار

ويوشك أن يكون لها ضرام

فإن النار بالعودين تذكى
وإن الحرب أولها الكلام
فإن لم تطفئوها تجن حرباً
مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعري
أيقظ أم نيام
فإن يك قومنا أضحو نياما
فقل: قوموا فقد حان القيام
ففرّ عن رجالك ثم قل:
على الإسلام والمعرب السلام
وقال في قصيدة أخرى، محذرا القبائل العربية المتناحرة فيما بينها،
من شرور الشعوبية، ودعاها إلى نبذ الاختلافات والتوجه ضد العدو المشترك
الذي لا يدين إلا بقتل العرب، ومحوهم من الوجود:- (229*)
ما بالكم تلحقون الحرب بينكم
كأن أهل الحجا عن رأيكم عزب
وتتركون عدوا قد أحاط بكم
ممن تأسب لا دين ولا حسب
قدما يدينون دينا ما سمعت به
عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهم
فإن دينهم أن تقتل العرب
إن هذه الصيحات المؤمنة مع الأسف-لم تجد الأذان الصاغية، والقلوب
الواعية، ووقع ما تتبأ به الشاعر، عندما قويت شوكة أعداء العرب والمسلمين.
وهكذا ظل الشعر يواكب الأحداث التي كانت تلم بالمجتمع الإسلامي
والأمة العربية، طيلة العصريين الإسلامي والأموي، يرصد الأحداث
ليسجلها، ويصور وقائع تطوراتها السريعة المتلاحقة، ليحدد أطرها ويوضح
أهدافها.

وتكمن أهمية تلك الأشعار وقيمتها في أنها كانت تصدر عن رجال
شاركوا في صنع تلك الأحداث بأنفسهم ، وأرخوها بأشعارهم ، لتكون

أصدق الوثائق التاريخية والفنية لتلك المرحلة من مراحل تأريخنا السياسي والأدبي..

الرجز:

وإذا أتينا على الرجز الإسلامي نجده يختلف عما كان عليه قبل الإسلام، فلم يكن نوايغ الشعراء الجاهليين يكثرون من النظم فيه. وكأنه أقل من منزلتهم الشعرية، ولو تصفحنا دواوين الفحول كالنابغة وزهير وطرفة، لماكدنا نجد للرجز مكانا فيه، كما أن الرجز الجاهلي لم يكن إلا قطعاً قصيرة يقولها الشاعر في الحروب أو الهجاء. أما في صدر الإسلام والعصر الأموي فنظم فيه كثير من الفحول، وتناولوا معظم الأغراض الشعرية، وبأراجيز طويلة.

قال أبو عبيد: -إنما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك، إذا حارب أو شاتم أو فاخر، حتى كان العجاج أول من أطاله وقصره، ونسب فيه، وذكر الديار، واستوقف الركاب عليها، ووصف فيها، وبكى على الشباب، ووصف الراحلة، كما فعلت الشعراء بالقصيد، فكان في الرجاز كامرئ القيس في الشعراء.

وقال غيره: -أول من طول الرجز الأغلب المجلي. (230*) وهو شاعر مخضرم استشهد في نهاوند سنة 21 هـ.

ويقول محمد بن حبيب: كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداد والمفاخرة وما جرى هذا المجرى، فتأتي منه بأبيات يسيرة، فكان الأغلب أول من قصد الرجز، ثم سلك الناس بعد طريقته.

ويؤيد ابن قتيبة هذا الرأي فيقول: إن الأغلب هو أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله. (231*)

وقد طبعت الأراجيز الإسلامية بأفكار الإسلام ومعانيه، وصدر فيها الشعراء عن روح جديدة ونفس ديني واضح.

فجعفر بن أبي طالب كان يقاتل الروم ببسالة في معركة مؤتة التي استشهد فيها، وهو يردد تلك المعاني بقوله: (232*)

يا حبذا الجنة واقترابها

طيبة وبارداً شرابها

والرؤم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيده أنسابها
علي إذ لاقيتها ضرابها
ويسلم عمرو بن الجموح الأنصاري، ويثور على الأصنام، ويعلن شكره
لله أن هداه وأنقذه قبل أن يكون في ظلمة القبر:
الحمد لله العلي ذي المنن
الواهب الرزاق ديان الدين
هذا الذي أنقذني من قبل أن
أكون في ظلمة قبر مرتهن
بأحمد المهدي النبي المرتهن^(233*)

وقد استوعب عبد الله بن رواحة مفاهيم الإسلام ومعانيه في أرجوزة
أخرى بمؤنة أيضا، فعبر عن معاني حب الاستشهاد في سبيل الله، وعن
اصل خلق الإنسان من نطفة كما ورد في القرآن، حيث قال عندما أحس
بتردد نفسه بعض التردد:-

أقسمت يا نفسي لتنزلنه
لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرته
مالي أراك تكرهين الجنه
قد طالما كنت مطمئنه
هل أنت إلا نطفة في شنه^(234*)
وتسود رجز الحروب الإسلامية الأولى روح إسلامية جديدة، وعاطفة
دينية، صدى لمفاهيم الإسلام وأفكاره.
قال أبو دجانة الأنصاري:-

أنا الذي عاهدني خليلي
ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكبول
أضرب بسيف الله والرسول^(235*)

ويردد الشعراء ألفاظ الإسلام الجديدة ومصطلحاته في أرجازهم،
فعندما يحقق الله النصر للمسلمين على الفرس يوم جلولاء، يقول شاعر

المسلمين:-

يا ربَّاً مهر حسن مطهم
يحمل أثقال الغلام المسلم
ينجو إلى الرحمن من جهنم
يوم جلاء ويوم رستم
ويوم زحف الكوفة المقدم
ويوم لاقى ضيقة مهزّم
وخرّدين الكافرين للضم (236*)

وفي حرب صفين كان الرجز سجّالا بين المتحاربين، يتبارون في المعاني والأفكار الإسلامية، فتناول عبد الله بن بديل الخزاعي فكرة التوكل والإيمان بقضاء الله وقدرته، فقال:-

لم يبق إلا العبد والتوكل
وأخذك الترس وسيفا مقصل
ثم التمشي في الرعيل الأول
مشي الجمال في حياض المنهل
والله يقضي ما يشاء ويفعل (237*)
ويعبر عدي بن حاتم الطائي عن رجائه الله، وخوفه من ذنوبه، وأنه لا يعدل بغفو الله شيئاً:-

أرجو إلهي وأخاف ذنبي
وليس شيء مثل عفوري (238*)
ويرتجز رجل من همدان، معبرا عن حرص الأعداء على المال ونكوصهم عن طاعة الله وما نص عليه الإسلام:-

قد قتل الله رجال حمص
حرصاً على المال وأي حرص
غروا بقول كذب وحرص
قد نكص القوم وأي نكص
عن طاعة الله وفحوى النص (239*)

وجسد شعراء الخوارج معاني الإسلام في الشهادة والتقوى، والزهد في الدنيا.

قال قطري بن الفجاءة:
حتى متى تخطئني الشهادة
والموت في أعناقنا قلاده
ليس الفرار في الوغى بعاده
يا ربّ زدني في التقى عباده
وفي الحياة بعدها زهاده^(240*)

وشاعت في أراجيز العصر الأموي نفحات دينية وأنفاس إسلامية،
فديوان العجاج يزخر بالأراجيز الإسلامية ذات المعاني والأفكار الجديدة،
التي لم يشهدها الرجز من قبل، قال العجاج: أنشدت أبا هريرة قصيدتي
التي أولها: ^(241*)

الحمد لله الذي استقلت
بإذنه السماء واطمأنت
بإذنه الأرض فما تعنت
ومدها بالراسيات الثبت
قال: حتى أتيت على آخرها. فقال: أشهد أنك لمؤمن.

وهذه الأرجوزة تبلغ سبعة وعشرين شطرا. كلها تسير على هذا المنهج
الديني. ^(242*) وله أرجوزة طويلة تسمى الغراء. تبلغ مائة وثمانين شطرا،
تزخر أيضا بالمعاني الإسلامية، ومثلها ميمية تبدأ بقوله فالحمد لله العلي
الأعظم ذي الجبروت والجلال الأفخم^(243*) وتستمر على هذه الوتيرة حتى
تبلغ اثنين وثلاثين شطرا.

وحتى الشاعر ذو الرمة، الذي لا نجد أثرا للإسلام في شعره، تأثر في
رجزه بالألفاظ والمعاني الدينية، فقال في آخر أرجوزة له:

فقلت: لا والمبدى والمعيد
الله أهل الحمد والتمجيد
مادون وقت الأجل المعدادود
موعود ربّ صادق الوعود
هل اغدون في عيشة رغيد
والله أدنى لي من الوريد
والموت يلقي أنفُس الشهود.^(244*)

وهكذا استطاع الرجز استيعاب المعاني الإسلامية، ولي يعد كما كان في
العصر الجاهلي مقتصرًا على موضوعات خاصة بالحروب وما يتفرع عنها
من فخر أو هجاء. وأصبح فنا من الفنون الشعرية المستقلة، لا مقطوعات
قصيرة يأنف النظم فيه فحول الشعراء.

الحواشي

- (1*) جمهرة أشعار العرب ١٩
- (2*) الديوان 305 «طبعة سيد حنفي»
- (3*) الديون ١ / 473
- (4*) الاستيعاب 4 / 158
- (5*) الديوان ١١٢
- (6*) الصابة ١ / 208
- (7*) م.ن ١ / 370
- (8*) م.ن 3 / 120
- (9*) الصبح المنير
- (10*) الديوان ١٠٢ وهي منسوبة للناطقة الجعدي في الشعر والشعراء 294
- (11*) سيرة عمر بن عبد العزيز ١٤٢
- (12*) الديوان ٨٢
- (13*) المفضليات ١٤٥
- (14*) الديوان ٦٣
- (15*) معجم الشعراء ٤٩
- (16*) البيان والتبيين 3 / 365
- (17*) تاريخ دمشق 6 / 4
- (18*) شعراء أمويون ١ / 225
- (19*) عيون الأخبار 2 / 304
- (20*) م.ن 2 / 302
- (21*) الديوان (صبح الأعشى) أنق: فرح وسرور، الحنوط: طيب يتخذ للميت
- (22*) ابن عساكر 6 / 43
- (23*) كتاب التوابين ١٣٩
- (24*) الديوان 577 (ط الصاوي)
- (25*) الديوان ١٢٣
- (26*) الديوان 228
- (27*) الديوان 30
- (28*) شعراء الخوارج 38
- (29*) الطبري 7 / ١٠٠
- (30*) الأخبار الطوال ١٣٨
- (31*) سورة النساء. آية 74
- (32*) الطبري 4 / 83

- (33*) الاستيعاب 298/4
- (34*) فتوح الشام 98/2
- (35*) ربيع الأبرار 332/3 والحران: العطشان يريد به هنا العطشان إلى الدماء
- (36*) معجم البلدان 747/4
- (37*) الأغاني 190/13 والإصابة 164/2
- (38*) الإصابة 78/1
- (39*) الحيوان 77/263 والأعبل: حجارة بيض.
- (40*) الطبري 3/557
- (41*) انظر الحيوان 7/172
- (42*) الإصابة 1/318
- (43*) معجم البلدان 2/328
- (44*) فتوح الشام 1/209
- (45*) فتوح الشام 2/160. أضحى المتصل: ظاهر الانتساب.
- (46*) م. ن 1/115
- (47*) م. ن 2/174
- (48*) فتوح البلدان 473
- (49*) شعر الراعي التميمي 55
- (50*) شعراء أمويون 2/390
- (51*) الديوان 1/285
- (52*) أي يكلفنا جمع الدراهم وأداءها إليه في مطالع الأهله.
- (53*) العبور: كوكب يطلع في الجوزاء.
- (54*) انساب الأشراف 4/1/141
- (55*) م. ن 1/4/400 و5/332
- (56*) يريد مرثد بن شرحبيل، كان أساء في البيع، وزيد مولى عتاب بن ورقاء كان خازنه، ودحروجة الجعل عامر بن مسعود، لقب بذلك لقصره.
- (57*) الديوان 238
- (58*) الاستيعاب 3/521 والأخبار الموفقيات 592
- (59*) الاستيعاب 2/246 وشرح نهج البلاغة 6/8
- وسعد: هو سعد بن عبادة الأنصاري الذي دعا لخلافة الأنصار العيوق: نجم عال.
- (60*) الديوان 1/88. المصائب: الواحدة نصيبه: الحجارة وأراد بها هنا أساس الملك
- (61*) انظر مثلاً ديوان جرير 24، 474، والأخطل 21
- (62*) الديوان 1/295
- (63*) الديوان 2/352
- (64*) انظر مثلاً ديوان جرير 275، 432
- (65*) الهاشميات 37
- (66*) الهاشميات 37

- (67*) انظر تفصيل ذلك في شعر الكميت، ط. بغداد ج 1 ق 1 / 59
- (69*) الهاشميات 92
- (69*) مروج الذهب 3 / 242
- (70*) الديوان 92
- (71*) شعر الخوارج 20
- (72*) مروج الذهب 5 / 316
- (73*) ربيع الأبرار 3 / 129
- (74*) الأغاني 1 / 403
- (75*) العمدة 1 / 29
- (76*) الأغاني 8 / 91
- (77*) العصر الإسلامي 359
- (78*) الحب المثالي عند العرب 65
- (79*) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام 250
- (80*) الحب العذري، نشأته وتطوره 55
- (81*) ليلي والمجنون في الأدبيين العربي والفارسي 16
- (82*) في الشعر الإسلامي والأموي 81
- (83*) حديث الأربعاء 188 / 1
- (84*) ينظر كتابه في سلسلة عالم المعرفة (36)
- (85*) فيس ولبني 144
- (86*) ديوانه 117
- (87*) شعر يزيد بن الطثيرة 92
- (88*) الديوان 67
- (89*) الديوان 200، 89
- (90*) الديوان 73
- (91*) ديوان مجنون ليلي 293
- (92*) كشف الخفاء 2 / 202 وشعر عروة بن حزام ص15
- (93*) ديوان مجنون ليلي 189
- (94*) فيس و لبنى 103
- (95*) الديوان 255
- (96*) الإصابة 3 / 41
- (97*) ديوان حسان 43 (اسيد حنفي)
- (98*) أسد الغابة 4 / 216
- (99*) الاستيعاب 3 / 521
- (100*) ابن هشام 2 / 466 وما بعدها
- (101*) الزعر: قلة الشعر. ومشتجر: مختلف
- (102*) شعر النابغة 270
- (103*) الإصابة 183 / 2

- (104*) أسد الغابة 1 / 166
- (105*) الإصابة 2 / 476
- (106*) الديوان 1 / 322 , 159
- (107*) شعره وحياته 39 و 63
- (108*) ابن عساكر 3 / 323
- (109*) الديوان 56
- (110*) الأمانى 134 / 2
- (111*) تاريخ الإسلام 4 / 69
- (112*) الديوان 174
- (113*) أسد الغابة 1 / 89
- (114*) الديوان 224
- (115*) أسد الغابة 1 / 101
- (116*) الديوان 203 و 174
- (117*) الطبري 4 / 272
- (118*) الديوان 294 (البرقوقي)
- (119*) الأغاني (الدار) 12 / 30
- (120*) الديوان 2 / 282
- (121*) الديوان 2 / 72
- (122*) الديوان 68
- (123*) الديوان 2 / 686
- (124*) الديوان 334
- (125*) الديوان 1 / 416
- (126*) شعر الخوارج 84
- (127*) ألا: من آل يثـل، أي أن وحن ورفع صوته بالدعاء
- (128*) الأغاني 21 / 10 (بولاق)
- (129*) الديوان 338
- (130*) الإصابة 3 / 83
- (131*) المدايح النبوية في الأدب العربي 17
- (132*) انظر ديوان حسان 379 وطبقات ابن سعد 2 / 309 و 225 و 330
- (133*) الديوان 259
- (134*) م. ن 206
- (135*) تاريخ الأدب العربي-فروخ 1 / 326
- (136*) الديوان 74
- (137*) ابن هشام 1 / 356 وأسباب النزول 812
- (138*) ابن هشام 1 / 355
- (139*) أسباب النزول هـ
- (140*) أسباب النزول 21.

- (141*) الهجاء والهجاءون 189 وما بعدها .
- (142*) الأغاني 4/137
- (143*) العقد الفريد 6/ 145
- (144*) العصر الإسلامي 50
- (145*) الديوان 251
- (146*) الديوان 203
- (147*) الديوان 111 و 388 .
- (148*) البداية والنهاية 4/ 61 .
- (149*) الإصابة 3/ 195 .
- (150*) الإصابة 2/ 112
- (151*) اللسان (قذع)
- (152*) الإصابة 2/ 207
- (153*) الأغاني 2/ 52 (طبعة ساسي)
- (154*) ديوان جرير 1/647 و 481 و 338 و 52 و 1015
- (155*) الديوان 86
- (156*) الديوان 2/ 328
- (157*) الطبري 6/ 113
- (158*) الكامل في الأدب 2/ 162
- (160*) ابن هشام 2/143 سلع: جبل في المدينة، البروق: نبات له أصول تشبه البصل .
- (161*) م. ن 2/144 . الإبرام: اللثام، نرتق: نصلح.
- (162*) الطبري 2/ 523 . القرم والمصعب: الفحل الكريم من الإبل يريد به حمزة .
- (163*) ابن هشام 2/ 131
- (164*) زافر: حاملات الثقل
- (165*) الماضي: الدروع اللينة. والنقع الغبار .
- (166*) ابن هشام 2/ 13
- (167*) الديوان 2/ 155
- (168*) الديوان 1/ 157
- (169*) الأغاني 8/ 306
- (170*) انظر الرثاء ص 6
- (171*) سورة البقرة آية 155 - 157
- (172*) الديوان 208 والجادي. طالب المعروف
- (173*) الديوان 211 .
- (174*) الاستيعاب 2/ 465 البوائج: جمع بائجة، وهي الداهية .
- (175*) الديوان 213، محتتن: متتابع
- (176*) الاستيعاب 3/ 66
- (177*) شعر الخوارج 12
- (178*) ديوان الهذليين 1/

- (179*) غب : بقيت. ناصب: متعب
- (180*) يريد حمار الوحش. والجون: الأسود. والسراه: أعلى الظهر. جدا ثد: آتن وقد اعتبر الشاعر في حدثان الدهر بحمار الوحش، لما ذكروا من انه يعمر مائتي سنة أو أكثر
- (181*) الأغاني 6 / 299
- (182*) معجم الشعراء 345
- (183*) الديوان 186
- (184*) شعراء أمويون 1 / 41
- (185*) الأغاني 11 / 278 (طبعة الدار)
- (186*) حلية الأولياء 1 / 104
- (187*) ابن هشام 2 / 24
- (188*) الطبري 5 / 2310 (الأوربية)
- (189*) وفيات الأعيان 4 / 434
- (190*) الديوان 221 و 173
- (191*) الديوان 167
- (192*) الاستيعاب 1 / 14
- (193*) طبقات ابن سعد 5 / 319
- (194*) الديوان 2 / 864
- (195*) أخبار القضاة 3 / 33
- (196*) شعر الخوارج 60
- (197*) الممتع في علم الشعر وعمله 24.
- (198*) م.ن
- (199*) ابن هشام 1 / 512
- (200*) ديوان حسان 94.
- (201*) ديوان كعب 224
- (202*) نصية: الخيار من القوم
- (203*) ذكنا: اشتعال نار حرينا. وتلفع: يشتمل حرها على من يدنو منها
- (204*) الفروع: الطعنات المتسعة. وعزالى جمع عزلاء وهي فم السقاء. يتمزغ: يتقطع.
- (205*) ابن هشام 2 / 172 و 183 وأسد الغابة 2 / 104
- (206*) الشلو: البقية. الممزغ: المقطع
- (207*) ديوان حسان 378
- (208*) المرسلات: يريد هنا الملائكة
- (209*) أضافها: نزل بها. وبلاط: مستو من الأرض. الغرقد: الشجر
- (210*) الأخبار الموفقيات 585
- (211*) الأخبار الموفقيات 586
- (212*) الأخبار الموفقيات 580
- (213*) انظر الفتوحات الإسلامية ص3
- (214*) الإصابة 1 / 555- وانظر أشعار من ذكرنا من الشعراء في هذا المصدر أيضا، حيث ترجم

- لهم جميعا .
- (215*) الإصابة 4/345
- (216*) ديوان كعب بن مالك 264
- (217*) ديوان حسان 214
- (218*) الطبري 4 / 386
- (219*) ن . م 4/526
- (220*) وقعة صفين 153
- (221*) مقاتل الطالبين 81
- (222*) الطبري 5 / 405
- (223*) الطبري 5 / 466
- (224*) شعراء أمويون 1 / 109، البيت الأول مخزوم في قوله . ويا لك حسرة .
- (225*) الطبري 6 / 337
- (226*) الطبري 6 / 343
- (227*) شعر الخوارج 24
- (228*) روح بن زنباع الجذامي، سيد اليمانية في الشام وقائدها، توفي سنة 84 هـ، وزفر بر الحارث الكلابي
- (229*) العقد الفريد 5 / 241 و 224، كان كبير قيس في زمانه، وتوفي سنة 75 هـ، أما عمران بن حطان شاعر النص فقد توفي في سنة 84 هـ، ويظهر أن الشاعر تعمد ذكر اسميهما لأنهما سيذا القبيلتين المتصارعتين في زمانه .
- (230*) الشعر والشعراء 1 / 537
- (231*) العمدة 1 / 182 .
- (232*) الشعر والشعراء 2 / 613 .
- (233*) ابن هشام 2 / 378 .
- (234*) البداية والنهاية 3 / 166 .
- (235*) ابن هشام 2 / 379
- (236*) م . ن 2/69
- (237*) الطبري 3 / 578
- (238*) وقعة صفين 276
- (239*) م . ن 489
- (240*) وقعة صفين 497
- (241*) الأخبار الطوال 286 .
- (242*) أخبار الزجاجي 103
- (243*) انظر ديوان العجاج 266
- (244*) الديوان 294
- (245*) الديوان 225

الخصائص الفنية

من الطبيعي ألا يكون الشعراء في صدر الإسلام والعصر الأموي على درجة واحدة من الالتصاق بعقيدتهم الإسلامية، وانصهار وجدانهم بها، ومن هنا اختلفت تجاربهم الشعرية حدة في الانفعال، وقدرة على التعبير عن ذلك الانفعال فتفاوتت أشعارهم . ومع ذلك فثمة سمات عامة يمكن أن يتميز بها شعر تلك الفترة.

ومن تلك السمات أن أشعارهم كانت تعبيراً، جمالياً مؤثراً، عن مواقف وتجارب وتصورات أولئك الشعراء، إزاء الكون والحياة والإنسان.

فقد حاول الشعراء التوفيق بين جمالية النص من ناحية وتأثيره من ناحية أخرى.

ومع ذلك فقد شاع في أشعارهم ما نطلق عليه اليوم مصطلح الالتزام، حيث اتخذ الشعر أداة لإصلاح المجتمع، وخدمة العقيدة التي آمنوا بها . كما تميز الشعر بالواقعية، حيث كان الشعراء يعيشون حياة الناس وينقلون مشاعرهم وأحاسيسهم، ويعبرون بصدق عما يعتل في صدورهم ، ويجري بينهم، وقت السلم وعند الحرب . إن هذه السمات العامة يمكن أن نلمسها في أي ديوان أو مجموعة شعرية في تلك الفترة.

والى جانب هذه السمات العامة يمكن أن نرى بوضوح اثر الإسلام في كل الجوانب الفنية لتلك الأشعار . حيث يظهر ذلك جليا في أنواع القسم والدعاء والقصص التي قد يستعين بها الشعراء في تعبيرهم فتد في ثانيا أشعارهم .

وامتد هذا التأثير إلي مضامين أشعارهم ومقدماتهم الشعرية والى طريقة التكرار التي برزت في ألفاظ تلك الأشعار وتراكيبها .

أما أسلوب الشعر، فيمكن أن نحس بأثر الإسلام الكبير فيه في بناء القصيدة وصورها وأخيلتها، وفي ثقافة الشاعر التي كان يودعها أشعاره، وفي ألفاظه وتراكيبه ومعانيه . حيث كان الشعراء يغترفون من القرآن الكريم والحديث الشريف، نسا أو روحا، فصدروا عنهما صدور الشذى الفواح عن الأزهار العطرة . وهو ما سمي بالاعتباس .

وعندما يريد الباحث أن يفصل القول في ذلك يجد ذلك جليا واضحا في كل الأساليب الشعرية لتلك الفترة .

القسم:

ومن الأساليب الإسلامية المتميزة القسم ، فقد استعان الشعراء بألوان القسم الجديدة التي وردت في القرآن الكريم ، أو التي استحدثتها المفاهيم والحياة الإسلامية، كالذي نراه في شعر أبي صخر الهزلي^(1*).

أما والذي أبكى وأضحك والذي

أمات وأحيا والذي أمره الأمر

حيث تأثر الشاعر بقوله تعالى: «وأنه هو أضحك وأبكى، وأنه هو أمات

وأحيا»^(2*)

ويقسم المتوكل الليثي في قوله: ^(3*)

لا والذي يهوى إلى بيته

من كل فجٍ محرم ناحل

وهو متأثر إلى حد بعيد بما في قوله تعالى: «وأذن في الناس بالحج

يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍ عميق»^(4*).

ويقسم مجنون بني عامر قسما قرانيا مستعينا بما ورد في آي الذكر

الحكيم، فيقول: ^(5*)

ألا زعمت ليلى بأن لا احبها
 بلى، والليالي العشر والشفع والوتر
 وينص القسم القرآني على قوله تعالى: «والفجر وليال عشر، والشفع
 والوتر». (6*)

ويقتبس المختار الثقافي قسمه من القرآن أيضا، فيقول: (7*)
 أما ورب المرسلات عرفا
 لتقتلن بعد صفّا صفّا
 وبعد ألف قاسطين ألفا
 وقسم القرآن هو قوله تعالى: « والمرسلات عرفا ». (8*)
 وقد يعدّد الشعراء صفات الله تعالى التي وردت في القرآن الكريم ،
 وهي صفات لم تكن معروفة في قسم الجاهليين. يقول جرير. (9*)
 احلف بالله العزيز القهار

ما لكليب من حمى ولا دار
 واتخذ الشعراء من مناسك الحج ومراسمه في الإسلام وسيلة جديدة
 للقسم، لما يستشعر الإنسان في تلك المناسك من قدسية ورهبة، ولما يشيع
 ذكرها من جو ديني.
 فيقسم كعب بن معدان الأشقري ربّ المناسك، ومقام إبراهيم ،
 فيقول: (10*)

أني وربّ منى وما جمعت
 يوم الحجيج وأشهر الحرم
 ومقام إبراهيم يمسه
 من كل أشعث ناحل الجسم
 ويقسم مجنون ليلى بمن شرع المناسك، ثم راح يعدد تلك المناسك،
 مبتدئا بصلاة منى، فرمي الجمرات يوم الإفاضة، فالنحر، فحلق الرؤوس،
 ثم التلبية في صباح العاشر من ذي الحجة، فيقول: (11*)

حلفت بمن صلت قريش وجمرت
 له بمنى يوم الإفاضة والنحر
 وما حلقوا من رأس كل ملبي
 صبيحة عشر قد مضين من الشهر

ويذكر الأخطل تلك المناسك في حلفه، مترسما طريقة الشعراء المسلمين في ذلك فيقول: (12*)

لقد حلفت بما أسرى الحجيج له
والناذرين دماء البدن في الحرم
ويقسم في موضع آخر بقوله:
حلفت بمن تساق له الهدايا
ومن حلت بكعبته النذور

وحاول الشعراء تأكيد بعض المفاهيم الإسلامية الجديدة من خلال قسمهم، كنزول القرآن من الله تعالى، وإرساله محمد ﷺ كما يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب: (13*)

وحق من أنزل الآيات في السور
وأرسل المصطفى المبعوث من مضر
ويقسم أيمن بن خريم بمن أنزل القرآن في ليلة القدر، ليؤكد هذه الفكرة الإسلامية الجديدة، فيقول: (14*)

أما والذي أرسى ثبيراً مكانه
وانزل ذا الفرقان في ليلة القدر
ولم يكتف كثير من الشعراء بقسم واحد في حلفهم ، بل كانوا يكثرون من الأقسام المتعددة، ليرسموا صوراً متتابعة، ومشاهد متوالية زيادة في الإبداع الفني، وتقريراً لما يقصدون من المعاني، كالذي نراه في قسم كعب بن جعيل: (15*)

أني ورب النصارى في كنائسها
والمسلمين إذا ما جمعوا الجمعا
والقائم الليل بالإنجيل يدرسه
له تسفح عيناه إذا ركعا
ومهرق لدماء البدن عند منى
لأشكرن لابن سيف الله ما صنعا
وتتوالى مثل هذه المشاهد والصور الإسلامية في قسم حميد بن ثور الهلالي وهو يرثي الخليفة عثمان بن عفان (ر ض)، فيقول: (16*)

اني ورب الهدايا في مشاعرها
وحيث يقضى نذور الناس والنسك

وَرَبَّ كُلِّ مَنِيْبَاتٍ مَبْتَهَلَا
يَتْلُو الْكِتَابَ اجْتِهَادًا لَيْسَ يَتْرُكُ
لَا أَنْكَرَنَّ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي أَبَدًا
حَتَّى أَعْدَمَ مَعَ الْهَلَكَى إِذَا هَلَكُوا
إن هذه الأقسام جميعاً متأثرة إلى حد كبير بالأفكار والمفاهيم والحياة الإسلامية الجديدة، كما إنها من مميزات الشعر في صدر الإسلام وعصر بني أمية، ذكرناها نموذجاً لما شاع في دواوين وأشعار تلك الفترة.

الدعاء:

وكان الدعاء من الأساليب ذات العناصر الإسلامية الجديدة، فقد تفنن الشعراء الإسلاميون في أدعيتهم وابتهالاتهم الدينية، فكانت ضروباً مختلفة، منها توحيد الله، والثناء عليه، كقول عمرو ابن الجموح الأنصاري: (17*)
أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ
وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ نَارِهِ
وَإِثْنِي عَلَيْهِ بِأَلَائِهِ
بِإِعْلَانِ قَلْبِي وَإِسْرَارِهِ
ومنها سؤال الله العفو والمغفرة والرحمة، تضرعاً إليه، وخشية من عذابه، كقول النعمان بن بشير الأنصاري: (18*)
رَبِّ أَنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي كَثِيرًا
فَاعْفُ عَنِّي أَنْتَ الْغَفُورُ الْودُودُ
وَقَنِي شَرَّ مَنْ أَخَافُ فَإِنِّي
مَشْضُوقُ خَائِفٍ لِمَا تَسْتَعِيدُ
مِنْ خَطُوبٍ إِذَا ذَكَرْتَ ذُنُوبِي
وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ فِيهِ الْوَعِيدُ
وتضرع الشعراء إلى الله بنفوس منكسرة، وبقلوب ذليلة، ولهجة مقرة بالزلل، معترفة بالخطأ، ومع ذلك فهي تطمع بعفو الكريم ومغفرة الرحيم، يقول هدبة بن الخشرم: (19*)
إِذَا الْعَرْشُ إِنِّي عَائِدُ بِكَ مُؤْمِنٌ
مُقَرَّبُ زَلَاتِي، إِلَيْكَ فَقِيرٌ

واني وان قالوا: أمير مسلط
وحجاب أبواب لهن صرير
لأعلم أن الأمر أمرك. إن تدن
فرب، وإن تغفر فأنت غفور
وعندما كان يخوض الشعراء غمار الحرب، وهم يشدون على أعدائهم،
لم تفارق ألسنتهم تلك الدعوات الصالحات.
فضرار بن الأزور يتقدم نحو العدو فيقاتل، وهو ينشد متفرباً إلى الله،
بان يغفر ذنوبه، ويمحو زلاته، ويوفقه إلى خير العمل: (20*)
عليك ربي في الأمور المتكل
اغفر ذنوبي إن دنا مني الأجل
يا رب وفقني إلى خير العمل
عني وامح سيدي كل الزلل
ولم يجد الشعراء خيراً من الدعاء ملاذا لهم حين تزل منهم الأقدام،
وتحقيق بهم الأخطاء، يطلبون به التوبة من الله، ويرجون بواسطته المغفرة
من الرحمن.

فهذا الشاعر عبد الله بن عوف الأحمر الأزدي، يفتك بحوثرة بن وداع
الأسدي، لأنه من الخوارج، ولكنه يرى بعد مقتله أثر السجود على وجهه،
فيندم على فعلته، ويلجأ إلى الدعاء، لعل الله يغفر له ما ارتكب من خطأ،
ويقول: (21*)

قتلت أخا تقى لأنال دنيا
وذاك لشقوتي وعثار جدي
فهب لي توبة يا رب واغفر
لما فارقت من خطاً وعمد
ومن ضروب الدعاء الأخرى مسألة الخير في الدنيا، والاستزادة من
الفضائل فيها، يقول النمر بن تولب: (22*)

أعدني رب من حصر وعيي
ومن نفس أعالجهما علاجاً
ومن حاجات نفسي فاعصمني
فإن لضمرات النفس حاجاً

وأنت وليها وبرئت منها
إليك وما قضيت فلا خلاجا
وأنت وهبتها كوما جلادا
ارجي النسل منها، والنتاجا
فلست بحارم الأضياف منها
وجاعل دونهم بابي رتاجا^(23*) وعندما كان يداهم المرض الشعراء،
ويعجز الدواء عن الشفاء، لا يجدون أنجع من الدعاء، يستذلون به البرء من
الله، أو يستسلمون بواسطته إلى حسن القضاء.
فعندما ألم المرض بالشاعر الأموي عمرو بن أحمر الباهلي، توجه إلى
الله بالدعاء قائلا: ^(24*)

إليك إله الحق أرفع رغبتني
عياداً وخوفاً أن تطيل ضمانيا
فإن كان برءاً فاجعل البرء نعمة
وإن كان فيضاً فاقض ما أنت قاضيا
وقد يعاني الشعراء المذنبون من وطأة احتدام الصراع بين الشر والخير
في داخل نفوسهم، فيتوجهون إلى الله بالدعاء الخالص، ليجيرهم مما هم
فيه، كما نرى في دعاء الشاعر الأموي جحدر المحرزي، وكان يتهم
باللصوصية، حيث يقول: ^(25*)

إني دعوتك يا إله محمد
دعوى، فأولها لي استغفار
لتجيرني من شرماً أنا خائف
ربّ البرية، ليس مثلك جار
تقضي ولا يقضى عليك وإنما
ريبي بعلمك تنزل الأقدار
أدعوه سراً مناديه علانية
والله يعلم إعلاني وإسراري
إن هذا الدعاء الصادق، المنبعث من قلب الشاعر، المقر بقدرة الله،
وحسن جواره للمذنبين والعاصين، يدل على تأثره بالمحيط الجديد الذي
يعيش فيه، مع ما عرف عنه من اللصوصية والعدائية في سلوكه.

القصص:

لقد استحوذت قصص القرآن على مشاعر الناس في مختلف العصور الإسلامية، وشغفوا بأسلوبها الممتع الأخاذ، وكان للقصصين والوعاظ دور بارز في انتشار تلك القصص بين الناس، بعد أن توسعوا فيها، وأفادوا من الكتب السماوية الأخرى.

وكان من الطبيعي أن ينتفع الشعراء بتلك الذخيرة الضخمة التي يحويها القرآن الكريم، ولما لم تكن أشعارهم تستوعب تلك القصص كما وردت في القرآن، فمد اكتفوا بالنقاط ما فيها من إحياءات موضوعية أو فنية، وأدخلوها في أشعارهم، وهم يعالجون قضايا مجتمعهم الجديد، أو مشاكلهم الخاصة. وقد توخى هؤلاء الشعراء الغاية التي كانت ترمي إليها قصص القرآن، وهي الاتعاض والاعتبار، وبخاصة حين كانوا يستشهدون بقصص الأ أقوام الغابرين، أو قصص الأنبياء التي سردها القرآن.

فعندما دالت دولة فارس، وانهار حكمهم، وصار أبناء فارس يرعون شاه المسلمين، بعد أن كانوا ملوك وسادة الدنيا، وانهار ملكهم وصار كأنه أضغاث أحلام، حاول الشاعر الإسلامي النابغة الجعدي تشبيه كل ذلك بملك سبأ، الذي أتى عليه سيل العرم من القواعد، فانهار وتهدم، كما قص ذلك القرآن الكريم في سورة سبأ: «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم» (26*) فقال: (27*)

يا أيها الناس هل ترون إلى

فارس بادت جدها رغما

أمسوا عبيدا يرعون شاء كم

كأنما كان ملكهم حلما

أو سبأ الحاضرين مأرب إذ

يبنون من دون سيله العرما

وعندما مدح الشاعر الأموي الشمر دل بن شريك هلال بن أحوز المازني، واستملاحه، فوعده الرفد، ثم رده زمانا حتى ضجر، ثم أمر له بعشرين درهما، فدفعها إليه وكيله غلة، فردها، وقال يهجوه بأن لو كان معه مثلاً كنز قارون، وقيل له: انتظر رفته. لما قصده وعاد إليه، وقارون ممن قص

القرآن غناه وكثرة صالة بمثل قوله تعالى: «فخرج على قومه في زينته، قان الذين يريدون الحياة الدنيا، يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، إنه لذو حظ عظيم» وقوله تعالى: «إن قارون كان من قوم موسى، فبغى عليهم، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة أولى القوة». (28*)
قال الشمردل: (29*)

ولو قيل مثلاً كنز قارون عنده

وقيل التمس موعوده لا أعاوده

ويهجو الشاعر الإسلامي عبد الله بن الحارث قريشا لجحودها حق الله، مشبها جحودهم بجحود عاد ومدين والحجر، وهم ثمود، وكل أولئك الأقسام قص القرآن جحودهم في آيات كثيرة، وفي سور مختلفة، قال: (30*)
وتلك قريش تجحد الله حقه

كما جحدت عاد ومدين والحجر

ووجد الشعراء في قصص الأنبياء التي سردها القرآن الكريم كنزا يستمدون منه تشبيهاتهم، ويلتمسون فيه الصور التي يرسمون، فعندما يريد النابغة الجعدي أن يهجو رجلا لا يجد خيرا من الإشارة إلى قصة السامري وموسى، التي منها قول موسى للسامري: «وإن لك في الحياة أن تقول لا مساس» (31*) فحرمه مخالطة الناس عقوبة له، فقال الجعدي: (32*)

فاصبح في الناس كالسامري

إذ قال موسى له: لا مساسا

ولما أراد حسان بن ثابت هجاء صفوان بن أمية، الذي كان قد أمر بنيه أن يدخلوا بيت رجل كان بينه وبينه شيء ففعلوا، فعمد حسان إلى المقارنة بين هذه الوصية ووصية يعقوب بنيه التي قصها القرآن، وشتان بينهما، إذ وصى يعقوب بنيه: «يا بني إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون». (33*)

قال حسان: (34*)

والله ما أوصى أمية بكره

بوصية أوصى بها يعقوب

وفصل حسان قصة قرآنية في هجائه شاعر المشركين، بطريقة أوضح من الإشارات المقتضبة التي رأيناها في النماذج السابقة، فيقول: (35*)

يكون إذا بث الهجاء لقومه
 ولاح شهاب من سنا البرق واقد
 كأشقى ثمود إذ تعاطى بسيفه
 خصلة أم السقب والسقب وارد
 فولى فأوفى عاقلا رأس صخرة
 نما فرعها واشتد منها القواعد
 فقال: ألا فاستمتعوا في دياركم
 فقد جاءكم ذكر لكم ومواعيد
 ثلاثة أيام من الدهر لم يكن
 لهن بتصديق الذي قال زائد
 فحسان يشبه مهجوة بأشقى ثمود، الذي عقر ناقة النبي صالح، وكان
 شؤما على قومه، وقص تعالى حديثه بقوله: «إذ انبعث أشقاها، فقال لهم
 رسول الله ناقة الله وسقياها» (36*) وفي قول حسان: إذ تعاطى بسيفه.
 استعان بقصة ثمود أيضا «فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر» (37*)
 ثم ينتقل في البيتين الآخرين إلى إشارة أخرى من تلك القصة «فقال
 تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ذلك وعد غير مكذوب» (38*)
 وهكذا التقط الشاعر إشارات من قصة متكاملة وردت في أكثر من
 موضع في القرآن، وفي سور مختلفات، اعتمادا على فطنة السامع ومعرفته
 بتفاصيل تلك القصة.
 وهكذا كان دأب أكثر الشعراء فهم يكتفون بإيراد رموز، ولا يفصلون
 الحديث اعتمادا على فطنة السامع وحفظه القرآن.
 ويتحدث النعمان بن بشير عن قصة يونس باختصار شديد، فيقول: (39*)
 وابن متى الذي تداركه الله
 من الغم وهو فيه عميد
 فدعاه دعوة وقد غيبتة
 ظلم دونها حنادس سود
 ومعروف أن قصة النبي يونس في القرآن جاءت كالاتي:
 «فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت، إذ نادى وهو مكظوم،
 ولولا أن تداركه نعمة من ربه لنذب بالعراء وهو مذموم، فاجتباه ربه فجعله

من الصالحين». (40*) وينتفع الفرزدق بقصة يونس أيضاً، ولكنه يرويها بأسلوب آخر حيث يقول: (41*)

فقلت لها: ما باحتيال ولا يد
خرجت من الغمى ولا بالجعائل
ولكن ربي يونس إذ دعا
من الحوت في موج من البحر سائل
دعا ربه، والله أرحم من دعا
وأدناه من داع دعا متضائل
ولما أراد جرير أن يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك، وجد في قصة يوسف معينا ثرا يستطيع الانتفاع به للتعبير عما يريد، فقال: (42*)
كونوا كيوسف لما جاء أخوته
واستعرفوا قال: ما في اليوم تثريب
الله فضله، والله وفقه
توفيق يوسف إذ وصاه يعقوب
في إشارة لقوله تعالى: «قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» (43*)
وكانت تلك القصص زادا لكل شعراء العصر الأموي لا ينضب، بغض
النظر عن دياناتهم .

فهذا الشاعر النصراني الأخطل يزخر شعره بإشارات سريعة لقصص الأنبياء التي كان يختزنها في ذاكرته، فيخاطب يزيد بقوله: (44*)
أما يزيد، فأني لست ناسيه
حتى يغيبني في الرمس ملحود
جزاك ربك عن مستفرد وحد
نضاه عن أهله جرم وتشريد
جزاء يوسف إحساناً ومغفرة
أو مثل ما جزي هارون وداود
أو مثل ما نال نوح في سفينته
إذ استجاب لنوح، وهو منجود
أعطاه من لذة الدنيا وأسكنه
في جنة نعمة فيها وتخليد عندما يهجو نفع بن صفار المحاري، الذي

ألح في الفخر بقومه وأيامهم على التغليبين، يشير الأخطل إلى حية موسى التي توسلها يوم أیده الله بنصره، والتي ذكرها القرآن في قصة موسى وفرعون بقوله تعالى: «فألقاها فإذا هي حية تسعى»^(45*)
قال الأخطل: ^(46*)

تخل ابن صفار فلا تذكر العلا
ولا تذكرن حیات قومك في الذكر
فقد نهضت للتغليبين حية
كحیة موسى يوم أید بالنصر
وقد یورد الشاعر شيئاً من قصص الغابرين وشيئاً من قصص الأنبياء،
ويجمع بينهما حين يكون ذكرهما يفيد العبرة والاتعاظ.
فقد ضرب النعمان بن بشير المثل بقصص الأقسام الغابرين، كقوم
تبع وثمرود، وتقصص الأقسام الذين كذبوا أنبياءهم، كقوم شعيب وهود،
فقال: ^(47*)

قد رأيتهم مساكن كان فيها
قبلكم قوم (تبع) و (ثمرود)
وقرون لقتهم رسل الله
(شعيب) فكذبوه و (هود)
ويظهر تأثر الفرزدق بقصص القرآن واضحاً، وهو يهجو إبليس في
قصيدته الميمية المعروفة حيث يقول: ^(48*)

يظل يمني علي الرحل واركا
يكون ورائي مرة وأمامي
يبشرنني أن لن أموت وأنه
سيخلدني في جنة وسلام
فقلت له: هلاً أخيك أخرجت ؟
يمينك من خضر البحور طوام
رمى به في اليم لما رأته
كفرقة طودي يذبل وشممام
فلما تلاقى فوقه الموج داميا
نكصت ولم تحتل له بمرام

ألم تأت أهل الحجر والحجر أهله
 بأنعم عيش في بيوت رخام
 فقلت: اعقروا هذه اللقوح فإنها
 لكم، أو تتيحوها، لقوح غرام
 فلما أتاحوها تبرأت منهم،
 وكنت نكوصاً عند كل ذمام
 وآدم قد أخرجته، وهو سكن
 وزوجته، من خير دار مقام
 والفرزدق في هذه الأبيات أفاد من ثلاث قصص قرآنية، إذ أشار في
 الأبيات 3- 5 إلى قصة فرعون الذي غرق وجنده في البحر. تلك القصة التي
 فصلها القرآن، وختمها بقوله تعالى: «فأخذناه وجنوده، فنبدناهم في اليم
 فانظر كيف كان عاقبة الظالمين».(49*)
 وهو يشير في الأبيات 6- 8 إلى قصة قوم ثمود التي سبق أن ذكرنا بعض
 آياتها.

وفي البيت الأخير يشير إلى قصة إخراج آدم وزوجه من الجنة التي
 ختمها القرآن بقوله تعالى: «فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا
 فيه».(50*)

التكرار:

ويعد التكرار سمة بارزة من سمات الشعر الإسلامي، وقد يكون الشعراء
 متأثرين بالأسلوب القرآني الذي كثيرا ما اعتمد التكرار من أجل التقرير
 والتأكيد.

فالشعراء سلكوا هذا المذهب للتأكيد والإفهام والإقناع. فحسان ابن
 ثابت عندما يرثي الرسول ﷺ يلجأ إلى هذا الأسلوب ويكرر في قوله: (51*)

فبوركت مولوداً، وبوركت ناشئاً
 وبوركت عند الشيب، إذ أنت أشيب
 وبورك قبر أنت فيه، وبوركت
 به وله، أهل لذلك، يثرب
 فقد كرر كلمة (بورك) خمس مرات في هذين البيتين، وعندما كان

يفخر يسلك أسلوب التكرار أيضاً، فيكرر صدر البيت في قوله: (*52)

ومن خير حي يعلمون لسائل
غياثا وعان موثق في السلاسل
ومن خير حي يعلمون لجارهم
إذا اختارهم في الأمن أو في الزلازل
ومن التكرار الذي يفيد التأكيد قول انس بن زعيم الدؤلي يخاطب ا
لرسول ﷺ: (*53)

تعلم رسول الله أنك مدركي
وان وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر
على كل صرم متهمين ومنجد
تعلم بأن الركب ركب عويمر
هم الكاذبون المخلفون كل موعد
ومن التكرار المفيد قول الفضل بن العباس، يخاطب المشركين في فتوح
الشام: (*54)

أقروا بأن الله لا رب غيره
والأقروا أمراً عظيماً مداجيا
أقروا بأن الله أرسل حمداً
نبياً كريماً للخلائق هاديا
والتكرار ظاهرة عامة في الشعر الأموي، وقد تكون أكثر وضوحاً فيه من
العصر الإسلامي. ومنه تكرار جرير اسم من يهجوّه مرات عديدة، بقصد
السخرية وتأكيد اسم المهجو، كقوله في بني نمير، قوم الشاعر النميري: حيث
كرر اسمهم في قصيدة واحدة اثنتين وعشرين مرة، حيث قال فيها: (*55)

وقد جلت نساء بني نمير
وما عرفت أناملها الخضابا
إذا حلت نساء بني نمير
على تبراك خبثت الترابا
ولو وزنت حلوم بني نمير
على الميزان ما وزنت ذبابا

فصبراً يا تيوس بني
 نمير فإن الحرب موقدة شهابا
 لعمر أبي نساء بني نمير
 لساء لها بمقصلتي سبابا
 وعرف الكميت بكثرة تكراره في الشعر، نحو قوله يمدح بني هاشم: (56*)
 فإنهم للناس فيما ينوبهم
 غيوث حيا ينضى به المحل محل
 وإنهم للناس فيما ينوبهم
 أكف ندى تجدي عليهم وتفضل
 وإنهم للناس فيما ينوبهم
 عرى ثقة حيث استقلوا وحلوا
 وإنهم للناس فيما ينوبهم
 مصابيح تهدي من ضلال ومنزل
 ومن تكرار الشعراء الأمويين قول الفرزدق، حيث كرر لفظة (عشية)
 أربع مرات في أربعة أبيات متتاليات: (57*)
 عشية لم تمنع بنيتها قبيلة
 بعز عراقي ولا بيمان
 عشية ما ود ابن غراء أنه
 له من سوانا إذ دعا أبوان
 عشية ود الناس أنهم لنا
 عبيد، إذ الجمعان يضطربان
 عشية لم تستر هوازن عامر
 ولا غطفان عورة ابن دخان
 ومنه تكرار ثابت قطنة في قوله: (58*)
 فدت نفسي فوارس من تميم
 غداة الرّوع في ضنك المقام
 فدت نفسي فوارس اكنفوني
 على الأعداء في رهج القتام
 ويفرط مالك بن الريب في تكراره، حين يكرر لفظة (در) سبع مرات في

خمسة أبيات حين رثى نفسه بقوله: (59*)

فأله دري يوم أترك طائعا
بني بأعلى الرقمتين وماليا
ودر الأطباء السانحان عشية
يخبرن أني هالك من ورائيا
ودر كبيري اللذين كلاهما
علي شفيق ناصح لونهانيا
ودر الرجال الشاهدين تفتكي
بأمري ألا يقصروا من وثاقيا
ودر الهوى من حيث يدعو صحابتي
ودر لجاجاتي ودر انتهائيا
ولو دققنا في الأشعار التي قيلت في تلك الفترة لوجدنا نماذج كثيرة
أخرى من هذا التكرار.

الاقتباس:

نهج شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي نهج استيحاء القرآن والحديث النبوي. وحاولوا تقليد أسلوبيهما، فقد كان القرآن يمثل الذروة العليا في البلاغة العربية ويليه الحديث النبوي في ذلك. فاقتباس الشعراء منهما إنما يعني محاولة التقرب من تلك الذروة العالية، وكلما ازداد الشاعر في اقتباسه كان أقرب إلى تلك الذروة. «وليس المقصود بالاقتباس من القرآن تقليده في طريقة معالجته لموضوعاته، فالغرض الديني الواضح والأصيل في القرآن هو الذي يحكم موضوعاته وتوجيهاته وتعبيراته، ولكنه-مع وفائه بالغرض الديني كاملا- يحمل خصائص فنية تصل إلى حد الإبداع والإعجاز. وذلك إلى جانب المفاهيم التي يعرضها عن الكون والحياة والإنسان. وحين نحاول الاستفادة من القرآن في مجال الفن، فسنلجأ إلى الناحيتين معا، المفاهيم وطرق الأداء، ولكن لا لتقليدها، وإنما لالتقاط التوجيه الذي تحمله، والنسج على منواله فيما ننشئ من الفنون» (60*) والشعر في طبيعة تلك الفنون.

وليس من السهل أن يستقصي الباحث ما اقتبس الشعراء الإسلاميون من القرآن لأنهم كانوا على صلة وثيقة به، عاشوا معه، واستمدوا منه أفكارهم، وأكثر صورهم وألفاظهم ومعانيهم، فتلونت أشعارهم بقرآنية واضحة.

ومع ذلك فيمكن تقسيم ذلك الاقتباس الأموي أربعة أنواع هي: النوع الأول: اقتباس الآيات القرآنية مع تحوير بسيط أو كبير في تركيب الجمل وترتيبها محافظة على الوزن، وانسجاماً مع القافية. من ذلك قول حسان بن ثابت متحدثاً عن الشيطان: (61*)

دلاهم بغرور ثم أسلمهم

إن الخبيث لمن والاه غرار

وقال: إني لكم جار فأوردهم

شرّ الموارد فيه الخزي والعار

اقتبس ذلك من قوله تعالى: (62*) «وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه، وقال إني بريء منكم». وقال عمار بن ياسر: (63*)

انهم عند ربهم في جنان

يشربون الرحيق والسلسبيل

من شراب الأبرار خالطه المس

ك وكأساً مزاجها زنجبيل

اقتبس ذلك من قوله تعالى: (64*) «ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً، عينا فيها تسمى سلسبيلاً».

وكان الشاعر النعمان بن بشير الأنصاري من أكثر الشعراء تأثراً بالقرآن، واقتباساً منه، فقد كاد ينظم الآيات القرآنية شعراً. وتعد قصيدته الدالية نموذجاً لاقتباس الشعراء من القرآن، ومن تلك القصيدة قوله: (65*)

قد آتاكم مع النبي كتاب

صادق تقشعر منه الجلود

اقتبس ذلك من قوله تعالى: (66*) ﴿اللّه نزل احسن الحديث كتابا متشابها

مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم». وقوله:

فطعام الغواة فيها ضريع

وشراب من الحميم صديد

اقتبس ذلك من قوله تعالى: ^(67*) «ليس لهم طعام إلا من ضريع».

وقوله تعالى: «والذين كفروا لهم شراب من حميم».

ومنها:

وترى الناس يحسبون من الكر

ب سكارى بل العذاب شديد

اقتبسه من قوله تعالى: ^(68*) «وترى الناس سكارى وما هم بسكارى

ولكن عذاب الله شديد».

والقصيدة كلها تسير على هذا النهج القرآني الواضح. أما موعظته

الدالية، فهي لا تقل عن هذه القصيدة من حيث الاقتباس، فقد حاول

ترجمة الآيات القرآنية ترجمة فيها شيء قليل أو كثير من التصرف، حيث

يقول فيها: ^(69*)

فكيف لو أن الليل كان عليكم

ظلاما إلى يوم القيامة سرمدا

من الخالق الباري لكم كنهاركم

نهارا يجلي ليله المتغمدا

ومن ذا الذي إن أمسك الله رزقه

أناكم برزق مثله غير انكدا

فهو يقتبس ذلك من قوله تعالى: ^(70*) «قل رأيتم إن جعل الله عليكم

الليل سرمدا إلى يوم القيامة، من اله غير الله يأتيكم بضياء». «وأمن هذا

الذي يرزقكم إن أمسك رزقه». ومنها:

مرجت لنا البحرين: بحرأ شرابه

فرأت وبحراً يحمل الفلك اسودا

أجاجة إذا طابت له ريحه جرت

به، وتراها حين تسكن ركدا

فما منكم محص لنعمة ربه

وان قال ما شا أن يقول وعددا

اقتبس ذلك من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ، هَذَا عَذَبَ
فَرَأَتْ، وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ﴾ و ﴿وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾.

وعندما يفخر عبید الله بن قیس الرقیات بالبيت الحرام قائلاً: (72*)

ليس لله حرمة مثل بيت

نحن حجاب به عليه الملاء

خصه الله بالكرامة فالبا

دون والعاكفون فيه سواء

يأخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ
سواء العاكف فيه والباد﴾.

والنوع الثاني: اقتباس المعنى أو الفكرة التي وردت في آيات القرآن
الكريم - من ذلك قول حسان بن ثابت: (74*)

وهل يستوي ضلال قوم تسفهاوا

عمى وهداة يهتدون بمهتد

أخذ هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾.

أما قوله: (76*)

صلى الإله ومن يطيف بعرشه

والطيبون على المبارك أحمد

فقد نظر فيه إلى قوله تعالى: (77*) «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

وقال عبد الله بن رواحة يصف النبي (ص): (78*)

يبيت مجافي جنبه عن فراشه

إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وقد اقتبس هذا المعنى من قوله تعالى: (79*) «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا». وقال النعمان بن بشير: (80*)

وأخرج ذرياتكم من ظهوركم

جميعاً لكيما تستقيموا، واشهدا

عليكم وناداكم: ألسن بريككم ؟

فقلتم: بلى عهداً علينا مؤكداً

لكيلا يقولوا: إنما ضلّ قبلنا
 القرون نصارى هم ومن قد تهودا
 وكنا خلوفاً بعدهم ، لم يكن لنا
 كتاب، ولم يجعل لنا الله موعدا
 وقد اقتبس الشاعر أفكاره وحواره من القرآن الكريم في قوله تعالى: (81*)
 ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ،
 أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنْ كُنَّا عَنْ هَذَا
 غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا: إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ . أَتَهْلِكُنَا
 بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ .
 وقال جرير: (82*)

لما أضلهم الشيطان قال لهم:
 أخلفتكم عند أمر الله ميعادي
 اقتبس هذا المعنى من قوله تعالى: (83*) ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ:
 إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ .
 وقال الفرزدق: (84*)

إن الرسول قضاة الله رحمته
 للناس ، والناس في ظلماء ديجور
 اقتبس معنى البيت من قوله تعالى: (85*) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ .
 واللون الثالث من الاقتباس أن يكتفي الشاعر باقتباس إشارة توحى
 للقارئ اللبيب بآية أو أكثر من آيات القرآن الكريم .
 من ذلك إشارة كعب بن مالك في قوله: (86*)

أمر الإله بربطها لعدوه
 في الحرب إن الله خير موفّق
 لتكون غيظا لعدو وحيطا
 للدار أن دلفت خيول النزق
 حيث يشير إلى قوله تعالى: (87*)

﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ، تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ
 اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ .
 ومنه قول ذي الرمة: (88*)

وعينان قال الله: كونا فكانتا
 فعولين بالألّباب ما تفعّل الخمر
 وهو يشير في هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.
 وقول جرير: (90*)

إنّي لأمل منك خيراً عاجلاً
 والنفس مولعة بحب العاجل
 والله أنزل في الكتاب فريضة
 لابن السبيل وللفقير العائل
 يشير الشاعر في البيت الثاني إلى قوله تعالى: (91*) ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ، فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾.
 ومعظم ما ذكرنا من قبل في «قصص القرآن في الشعر الإسلامي»
 يمكن أن يدخل في هذا اللون من الاقتباس.
 أما النوع الرابع فهو أن يقتبس الشاعر الآية نفسها، ويضمنها شعره،
 بلا تغيير أو تبديل، وهو قليل، لأن الالتزام به صعب، وقد لا يستقيم تطبيقه
 مع وزن الشعر أو قافيته.

ومن ذلك القليل قول الحصين بن الحمام المري: (92*)
 أعوذ بربي من المخزيات
 يوم ترى النفس أعمالها
 وخف الموازين بالكافرين
 وزلزلت الأرض زلزالها
 حيث اقتبس الأخير من نص الآية: (93*) «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا».
 ومن هذا الاقتباس قول حمزة بن عبد المطلب في صفات الشيطان: (94*)
 وقال لهم: إذ عاين الأمر واضحاً
 برئت إليكم ما بي اليوم من صبر
 فإنني أرى ما لا ترون وإنني
 أخاف عقاب الله والله ذو قسر
 اقتبس صدر البيت الثاني من نص الآية: (95*) ﴿وَقَالَ: إِنِّي بريء منكم﴾.

إني أرى مالا ترون».

وكما اقتبس الشعراء من القرآن فقد تواردوا على الحديث النبوي، يقتبسون من بلاغته الرائعة، ويعبون من أسلوبه المشرق، فقد وهب الله النبي جوامع الكلم كما قال: ^(96*) «بعثت بجوامع الكلم» ومنحه فصاحة المنطق حيث قال: ^(97*)

ومن الشعراء الذين اقتبسوا من الحديث، وتصرفوا في تركيبه بما يوافق الوزن والقافية، الشاعر الأموي هذبة بن الخشرم، حيث يقول: (104*)

وأحبيب إذا أحببت حباً مقارياً

فإنك لا تدري متى أنت نازع

وابغض إذا أبغضت بغضاً مقارياً

فإنك لا تدري متى أنت راجع

أخذ ذلك من قول الرسول ﷺ: (105*) «أحِبَّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَابْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا».

والنوع الثاني من الاقتباس أن يختصر الشاعر كلمات الحديث بألفاظ قليلة، تناسب طبيعة الشعر ولا تخل بالمعنى، أو يرمز إلى حديث بإشارة سريعة، من ذلك قول بجيد بن عمران الخزاعي يفخر بقومه: (106*)

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا

ركام سحاب الهيدب المتراكب

وهو يشير بذلك إلى قول الرسول ﷺ حين استصره عمرو بن سالم الخزاعي: (107*) «نصرت يا عمرو بن سالم» ثم عرض لرسول الله ﷺ سحاب من السماء، فقال: «إن السحابة لتستهل بنصر بني كعب».

ومن هذا النوع قول أحد أبناء سعد بن معاذ الأنصاري: (108*)

وما اهتز عرش الله من موت هالك

سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

يشير بذلك إلى قوله ﷺ: (109*) «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ». ومنه قول حسان بن ثابت: (110*)

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا

بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

أقتبس ذلك من قول الرسول ﷺ: (111*) «إن الله جعل لجعفر جناحين مضرجين بالدم، يطير بهما مع الملائكة».

واللون الثالث من اقتباس الحديث هو اقتباس النص الحرفي للحديث وهذا اللون قليل وصعب، كما كان في اقتباس القرآن قليلاً وصب التحقيق، فلم أجد له مثلاً من العصر الإسلامي أو الأموي، إلا أنه شاع في العصور

التالية، كقول صالح بن عبد القدوس من العصر العباسي: (112*)

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى

إن البلاء موكل بالمنطق

أخذ ذلك من نص الحديث (113*) «البلاء موكل بالمنطق». ومنه قول الإمام الشافعي: (114*)

عضوا تعف نساؤكم في المحرم

وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

اقتبس نص الحديث: (115*) عفا تعف نساؤكم».

الأفكار:

وقد نلمس اثر الإسلام واضحا في الأفكار التي كان يتناولها الشعراء سواء في العصر الإسلامي أو الأموي، فتكررت في أشعارهم ، وتوارد عليها الشعراء في كل مكان.

ومن تلك الأفكار الإسلامية الجديدة فكرة (إن الملك والحكم لله وحده، لا راد لأمره، ولا تبديل لقضائه).

وهي فكرة ردها القرآن، وأكدها في أكثر من سورة من سوره، نحو قوله تعالى: «ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير» و«إن الحكم إلا لله» و«ولا مبدل لكلمات الله» و«ليقضي الله امرأ كان مفعولا» (116*) قال حسان بن ثابت في يوم بدر: (117*)

وتعلم إن الملك لله وحده

وان قضاء الله لا بد واقع

وقال العباس بن مرداس: (118*)

أقام به بعد الضلالة امرنا

وليس لأمر حمه الله دافع

وتناول النعمان بن بشير فكرة «الملك والحكم لله وحده»: (119*)

مالك المالك لا يشارك فيه

وله الحكم فاعلا ما يريد

وأكد جرير وهو يخاطب عبد الملك بن مروان فكرة (لا تبديل لقضاء الله). (120*)

الله طوقك الخلافة والهدى
والله ليس لما قضى تبديل
ومن الأفكار التي ترددت في شعر تلك الفترة فكرة (فناء كل شيء سوى
الخالق سبحانه وتعالى) وهي فكرة قرآنية أيضاً، قال تعالى: ﴿كل من
عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.
ردد النعمان بن بشير هذه الفكرة فقال: (122*)

كل شيء سوى المليك يبيد
ولا يبيد المسبح المحمود
كما تداولوا فكرة «حتمية الموت» وان الأجل لا يتقدم ولا يتأخر «وهي
فكرة قرآنية أيضاً، تحدثت عنها الآيات القرآنية في أكثر من سورة، من
ذلك: ﴿لكل أجل كتاب﴾ و﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ و﴿إن أجل الله إذا جاء
لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾ و﴿لكل أمة أجل، فإذا جاء أجلهم لا يتأخرون
ساعة ولا يستقدمون﴾. (123*)

لقد كان لهذه الآيات وغيرها مما عالج قضية الأجل المحتوم صدى
عميق في أفكار الشعراء وأشعارهم، فنهلوا منها، وتفننوا في طريقة
عرض فكرتها، فتعددت أساليبهم في ذلك، نحو قول محمد بن خالد بن
الوليد: (124*)

هل في الخلود إلى القيامة مطمع ؟
أم للمنون عن ابن آدم مدفع ؟
هيهات ما للنفس من متأخر
عن وقتها لو أن علماً ينفع
وترددت هذه الفكرة في قول وضاح اليمن: (125*)
سأصبر للقضاء فكل حي
سيلقى سكرة الموت المذوق
فما الدنيا بقائمة وفيها
من الأحياء ذو عين رموق
وللأحياء أيام تقضى
يلف ختامها سوقاً بسوق
وعالج الفرزدق هذه الفكرة بأسلوب آخر فقال: (126*)

ألا كل شيء في يد الله بالغ
له أجل عن يومه لا يحول
وتناول عمر بن معمر الهزلي هذه الفكرة، ونفذ إليها من خلال رثائه
مصعب وعبد الله ابني الزبير: (127*)

فإن يك هذا الدهر أودى بمصعب
واصبح عبد الله شلوا ملحبا
فكل امرئ حاس من الموت جرعة
وإن حاد عنها جهده وتهيبا
وترددت فكرة البعث والنشور والحساب والجزاء في أشعار هذه الفترة،
وقد تطرق القرآن الكريم إلى هذه الأفكار في عشرات الآيات، منها قوله
تعالى: «قل بلى وربى لتبعثن» و«بل كانوا لا يرجون نشورا» و«ثم إن علينا
حسابهم» و«ليجزى الله كل نفس ما كسبت». (128*)

فالإمام علي يؤكد أن الإنسان لم يخلق صدى، وأنه سيبعث ليحاسب
على ما قدمت يداه، وليسأل عما اكتسب فيقول: (129*)
ولو أننا إذا متنا تركنا

لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا

ونسأل بعده عن كل شيء
ويتحدث النابغة الشيباني عن النشور، فيقول: (130*)

ألا أيها الإنسان، هل أنت عامل ؟
فإنك بعد الموت لا بد ناشر
ويعلن أبو صخر الهزلي إيمانه بالبعث والحساب، فيقول: (131*)

ولو لا يقين أنما الموت عزمة
من الله حتى يبعثوا للمحاسب
لقلت له فيما ألم برمسه:

هل أنت غداً غاد معي فمصابي ؟
ويتحدث بجير بن زهير عن يوم القيامة والحساب، فيقول: (132*)

إلى الله - لا العزى ولا اللات - وحده
فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من النار إلا طاهر القلب مسلم
أما النابغة الشيباني فانه تناول فكرة الحساب والجزاء فقال: (133*)
ومن يعمل الخيرات أو يخط خاليا
يجازبها أيام تبلى السرائر
وتناول الشعراء فكرة (الهداية والضلال من الله تعالى) وقد تناول القرآن
هذه الفكرة في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ومن يضل الله فما له
من هادٍ ومن يهد الله فما له من مضل﴾.
ويتحدث جرير عن هذه الفكرة بدقة، فيقول: (135*)
من يهده الله يهتد لا مضل له
ومن أضل فما يهديه من هاد

الأسلوب

قد لا يختلف الشعر الإسلامي عن الشعر الجاهلي في أسلوبه كثيرا،
لأنه امتداد له، ولأن شعراء الإسلام هم أنفسهم شعراء الجاهلية، ولذلك
سموا ب (المخضرمين) وهو مصطلح أدبي جديد يعني من أدرك عصر
الجاهلية وعصر الإسلام، وقال الشعر فيهما.
ومع ذلك فثمة خصائص جديدة بدأت مع الإسلام، الذي فتح أمام
الشعراء آفاقا رحبة جديدة لم يرقوها من قبل، ثم تعمقت تلك الخصائص
وتأكدت في العصر الأموي، سواء من حيث بناء القصيدة وتقاليدها، أو
الصور والأخيلة، أو الألفاظ والتراكيب والمعاني.

بناء القصيدة وتقاليدها:

لقد تحرر معظم الشعراء في هذا العصر من الالتزام بكثير من تقاليد
الجاهليين في أشعارهم، كمخاطبة الاثنين، وهو التقليد الذي يحرص
الشعراء الجاهليون على إيرادهم في أشعارهم، لطبيعة حياتهم المحتاجة إلى
الأصحاب والرفاق.

كما تحرروا في الحديث عن تجربة الناقة والجمل والصحراء والرحلة،
وما يستتبعها من ألفاظ تعبر عن تلك الرحلة.

تلك التجارب التي كان يحفل بها الشعر الجاهلي، واستبدلوا بها تجارب جديدة، اقتضتها طبيعة حياتهم الجديدة.

وتحرر معظم الشعراء من المقدمات الطالية أو الغزلية التقليدية، واستبدلوا بها أحياناً مقدمات دينية جديدة، ظهرت بدايتها في العصر الإسلامي، ثم شاعت فيما بعد في العصر الأموي، وقد تكون مقدمة الشاعر الإسلامي عبد الله بن الأحمر الأزدي بداية تلك المقدمات، حيث يقول فيها^(136*):

صحوت وودعت الصبا والغوانيا

وقلت لأصحابي: أجيئوا المناديا

وقولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى

وقبل الدعا: لبيك داعيا

يقول الدكتور يوسف خليف عن هذه المقدمة^(137*): «والشيء الذي نريد أن نسجله هو أن هذه المقدمة تعد شيئاً جديداً في الشعر العربي في ذلك الوقت.

وإنها تعد-بلا شك في ذلك عندي-مقدمة لظهور المقدمات الدينية في هاشميات الكميّ».

وقد انتشرت هذه المقدمات الدينية في العصر الأموي، وتحتوي دواوين الكميّ والعجاج ورؤبة وذي الرمة على الكثير منها.

وتصدرت أشعار تلك الفترة لفظة (أبلغ) ومشتقاتها، وتكررت في مطالع كثير من قصائد الشعراء، لطبيعة الجدل والحجاج التي سيطرت على أشعارهم، ولحرص كل فريق على إيصال خطابه إلى الفريق الآخر.

فحسان بن ثابت مثلاً يصدر قصيدته في هجاء أبي سفيان بن الحارث بقوله^(138*):

أبلغ أبا سفيان أن محمداً

هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد

ويصدر قصيدته في هجاء أبي لهب بقوله^(139*):

أبلغ أبا لهب بأن محمداً

سيعلو الذي يهوى وإن كنت زاعماً

وحين يهجو الضحاك بن خليفة الأشهلي يبدأ شعره بقوله^(140*):

ألا أبلغ الضحاك أن عروقه

أعيت على الإسلام أن يتمجداً

وفي مقدمات ديوانه عشرات المواضع التي تبدأ بمثل هذا اللفظ (141*).

ونجد هذه الصيغة في مطالع قصائد كعب بن مالك أيضاً، مثل قوله (142*):

أبلغ أبياً أنه فال رأييه

وحان غداة الشعب والحين واقع

وقوله (143*):

من مبلغ الأنصار عني آية

رسلاً تقصّ عليهم التبيان

وقد شاع هذا التقليد عند كثير من الشعراء بعد حسان وكعب، كالوليد

بن عقبة الذي يقول (144*):

ألا أبلغ معاوية بن حرب

فإنك من أخي ثقة مليم

وأبى الأسود الدؤلي الذي يقول (145*):

ألا أبلغ معاوية بن حرب

فلا قرّت عيون الشامتينا

والمتوكل الليثي الذي يقول (146*):

أبلغ أبا إسحاق إن جئته

أنى بكرسيكم كافر

وثمة تركيب حرص الشعراء على تكراره في مطالع قصائدهم، وهو «يا

راكبا إما عرضت فبلغن» كقول حسان (147*):

يا راكبا إما عرضت فبلغن

على النأي مني عبد شمس وهاشما

وكان يعد من الذخائر الفنية، فقد توارد عليه كثير من الشعراء في ذلك

العصر، فأورده حسان في مطلع قصيدة أخرى (148*)، واستهل به عبد الله

بن الحارث إحدى قصائده (149*)، وكذلك عبد الله بن الزبير الأسدي (150*).

ونتيجة للصراع العقائدي بين المسلمين والمشركون، أو المنافقون، وبين

المسلمين أهل الكتاب في صدر الإسلام، ثم بين الأحزاب السياسية المختلفة

في العصر الأموي بعد ذلك، فقد برز تيار جديد في أسلوب الشعر العربي،

يعتمد المناقشات المنطقية والمناظرات الفكرية، المستمدة من أصول الدين أو فروعه، وهو أسلوب قرآني جديد، حيث وضع القرآن الأسس الأولى لهذا المنهج، عندما ناقش المشركين في عقائدهم، وكذلك أهل الكتاب أو المنافقين، ممن كان يقف ضد رسالة الإسلام.

ونصادف كثيراً من تلك المناقشات لأفكار الناس ومعتقداتهم في سورة التوبة، حتى إنها سميت (الفاضحة) لما كشفت من سرائر الناس^(151*). وفي سورة البقرة والمائدة^(152*).

لقد ناقش القرآن في آيات تلك السور المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، بإقامته الحجج الدامغة، وإلزامهم الأدلة الواضحة البينة، من خلال إيراد أفكارهم ثم نقضها بتضيق ما تستند إليه من البراهين والحجج. وهو أسلوب جديد على العرب، سواء في التفكير أو في طريقة النقاش.

وقد كان لهذا الأسلوب صداه الكبير في أشعار المسلمين، فانتفعوا به واندفعوا في سلوك طريقه. وإن كان ذلك متأخراً. فقد غاب هذا الأسلوب عن أشعار صدر الإسلام، ولم نجد صداه إلا في بعض الذرات المتناثرة في أشعارهم، كقول حسان بن ثابت لأبي سفيان بن الحارث قبل فتح مكة^(153*).

هجوت محمداً فأجبت عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفو

فشركما لخيركما الفداء

وفي هذين البيتين نفحة من أسلوب القرآن في المناقشة، وقد قيل عن البيت الثاني «أنه أنصف بيت قالته العرب».

وتأكد هذا الأسلوب في العصر الأموي، وجسده شعراء الأحزاب والفرق الإسلامية، بعد أن ساد في عصرهم علم الكلام والجدل في مسائل العقيدة داخل حلقات الدرس والمناظرة.

ونلمح طرفاً من هذا الأسلوب في المناقشات العقلية في قصيدة كعب بن جعيل، شاعر الأمويين، حين أبى معاوية أن يبايع لعلي ابن أبي طالب (رض) حيث قال^(154*):

أرى الشام تكره ملك العراق

وأهل العراق لهم كارهين

وكلُّ لصاحبه مبالغض
 يرى كل ما كان من ذاك ديننا
 وقالوا: عليّ إمام لنا
 فقلنا: رضينا ابن هند رضينا
 وقالوا: نرى أن تدينوا به
 فقلنا لهم: لا نرى أن نديننا
 وكلّ يسرّ بما عنده
 يرى غثّ ما في يديه سميننا
 وما في عليّ لمستعجب
 مقال سوى ضمه المحدثينا
 وليس براض ولا ساخط
 ولا في النهاية ولا الأمرينا
 ويسير على هذا النهج من إيراد الحجج والمناقشات الفكرية.

وكانت هاشميات الكميت مجموعة من المناظرات والمناقشات المعتمدة على الإقناع الفكري، الذي يستعين فيه الشاعر بآيات القرآن وأحكامه، عندها يريد تقرير حق الهاشميين في الخلافة، حيث يقول (155*):

بخاتمكم غصباً تجوز أمورهم
 فلم أر غصباً مثله يتعصب
 وجدنا لكم في آل حاميم آية
 تأولها منا قبيّ ومعرب
 وفي غيرها آياً وآياً تتابع
 لكم نصب فيها لذي الشكّ منصب
 بحقكم أمست قريش تقودنا
 وبالفضدّ منها والردّ يرضين نركب
 وقالوا: ورثناها أباناً وأمناً
 وما ورثتْهم ذاك أمّ ولا أبّ
 يرون لهم فضلاً على الناس واجباً
 سفاهاً وحقّ الهاشميين أوجب

ولكن مواريث ابن آمنة الذي
 به دان شرقي لكم ومغرب
 فدى لك موروثاً أبى وأبو أبي
 ونفسي، ونفسي بعد بالناس أطيّب
 وتستخلف الأموات غيرك كلهم
 ونعتب لو كنا على الحق نعتب
 يقولون: لم يورث ولولا تراثه
 لقد شركت فيه بكيّل وأرحب
 وعك ولخم والسكون وحمير
 وكندة والحيان بكر وتغلب
 ولا نشلت عضوين منها يخابر
 وكان لعبد القيس عضو مؤرب^(156*)
 وما كانت الأنصار فيها أذلة
 ولا غيبا عنها إذ الناس غيب
 هم شهدوا بدرًا وخيبر بعدها
 ويوم حنين والدماء تصيب
 فإن هي لم تصلح لحى سواهم
 فإن ذوى القربى أحق وأقرب

والشاعر في هذه الآيات يستند إلى القرآن وآياته، في سورة حاميم
 والشورى، وغيرها، في قوله تعالى^(157*): «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا
 المودة في القربى»، وقوله تعالى^(158*): «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
 أهل البيت ويطهركم تطهيراً»، وقوله تعالى^(159*): «فإن لله خمسته وللرسول
 ولذی القربى» التي تحدثت عن حق آل البيت وذوى القربى، وهو يناقش
 مسألة الوراثة ليخلص إلى تبيان تناقض الأمويين في نفهم الوراثة وقولهم
 انهم أهل ميراثه، ولو كانت الخلافة لا تورث لصارت من حق كل القبائل
 التي ذكر بعضها منها في شعره، ولأصبح الأنصار، وهم السابقون في نصرة
 الإسلام، أولى بها من غيرهم، ثم طالب بتطبيق قانون الوراثة، لرد الخلافة
 إلى ورثة الرسول الحقيقية وهم أهل بيته.

إن هذه المناقشات المنطقية، والاحتجاجات العقلية، لونها جديد لم يعرفه

أسلوب الشعر العربي من قبل.

وقد أثر هذا الأسلوب في النقاش بمن جاء بعد الكميات من الشعراء، مثل الشاعر الأموي إبراهيم بن المهاجر البجلي، وهو من أوائل الدعاة العباسيين في العصر الأموي، فسلك مسلك الكميت عندما أراد مناقشة الأمويين حول حق بنى العباس في الخلافة، حيث يقول (160*):

أيها الناس اسمعوا أخبركم
عجباً زاد على كل العجب
عجباً من عبد شمس، أنهم
فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا
دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه

يحرز الميراث إلا من قرب
وظهر هذا الاتجاه من المناقشات العقلية عند بعض الشعراء الخوارج، وانشغلوا بالمجادلات فيما بينهم حتى قال شاعرهم (161*):

ما كان أغنى رجلاً ضلّ سعيهم
عن الجدال وأغناهم عن الخطب
كنا أناساً على دين ففرقنا

طول الجدال وخلط الجد باللعب
وسبق لنا ذكر مناقشة شاعر الخوارج خصومهم، عندما انتصر أربعون منهم على ألفى رجل من خصومهم.

وازدهر هذا الاتجاه الشعري في أوساط الفرق الدينية، كالمرجئة وغيرهم، وقد ترك شعراؤهم كثيراً من تلك المحاورات والمناظرات القائمة على العقل والمنطق، مثل قصيدة شاعر فرقة المرجئة ثابت قطنه، حيث يقول (162*):

يا هند فاستمعي لي إن سيرتنا
أن نعبد الله لم نشرك به أحدا
نرجى الأمور إذا كانت مشبهة

ونصدق القول فيمن جاراو عندا
وهي طويلة، تسير على هذا النهج في عرض الأفكار ومناقشة أفكار

الآخرين.

ويروى المؤرخون^(163*): إن الخليفة عمر بن عبد العزيز طلب قادة المرجئة وناظرهم في عقائدهم ، فخرج أحدهم وهو عون بن عبد الله الهذلي بعد المناقشة متبرئاً من مذهب المرجئة. ثم انشد أبياتا طويلة ناقش فيها آراءهم ، مستندا إلى الحجج المنطقية فيما كان يذهب إليه، ومنها قوله:

وأول ما نضارق غير شك
نضارق ما يقول المرجئونا
وقالوا: مؤمن من أهل جور
وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا: مؤمن دمه حلال
وقد حرمت دماء المسلمينا
ويحمل نصر بن سيار على المرجئة، مسفها عقائدهم، مخطأ سيرتهم ،
متهما إياهم بالشرك، وتعد قصيدته في ذلك طرفا مما كان يدور من
مناقشات فكرية، حيث يقول^(164*):

فأمنح جهادك من لم يرج آخره
وكن عدواً لقوم لا يصلونا
واقتل مواليتهم منا وناصرهم
حيناً تكفرهم والعنهم حيناً
والعائبين علينا ديننا وهم
شرّ العباد إذا خابرتهم ديننا
والقائلين سبيل الله بغيتنا
لبعد ما نكبوا عما يقولونا
فاقتلهم غضبا لله منتصرا
منهم به ودع المرتاب مفتونا
إرجاؤكم لزكم والشرك في قرن
فأنتم أهل إشراك ومرجوننا
لا يبعد الله في الأحداث غيركم
إذ كان دينكم بالشرك مقرونا

ألقى به الله رعباً في نحوركم
والله يقضى لنا الحسنى ويعطينا
وتزخر قصائد الشعراء الكبار في العصر الأموي بمثل هذه المناقشات
لتقرير حق بني أمية في الخلافة.
ويسير على مناهجهم في ذلك أكثر الشعراء الآخرين الذين كانوا يدورون
في فلك الخلفاء الأمويين وعمالهم. وفي نقائض العصر الأموي طرف من
تلك المحاورات والمناقشات الفكرية أيضاً.

الصور والأخيلة:

استمد شعراء هذا العصر كثيراً من صورهم عن النور والضياء والقمر
والنجوم، لما لهذه الأشياء في حياة العرب من مكانة وأهمية، ولما حسه
الشعراء في بيئتهم من رهبة الظلام وقسوته، فالرسول نور عند حسان^(165*)؛
وأرسله في الناس نوراً ورحمةً
فمن يرض ما يأتي من الأمر يهتد
وهو الضياء والنور أيضاً^(166*)؛
كان الضياء وكان النور نتبعه
وكان بعد الإله السمع والبصرا
وهو كالهلال^(167*)؛
مثل الهلال مباركاً ذا رحمة
سمح الخليقة طيب الأعواد
وهو السراج المستير^(168*)؛
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً
يلوح كما لاح الصقيل المهند
وهو الشهاب والبدر معاً^(169*)؛
وافٍ وماض شهاب يستضاء به
بدر أنار على كل الأمجاد
والرسالة نور عنده أيضاً^(170*)؛
فلما أتانا رسول الإله
بالنور والدين بعد الظلم

والقرآن نور كذلك (171*):

ينتابنا جبريل في أبياتنا
بفرائض الإسلام والأحكام
يتلو علينا النور فيها محكما
قسماً لعمرك ليس كالأقسام
وهو نور في شعر عمرو الجهنّي أيضاً (172*):

كتاباً من الرحمن نور لجمعنا
وأحلافنا في كل باد وحاضر
والرسول شهاب يتبعه النور في شعر كعب بن مالك (173*):
فينا الرسول شهاب ثم يتبعه
نور مضيء له فضل على الشهب
ومصعب بن الزبير شهاب من الله عند ابن قيس الرقيات (174*):

إنما مصعب شهاب من الله
تجلت عن وجهه الظلماء
والمسلمون نجوم في شعر كعب بن مالك (175*):
أولئك نجوم لا يغيبك منهم
عليك بنحس في دجى الليل طالع
والقرآن كالمجرة عند النابغة الجعدي (176*):

تبعث رسول الله إذ جاء بالهدى
ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا
وكثيراً ما لجأ الشعراء، في صورهم إلى القرآن، يستمدون منه أخيلتهم
وتشبيهااتهم. فالنابغة الجعدي حينما يريد تأكيد صفات الله تعالى لا يجد
خيراً من صور القرآن الغنية، فيستعير منها، ليؤكد القدرة الإلهية في
قوله (177*):

الحمد لله لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظالما
المولج الليل في النهار وفي الـ
يل نهراً يفرج الظلما
وهو قد استعار تلك الصورة من قوله تعالى (178*): ﴿تولج الليل في

النهار، وتولج النهار في الليل» .

وعندما يقول معن بن أوس^(179*) :

فما زلت في لينى له وتعطفي

عليه كما تحنو على الولد الأم

وخفض له منى الجناح تألفاً

لتدنيه منى القرابة والرحم

فهو متأثر إلى حد بعيد بالصورة القرآنية التي وردت في قوله تعالى^(180*) :

﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ .

والكميت يصور حالته بحالة نبي الله موسى، عندما وكز الرجل فأصبح

في المدينة خائفاً يترقب^(181*) :

ألم ترني في حب آل محمد

أروح وأغدو خائفاً أترقب

وهذه الصورة وردت في قوله تعالى^(182*) : ﴿فأصبح في المدينة خائفاً

يترقب﴾ .

وعندما يقول الكميت^(183*) :

ألم يتدبر آية فتدله

على ترك ما يأتى أم القلب مقضل ؟

فهو-من غير شك-متأثر بالصورة التي رسمها القرآن في قوله تعالى^(184*) :

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ .

ويفزع الفرزدق إلى القرآن، يستمد منه صورة بيت العنكبوت في الوهن

فيقول^(185*) :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها

وقضى عليك به الكتاب المنزل

وهي الصورة التي رسمها القرآن في قوله تعالى^(186*) : ﴿مثل الذين

اتخذوا من دون الله أولياء، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وإن أوهن البيوت

لبيت العنكبوت﴾ .

ولما طلق الفرزدق زوجته النوار ثم ندم عليها، صور خروجه من نعيم

حياته معها بصورة قرآنية، هي صورة خروج آدم من الجنة، فكلاهما عصي

وخالف فعوقب، يقول^(187*) :

ندمت ندامة الكسعي لما
 غدت منى مطابقة نوار
 وكانت جنتي، فخرجت منها
 كآدم حين لجّ به الضرار
 ويقول تعالى ^(188*): ﴿وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه
 وهدي، قال اهبطا منها جميعا﴾

وعندما كان ذو الرمة يرسم حيوانات الصحراء، كان يستعير الصور
 الإسلامية الجديدة في تلك الرسوم والتشبيهات، من مثل قوله ^(189*):

فكر يمشق طعناً في جواشنها
 كأنه الأجر في الإقبال يحتسب
 ومثل هذه الصور كثيرة، نجدها ماثوثة في الدواوين الإسلامية والأموية
 وقد استمد الشعراء تلك الصور من بيئتهم الطبيعية والاجتماعية التي ألفوها،
 فطعنات الرماح كقم السقاء الذي يتدفق ماؤه ويسيل، ليبين الشاعر سعته: ^(190*)

تكر القنا فيكم كأن فروعها
 عزالى مزاد ماؤها يتهزع
 والحرب كالناقة، كلما شد على. ا. لحرب، فيقول: ^(191*)

ألسنا نشد عليها العصا
 بحتى تدروحتى تلينا
 ورأية المسلمين تخفق فوق الجيش الإسلامي كطرف السحابة الرقيقة،
 في سرعة حركتها، كما يقول العباس بن مرداس: ^(192*)

صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا
 قراع الأعادي منهم والوقائع
 أمام رسول الله يخفق فوقنا

لواء كخذروف السحابة لامع
 وقد استخدم الشعراء في تصويرهم مجموعة من الصور الشعرية
 المتحركة ونجد ذلك واضحاً في أشعار الخوارج التي تزرع بمثل تلك الصورة،
 من ذلك قول عمرو بن الحصين العنبري: ^(193*)

في فتية صبروا نفوسهم
 لمشرفية والقنا السمر

متأهبون لكل صالحة
 ناهون من لاقوا عن النكر
 إلا تجيئهم فإنهم
 رجف القلوب بحضرة الذكر
 متأهون كأن جمر غضى
 للموت بين ضلوعهم يسري
 تالقاهم، ألا كأنهم
 لخشوعهم اصدروا عن الحشر
 فهم كأن بهم جوى مرض
 أو مسهم طرف من السحر
 وهكذا تتتابع الصور في بقية القصيدة.

أثر الثقافة في الشعر:

كتب الشعر الإسلامي والأموي في ظل ثقافة إسلامية جديدة، انتشرت في أرجاء الدولة، حيث كانت تواجه الشعراء صباح مساء حيثما وجدوا، وأينما ساروا، في المساجد، وفي الأسواق وفي مجالس العلم وحلقات الفقه أو الذكر، لأن الإسلام دين ونظام حياة، فثقافته تشمل كل جوانب الحياة، ويلهج بها كل مسلم، بقدر علمه وبمستوى تفكيره. ولذلك نجد لتلك الثقافة صدى كبيرا عند الشعراء، حتى في بعض تفصيلاتها الفقهية أحيانا. ولا غرو في ذلك فكبار الشعراء في العصر الأموي كانوا يلزمون حلقات الفقه والعلم، فقد روي أن الفرزدق كان يلزم الحسن البصري، وان جريرا كان يلزم حلقة ابن سيرين. (194*)

ويظهر اثر تلك الثقافة في الشعر الأموي بصورة خاصة، وواضحة، ومما روي في ذلك أن رجلا سأل الحسن البصري يوما، وعنده الفرزدق، عن اليمين اللغو في الكلام، من مثل (لا والله) فقال الفرزدق له: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ فقال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا، فما قلت؟ فقال: قلت:

ولست بمأخوذ بلغوت قوله
 إذا لم تعمد عاقدات العزائم

ولم ينشب أن جاء شخص آخر، فسأل الحسن عن سبية الحرب المتزوجة،
أتحل لمن سبها ؟ فقال الفرزدق . قلت في ذلك ؟ وأنشد :

وذات حليل أنكحتنا رماحنا

حلال لمن يبني لم تطلق^(195*)

ويظهر أثر ثقافتهم التاريخية الدينية في أشعارهم أيضاً، ونجد شذرات
من الإشارات السريعة في ذلك، وهي تعبر عن محاولات توظيف تلك المعارف
في أشعارهم. من ذلك قول كثير عزة، متحدثاً عن محمد بن الحنفية: ^(196*)

هو المهدي خبرناه كعاب

أخو الأحبار في الحقب الأولي

وهو يريد كعب الأولى الذي اخذ عنه الصحابة وغيرهم هم كثيرا من
أخبار الأمم الغابرة، كما حدث بالكتاب والسنة كثيرا أيضاً.
وأودع الشعراء قصائدهم ما كانوا يختزنون من معارف وأخبار سمعوا
بها أو اطلعوا عليها في كتب الأقدمين.

ولنسمع الفرزدق يتحدث عن سليمان بن عبد الملك بهذه الطريقة
فيقول: ^(197*)

أنت الذي نعت الكتاب لنا

في ناطق التوراة والزبير

كم كان من قسٍ يخبرنا

بخلافة المهدي ، أو حبر

جعل الإله لنا خلافته

برء القروح وعصمة الجبر

وحتى في أشعار الغزل نجد هذا التوظيف الذي تحدثنا عنه، فقد أفاد
وضاح اليمن من فكرة الحلال والحرام، والترخيص في اللهم عندما قال: ^(198*)

إذا قلت يوماً نولينني تبسمت

وقالت معاذ الله من فعل ما حرم

فما نولت حتى تضرعت عندها

وأعلمتها ما رخص الله في اللهم

ويتنفع جرير بثقافته الإسلامية عندما يهجو الاخطل فيحدث بطريقة
تظهر ما لديه من معرفة بقواعد الحرب في الشريعة، عندما يبين انه لولا

ما يدفع قوم الأخطل من الجزية، وهم أهل كتاب، لسباهم المسلمون،
ولأصبحت أموالهم غنائم للمسلمين: (199*)

لولا الجزى قسم السواد وتغلب

في المسلمين فكنتم أنفالا

وقد مرت بنا أبيات جرير التي فخر فيها بأنبياء الله، وذكر منهم عددا
كبيرا مشيرا إلى قصة كل منهم بإيجاز شديد، ولكنه يعبر عن ثقافة قرآنية
وتاريخية واسعة، وهي الأبيات التي بدأها بقوله:

أبونا أبو اسحق يجمع بيننا

أب كان مهديا نبيا مطهرا

إن هذا البيت وما يليه من الأبيات، يقفوا على الأفاق الثقافية الرحبة
التي كان يتحرك في ظلها الشعر الإسلامي والأموي.

الألفاظ:

لقد توسع الإسلام في دلالة كثير من الألفاظ التي كانت شائعة قبل
انتشاره بين أبناء الجزيرة العربية، لتتسع لما جاء به من عبادات وعقائد لم
يعرفها المجتمع العربي من قبل.

وازدهرت تلك الألفاظ الجديدة، وانتشرت بين الناس وكان من الطبيعي
أن تحفل الأشعار بتلك الألفاظ والمصطلحات الإسلامية، التي اكتسبت
معاني جديدة غير التي كانت سائدة في كلام العرب من قبل، كالإيمان
والكفر والوحي والقرآن والنبوة والرسالة، والجنة والنار، والتقوى والجهاد
والقيامة والشهيد، والمسجد والصلاة، والزكاة والفيء والجزية، والحلال
والحرام.....الخ.

يقول ابن فارس: «كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم،
في لغاتهم وآدابهم ونسائكم وقرابينهم، فلما جاء الله-جل ثناؤه-بالإسلام
حالت أحوال، ونسخت ديانة وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من
مواضع إلى مواضع آخر، بزيادات زیدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت،
أعفى الآخر الأول» (200*)

وكان من الطبيعي أن لا تنتشر تلك الألفاظ والمفردات في الأيام الأولى
من حياة المسلمين لأنها لم تكن قد اكتملت بعد، ولم يستطع الشعراء استيعابها

مبكرا لتدخل في صلب أشعارهم .
ولو نظرنا إلى قصيدة حسان بن ثابت التي كانت أول شعر له في
الإسلام، لوجدناها خالية من أية مسحة إسلامية، أو لفظ يشعر بأنها قد
نظمت في ظلال الدين الجديد .
فعندما قال ^(201*) رجل من قريش في أسرهم سعد بن عباد حين بايعوا
النبي ﷺ يوم الاثنين عشر نقيبا :

تداركت سعداً عنوة فأخذته
وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولو نلت طلت هناك جراحه
وكانت جراحاً أن تهان وتهدرا
فقال حسان يجيبه :

لست إلى عمرو ولا المرء منذر
إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
فلولا أبو وهب لمرت قصائد
على شرف البلقاء يهوين حسراً
فأنا ومن يهدي القصائد نحونا
كمستبضع تمرا إلى أهل خيبر
فلا تك كالوسنان يحلم انه
بقريّة كسرى أو بقريّة قيصر
ولا تك كالشاة التي كان حتفها
بحضر ذراعيها فلم ترض محضرا
ولا تك كالغادي فأقبل نحره
ولم يخشه سهما من النبل مضمرا
أفخر بالكتان لما لبسته
وقد تلبس الأنباط ريطا مقصرا
إن هذه الأبيات-كما نرى-لا تختلف عن الشعر الجاهلي في ألفاظها أو
في منهجها .

وبمرور الأيام وانتشار الإسلام، وتوالي نزول القرآن ودوام تلاوته، والنظر
في آياته . بدأت تلك الألفاظ تتسلل إلى أشعارهم وتتردد على شفاههم .

ومن ذلك قول حسان بن ثابت يذكر لفظ المؤمنين: (202*)
 رأيت خيار المؤمنين تواردوا
 شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر
 وقوله في القصيدة نفسها أيضا:
 غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم
 إلى الموت ميمون النقيبة أزهـر
 ومن ذلك تناول كعب بن مالك لفظ (الكفر) في قوله: (203*)
 يذودوننا عن ديننا ونذودهم
 عن الكفر والرحمن راء وسامع
 ووردت ألفاظ عديدة ومختلفة للتعبير عن مصطلح القرآن، فهو القرآن
 في قول حسان: (204*)
 جحدوا القرآن وكذبوا بمحمد
 والله يظهر أمر كل رسول
 وهو الوحي في موضع آخر من شعره: (205*)
 أعفه ذكرت في الوحي عفتهم
 لا يطبعون ولا يرديهم الطمع
 وهو الكتاب المنزل في موضع آخر عنده: (206*)
 منعنا بها خير البرية كلها
 إماما وقرنا الكتاب المنزلا
 وهو كتاب الله في شعر النجاشي الحارثي: (207*)
 فأصبح أهل الشام قد رفعوا القنا
 عليها كتاب الله خير قران
 ويتردد مصطلح (النبي والرسول) عند كعب بن مالك فيقول: (208*)
 أرى النبي برأي صدق
 وكان الله يحكم لا يجور
 ويقول أيضا: (209*)
 وكان رسول الله قد قال اقبلوا
 فولوا وقالوا إنما أنت ساحر
 وورد هذا المصطلح في شعر النعمان بن العجلان الأنصاري حيث يقول: (210*)

نصرنا وأويننا النبي ولم نخف
 صروف الليالي والعظيم من الأمر
 وفي شعر العباس بن مرداس: (211*)
 فهناك إذ نصر النبي بألفنا
 عقد النبي لنا لواء يلمع
 وفي شعر رافع بن عمير: (212*)
 فألفيت النبي يقول قولاً
 صدوقاً ليس بالقول الكذوب
 ويخاطبه عبد الله بن رواحة بقوله: (213*)
 أنت النبي ومن يحرم شفاعته
 يوم الحساب فقد أزرى به القدر
 أما لفظة (الجنة) فنجدها في شعر حسان بقوله: (214*)
 صلى عليك الله في جنة
 عالية مكرمة الداخل
 ونجد لفظة (النار) في قول فاتك بن زيد العبسي يصف الردة: (215*)
 إنها ردة تقود إلى النار
 فلا تولعن بقال وقيل
 ويتردد مصطلح (التقوى) كثيراً عند الشعراء كقول الزبرقان بن بدر في
 حروب الردة أيضاً: (216*)
 أردت بها التقوى ومجد حديثها
 إذا عصبة سامي قبيلي فخورها
 وجاء لفظ (الجهاد) في قول ذريح بن الحارث متحدثاً عن ابنه: (217*)
 ابغي الحباب في الجهاد ولا أرى له
 شبهاً ما دام لله ساجداً
 وهذا المصطلح من أكثر المصطلحات الإسلامية تداولاً في أشعار
 الخوارج. (218*)
 أما مصطلح (القيامة) فنراه في قول حسان: (219*)
 وما فقد الماضون مثل محمد
 ولا مثله حتى القيامة يفقد

وفي قول أبي بكر الصديق يرثي النبي (ص): (220*)
ليت القيامة قامت بعد مهلكه

ولا نرى بعده مالا ولا ولدا
ونجد مصطلح (الشهيد) في قول حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبد
المطلب: (221*)

مال شهيد بين أرماحكم
شلت يدا وحشي من قاتل
ويتردد مصطلح (المسجد) في قول أبي زبيد الطائي، وهو يرثي عثمان
بن عفان: (222*)

حتى تنصلها في مسجد طهر
على إمام هدى إن معشر جاروا
ويرد مصطلح (الصلاة) في قول عبد الله بن خنيس العامري: (223*)
أضاع الصلاة بنوعا ممر
وأهلكها منع إنعامها
ويقرن عمرو بن قريط العامري مصطلح الصلاة بمصطلح الزكاة في
قوله: (224*)

ثقلت صلاة المسلمين عليكم
بني عامر والحق جدّ ثقل
واتبعتموها بالزكاة وقلتم
ألا لا تقرّوا منهما بفتيل
وفعل ذلك حميد بن ثور الهلالي، فيقول: (225*)
فلم نكذب، وخررنا سجدا
نعطي الزكاة ونقيم المسجدا
ويفخر الأسود بن قطبة بدفع الفرس فدية أسراهم إلى المسلمين وهم
مرغمون، فيذكر الفياء والجزية قائلا: (226*)

ألا ابلاغنا عني الغريب رسالة
فقد قسمت فينا فيوء الأعاجم
وردت علينا جزية القوم بالذي
فكنا به عنهم ولالة المعاجم

ويتحدث حسان عن الحلال والحرام، فيقول: (227*)
فنكون أول مستحلّ حلاله

ومحرم لله كل حرام

وقد أسهينا في إيراد هذه الأمثلة لندلل على اثر الإسلام المبكر في ألفاظ الشعر العربي، ولأن هذه الألفاظ والمصطلحات كانت لما تزل طرية جديدة، لم يتعود الناس على كثرة استعمالها، ولأن الشعراء قد ورثوا ألفاظا ومصطلحات تختلف تماما عن تلك الألفاظ والمصطلحات الجديدة.

أما في العصر الأموي فقد شاعت هذه الألفاظ والمصطلحات وأصبحت جزءا أصيلا في أسلوب العصر، بعد أن استقرت أحكام الإسلام، وتأكدت مبادئه في واقع الحياة، وفي نفوس الناس حيث ولد الكثير منهم في ظل الدولة الإسلامية.

ونظرة واحدة إلى نصوص الشعراء الأمويين الكبار تؤكد ما ذهبنا إليه من شيوع تلك الألفاظ والمصطلحات في شعر ذلك العصر من ذلك قول جرير يهجو الأخطل: (228*)

فعليك جزية معشر لم يشهدوا

لله أن محمدا لرسول

تبعوا الضلالة ناكبين عن الهدى

والتغلبى عن القرآن ضلول

يقضي الكتاب على الصليب وتغلب

ولكل من نزل آية تأويل

أن الخلافة والنبوة والهدى

رغم لتغلب في الحياة طویل

لقد استخدم الشاعر في هذه المقطوعة القصيرة تسعة ألفاظ ومصطلحات إسلامية، وهي جزية ورسول والضلالة والهدى والقرآن والكتاب وآية والخلافة والنبوة.

ولو انتقلنا بنظرنا إلى شعر الفرزدق لوجدنا هذه الظاهرة أيضا، فقصيدته التي مدح بها عبد الملك بن مروان، والتي يقول فيها: (229*)

إذا أتيت أمير المؤمنين فقل

بالنصح والعلم، قولا غير مكذوب

مجاهد لعداء الله، محتسب
جهادهم بضراب، غير تذبذب
فالأرض لله ولأهلها خليفته
وصاحب الله فيها غير مغلوب
قد استخدم في كل بيت من هذه الأبيات مصطلحا إسلاميا جديدا،
ففي البيت الأول استخدم مصطلح (أمير المؤمنين) وفي الثاني (مجاهد)
وفي الثالث (خليفته).

ولم تقتصر هذه الظاهرة على الشعراء الكبار، بل شملت كل الشعراء
الأمويين كالمسيب بن نجبة بن ربيعة الذي يقول: (230*)

لست كمن خان ابن عفاًن مثلهم
ولا مثل من يعطى العهود ويغدر
ولكن تبغي جنة أتقي بها
لعل ذنوبي عند ربي تغفر
شهدت رسول الله بالجوقائما
يبشر بالجنات والنار ينذر
وعروة بن أذينة الذي يقول: (231*)

ورثنا رسول الله ارث نبوة
ومخلاف ملك تالد غير رائم
وعلياء من بيت النبي تكنفت
مناسبها حومات انساب هاشم
وملكا خضما سلّ بالحق سيفه
على الناس حتى حاز نقش الدراهم
وقام بدين الله يتلو كتابه
على الناس منا مرسل جدّ قائم
ومثل هذين النموذجين كثير عند بقية الشعراء (232*)

أما اللون الثاني من الألفاظ فهو المصطلحات الحضارية التي
استدعتها الحياة الإسلامية الجديدة كالإمام والخليفة وأمير المؤمنين
والجند والجبابة. أو المصطلحات الشرعية كالفقه والقضاء والشرعية
وغيرها.

من ذلك قول حنظلة الكاتب، مستخدماً مصطلح (الخلافة) في فتنة عثمان: (233*)

عجبت لما يخوض الناس فيه
يرومون الخلافة أن تزولا
ومنه قول النعمان بن عدي في عصر عمر بن الخطاب، مستخدماً
مصطلح (أمير المؤمنين) (234*)

لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمننا في الجوسق المتهدم
وقول أبي الأسود الدؤلي يرثى علي بن أبي طالب: (235*)

ألا يا عين ويحك أسعدينا
ألا تبكي أمير المؤمنيننا
واستخدم كعب بن مالك مصطلح (الإمام) في رثاء عثمان فقال: (236*)

يا قاتل الله قوما كان أمرهم
قتل الإمام الزكي الطاهر الردن
وفعل ذلك حسان في رثاء عثمان أيضاً فقال: (237*)

يا قاتل الله قوما كان شأنهم
قتل الإمام الأمين المسلم الضطن
وشاعت هذه المصطلحات وأمثالها في العصر الأموي بصورة أكثر بما
شاعت في العصر الإسلامي، كقول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: (238*)

فأما قولك الخلفاء منا
فهم منعوا ويريدك من وداجي
وقول جرير: (239*)

إن الذي حرم المكارم تغلبا
جعل النبوة والخلافة فينا
وقوله، وفيه مصطلح (الأمير): (240*)

بكر الأمير لغربة وتنائي
فلقد نسيت برامتين عزائي
إن الأمير بذي طلوح لم يبل

صداع الفؤاد وزفرة الصعداء

وتتردد هذه المصطلحات كثيرا لدى معظم الشعراء الأمويين. (241*)
 أما مصطلحات القضاء وافقه، فمنها ما ورد في شعر امرأة مسلمة
 شكت زوجها إلى القاضي كعب بن سور في عصر عمر فقالت: (242*)
 يا أيها القاضي الفقيه أرشده

الهي خليلي عن فراشي مسجده
 وما ورد في شعر عبد الله بن شرمه، حيث استعمل، مصطلح الاجتهاد
 والنظائر والقياس في قوله: (243*)

اقضي بما في كتاب الله مجتهدا
 وبالنظائر اقضي والمقاييس
 إذا قضيت بمرا الحق مجتهدا

فلست اجهل أقوال الضغابيس
 ومقابل هذه الألفاظ والمصطلحات الجديدة ثمة ألفاظ ومصطلحات لم
 يعد لها وجود في ظل الحياة الإسلامية الجديدة، وزالت بزوال معانيها
 كالمر باع والنشيطه والفضول، والصفايا والإتاوة والمكس والحلوان
 وضرورة. (244*)

إن هذه الألفاظ التي لم يعد لمعانيها وجود بعد الإسلام قد سقطت من
 معجم ألفاظ الشعراء، ومثلها كثير من التراكيب كقولهم (أبيت اللعن) و
 (أنعم صباحا) و (أنعم ظللانا) (245*)

وحاول معظم شعراء العصر الإسلامي والأموي تحرير أشعارهم مما
 كان يتقل الشعر الجاهلي من التعقيد والخشونة والصعوبة، ومالوا نحو
 السهولة والسلاسة والوضوح وقد ترسموا في ذلك منهج القرآن الذي
 تميزت ألفاظه بالبرقة والسهولة والوضوح، مع الفصاحة والبلاغة.

يقول الجرجاني عن هذا التطور اللغوي الذي طرأ على لغة الشعر بعد
 الإسلام: (246*) «فلما ضرب الإسلام بجريانه، واتسعت ممالك العرب، وكثرت
 الحواضر، ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدب والتخرف، اختار الناس
 من الكلام ألينه وأسهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة فاختاروا
 أحسنها سمعا، وأطفها من القلوب موقعا، وإلى ما للعرب فيه من لغات،
 فاقتصروا على أسلسلها وأشرفها».

ومثل لذلك بلفظة (طويل) التي اختاروها من بين نحو ستين لفظة،

أكثرها بشع شنع، فنبذوا جميع ذلك وتركوه واكتفوا بالطويل، لخفته على اللسان، وقلة نبو السمع عنه.

المعاني:

لقد اخترع الإسلام معاني جديدة تناسب ما طرأ على الحياة العربية من تطور وتغيير في حياة الأفراد وفي حياة الجماعة، واختار لتلك المعاني ألفاظاً للتعبير عنها، سواء في ديوان العقيدة والعبادة أو في جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والإدارية والاقتصادية.

وتفيض الأشعار بتلك المعاني الجديدة، ويصدر الشعراء عنها في كثير من آثارهم الشعرية. وتلقانا تلك المعاني في صور مختلفة لدى الشعراء. فبعض المعاني المتداولة بين الناس لم تعد لها تلك المعاني المعروفة بينهم، بل أصبحت تعني أشياء جديدة، أخذها الشعراء عن الإسلام.

فالحزم ليس هو المعنى المعروف بين الناس، بل أصبح معناه تقوى الله، تلك التقوى التي يفترق إليها الفاجر، فهو غير حازم، كما يقول الفضل بن العباس: (247*)

والحزم تقوى الله فاتقه

ترشد، وليس لفاجر حزم

ولم يعد السعيد هو الغني، ولا السعادة هي المال بل السعيد هو التقى، وتقوى الله خير ما يملكه الإنسان ويدخره يقول الحطيئة: (248*)

ولست أرى السعادة جمع مال

ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرا

وعند الله لأتقى مزيد

وما لا بد أن يأتي قريب

ولكن الذي يمضي بعيد

والسعيد من ينجو من النار كما يقول مروه بن نوفل: (249*)

لقد علمت وخير العلم انفعه

أن السعيد الذي ينجو من النار

والشقي ليس هو من لا يملك المال ولا السعيد من يملكه، يقول صخر بن

حبناء: (250*)

ما شقوة المرء بالإقتاريقته
ولا سعادته يوماً بإكثار
والشقي أيضاً من كانت النار منزله، والفائز من ينجو من النار. قال
جرير: (251*)

إن الشقي الذي في النار منزله
والفوز فوز الذي ينجو من النار
والحظ ليس هو النجاح في الدنيا، أو اصطلياد المكانة السامية فيها بل
هو المنزلة التي يحصل عليها الإنسان في الآخرة، كما عبر عن ذلك عمرو
القنا العبدي: (252*)

لا خير في الدنيا لمن لم يكن له
من الله في دار القرار نصيب
وكسب المال لون من الربح في هذه الدنيا، ولكن الأربح منه التقوى وعن
هذا المعنى عبر تميم بن مقبل: (253*)

تقول: تريح يعمر المال أهله
كبيشة، والتقوى إلى الله أربح
والإنسان إذا خلا ونفسه لا يعني ذلك أنه خال حقيقة، لأن الله رقيب
عليه يكون معه ويشاركه وحدته، وقد أشار إلى هذا المعنى الجديد الحسن
بن عمرو الباضي فقال: (254*)

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت، ولكن قل: عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب

إن هذه التفسيرات وتلك المعاني الجديدة التي طرأت على الألفاظ
والمصطلحات التي كانت شائعة قبل الإسلام هي حصيلة التغييرات التي
أحدثها الإسلام في نظرة الإنسان إلى الكون وإلى الحياة وإلى الأشياء من
حواله.

وثمة معان جديدة، لم تعرف من قبل غيرت الأشعار في هذا العصر،
كالتوكل على الله والإنابة إليه، والتوجه نحوه في السراء والضراء، حيث

يجد المؤمنون في ذلك الراحة النفسية والطمأنينة القلبية اللتين يفتقدتهما غير المؤمنين بالله .

والى هذا المعنى الجديد أشار أبو الأسود الدؤلي في قوله: (*255)

إذا كنت معنيا بأمر تريده
فما للمضاء والتوكل من مثل
توكل وحمل أمرك الله إنما
تراد به آتيك فاقنع بذى الفضل
ولا تحسبن السير أقرب للردى

من الخفض في دار المقامة والشم
ويظهر هذا المعنى بوضوح في قول كعب بن عميرة الخارجي، وكان قد
اشترى فرسا وسلاحا ليحارب بهما إلا أنه لم يكن يستغني بهما عن التوكل
على الله، والاستعانة به حيث يقول: (*256)

هذا عتادي في الحروب وأنني
لأمل أن ألقى المنية صابرا
وبالله حولي واحتياي وقوتي
إذا لقحت حرب تشيب أحوادرا
وقال عبد الله بن حذاف: (*257)

توكلنا على الرحمن إنا
وجدنا النصر للمتوكلينا
ويشيع معنى التوبة في الشعر الأموي أيضا، حيث يتناوله الفرزدق في
شعره مع جملة من المعاني الإسلامية الجديدة فيقول: (*258)

ألا كل شيء في يد الله بالغ
له أجل عن يومه لا يحول
وان الذي يغتر بالنصح ضائع
ولكن سينجي الله من يتوكل
ويقرن أبو كلدة بن عبيد الإشكري التوبة بالتقوى والعلم،
فيقول: (*259)

سأركض في التقوى وفي العلم بعدما
ركضت إلى أمر الغوى المشهر

وبالله حولي واحتياالي وقوتي

ومن عنده عرفي الكثير ومنكري

كما تحدث الشعراء عن معنى التوحيد، ويتجلى هذا المعنى في غمرة صراهم مع المشركين الذين لم يكونوا يؤمنون بعقيدة التوحيد وهو معنى لم يعالجه الشعراء من قبل، مع وجود بعض الموحدين من الأحناف قبل الإسلام، إلا إن ذلك لم يكن عقيدة شائعة يرددها الشعراء، في حين أنها أصبحت العقيدة الرئيسية التي يقوم عليها الدين الإسلامي الجديد، يقول حسان: (260*)

ونعلم أن الله لا رباً غيره

وأن كتاب الله أصبح هادياً

ويقول كعب بن مالك مؤكداً هذا المعنى أيضاً: (261*)

فلما لقيناهم وكل مجاهد

لأصحابه مستبسل النفس صابر

كما ظهر معنى التوحيد في حروب الردة أيضاً، عندما اهتزت صورته لدى بعض المرتدين فقال جندب بن سلمى المدلجي (262*)

شهدت بأن الله لا شيء غيره

بني مدلج فالله ربي جارها

وعندما تردت أسد، وتتبع طليحة، يهب الشاعر حبش الأسدي فيواجه طليحة بالتكذيب وينشده أبياتاً في التوحيد والثبات على الإسلام، منها قوله: (263*)

شهدت بأن الله لا رب غيره

طليح وإن الدين دين محمد

وشدا المجاهدون بهذا المعنى في فتحاتهم أيضاً، كما مر بنا في باب «شعر الفتوحات الإسلامية». وحلت رابطة الدين الجديدة مكان رابطة النسب والقبيلة التي كانت تربط بين العرب قبل الإسلام، وهذه الرابطة معنى جديد، وصورة لم يألفها العرب من قبل.

وقد كان الشعراء يرددون هذا المعنى ويفخرون به على من سواهم، ونجده شائعاً في النصوص الشعرية المبكرة، حيث تناول أبو أحمد بن جحش هذا المعنى في شعره بعد هجرته وقومه إلى المدينة، وقبل اشتداد الصراع

الشعري بين المشركين في مكة، والمسلمين في المدينة حيث قال: (264*)

وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى
أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين: أما منهما فموفق
على الحق مهدي وفوج معذب
طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم
عن الحق إبليس فخابوا وخيبوا
ورعنا إلى قول النبي محمد
فطاب ولالة الحق منا وطيبوا
نمت بأرحام إليهم قريبة
ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب
إن ما ورد في البيت الأخير يعد من الإشارات الأولى لهذا المعنى الجديد،
الذي تعمق أكثر ووضح بصورة أجلى في الأشعار التي نظمت فيما بعد.
فمرداس بن أدية يجسد هذا المعنى في قوله: (265*)

من كان من أهل هذا الدين كان له
ودي وشاركته في تالد المال
الله يعلم أني لا أحبهم
إلا لوجهك دون العم والخال
وحين ينادي المنادي، قوم النعمان بن بشير، بالأوس والخزرج، ينتفض
النعمان مستكرا هذه النسبة، ولا يجد لها تشريفا بعد أن أنعم الله عليهم
بنسب الأنصار، ويقول مخاطبا من نودي من قومه: (266*)

يا سعد لا تجب النداء، فما لنا
نسب نجيب له سوى الأنصار
نسب تخيره الإله لقومنا
أثقل به نسبا على الكفار
ويتعمق هذا المعنى عند شاعر الخوارج الذي يرفض كل نسب غي نسب
الإسلام، فيقول عيسى بن عاتق الخطي: (267*)

أبى الإسلام لا أب لي سواه
إذا فخرؤا ببيكر أو تميم

كلا الحين ينصر مدعيه
 ليأحقه بذى الحسب الصميم
 وما حسب ولو كرممت عروق
 ولكن التقى هو الكريم
 وقد استطاع بعض الشعراء أن يتمثلوا معاني الإسلام، ويتشربا مفاهيمه
 الجديدة ويصيروها سلوكا عمليا وينجحوا في تجسيد تلك المعاني في
 آثارهم الشعرية، ويقرروا أبعادها في أقوالهم الخالدة.
 وقد أوردنا في شأيا الفصول السابقة نماذج رائعة لتلك المعاني والمفاهيم،
 التي يطرحها أولئك الشعراء الخالدون، من، مثل قصيدة حبيب بن عدي
 التي أنشدها قبل مفارقتها الحياة صريعا بأيدي المشركين.
 وأبيات شاعر الفتح الحاث بن ذبيح، التي أرسلها إلى أبيه الشيخ الذي
 جزعه فراق ابنه، وابتعاده عنه، البيات أمير بن الحمام، التي أنشدها في
 طريقه لنيل شرف الشهادة في بدر. (268*)
 وقول فروة بن عمرو الجذامي الذي كان عامل الروم على معان، فاسلم
 فطلبه الرومان، وحبسوه، ثم قتلوه فلما قدموه للقتل، قال: (269*)
 بلغ سراة المسلمين بأنني
 سلم لربي، أعظمي ومقامي
 وهذا المعنى يدل على عمق إيمان ذلك الشاعر الشهيد، وعلى تمثله
 لمعاني الإسلام الحقيقية في الثبات على المبدأ والتضحية من أجله بكل غال
 ونفيس.
 وحتى من عرف برقّة الدين من الشعراء كسحيم عبد بني الحسحاس
 الذي قضى عمره في الغزل الماجن، فانه لا يكاد يخلو شعره من تلك المعاني
 الإسلامية، التي كانت تفيض من حول الشاعر في مجتمعه الإسلامي.
 من ذلك قوله في قصيدة:
 عميرة وذع أن تجهزت غازيا
 كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا
 ويقال: انه حين أنشد هذا البيت قال له عمر بن الخطاب:
 لو قلت شعرك مثل هذا لأعطيتك عليه (270*)
 ومثل الحطيئة المعروف برقّة دينه، حيث يقول: (271*)

خير ذر مع اليقين لعبد

عمل صالح وقول سديد

إن هذا المعنى الإسلامي الجديد ما كان ليصدر عن الخطيئة لولا شيوع مثله من المعاني الإسلامية في ذلك المجتمع الذي عاش في كنفه الحطيئة. والأعراب معروفون بجفاء الطبع، ومع ذلك فقد هذب الإسلام كثيرا من طباعهم ورقق الوفير من أخلاقهم، وتجسد ذلك في معاني أشعارهم، التي حفظ روايتها التاريخ فتجاوزت الزمن والمسافات، وظلت حية يرددها الأحفاد، ومن ذلك صورة ومعاني الأعرابي الذي كان يحمل أمه في الطواف وهو ينشد:

إني لها مطيئة لا أذعر

إذا الركاب نضرت لا انفـر

ما حملت وأرضعتني أكثر

الله ربي ذو الجلال اكبر

ثم التفت إلى عبد الله بن عباس، فقال له: أتراني قضيت حقها ؟ فقال ابن عباس: لا والله، ولا طلفة من طلاقاتها. (272*)

وأخيرا فثمة شواهد من الأشعار التي قارن فيها الشعراء بين المعاني الجاهلية القديمة والمعاني الإسلامية الجديدة، كقول مازن بن العضوية. (273*)

وكنـت امراً بالـهـو والخـمر مـولـعا

شبابي إلى أن آذن الجسم بالـنـهـج

فبدلني بالـخـمر خـوفا وخـشـية

وبالـعـهـر إـحـصـانا فـحـصـن لي فـرجـي

فأصـبـحـت هـمـي في الجـهـاد ونـيـتي

فـلـله ما صـومـي ولـله ما حـجـي

ومرت بنا أبيات الشاعر المخضرم عدي الطائي التي يقارن فيها بين معاني الجاهليين، ومعاني الإسلام، عندما تحدثنا عن الشعراء الذين قيل إنهم هجروا الشعر بعد الإسلام. (274*)

ويعبر الشاعر الأموي زيد بن الحكيم عن هذه المقارنة في قوله: (275*)

شريت الصبا والجهل بالحلم والتقى

وراجعت عقلي، والحليم يراجع

الخصائص الفنية

حيث وضع في معرض فخره البون الشاسع بين ما كان عليه الجاهليون،
وما أصبحوا فيه بعد الإسلام.

الحواشي

- (1*) الأملالي 1 / 149 .
- (2*) النجم آية 43 , 44 .
- (3*) شعر المتوكل 239 .
- (4*) الحج آية 27 .
- (5*) الزهرة 33 .
- (6*) الفجر آية 2 , 3 .
- (7*) الطبري 3 / 217 .
- (8*) المرسلات آية 1 .
- (9*) ديوان جرير 1 / 447 .
- (10*) شعراء أمويون 2 / 419 .
- (11*) ديوان مجنون ليلي 157 .
- (12*) ديوان الأخطل 310 و 301 .
- (13*) فتوح الشام 2 / 144 .
- (14*) وقعة صفين 576 .
- (15*) نسب قريش 362 .
- (16*) ديوان حميد 114 .
- (17*) الإصابة 2 / 523 .
- (18*) شعر النعمان 92 .
- (19*) الكامل في اللغة 4 / 87 .
- (20*) فتوح الشام 148 / 2 .
- (21*) الكامل 3 / 411 .
- (22*) شعر النمر بن تولب 46 .
- (23*) حاج: جمع حاجة، علاج. اعتراض. الكوم. وأحدها كوما، وهي الناقة العالية السنم.
- والجلاد: الصلاب الكبار.
- (24*) الشعر والشعراء 1 / 356 .
- (25*) شعراء أمويون 173 .
- (26*) سورة سبأ الآية 15 و 16 .
- (27*) شعر النايغة 134 .
- (28*) القصص 79 و 76 .
- (29*) شعراء أمويون 2 / 524 .
- (30*) بن هشام 1 / 331 .
- (31*) سورة صه آية 97 .

- (32*) شعر النابغة الجعدي 83
- (33*) البقرة آية 132
- (34*) ديوان حسان 284.
- (35*) ديوان حسان 197 والسقب: ولد الناقبة.
- (36*) الشعر آية 2 و 3 ا
- (37*) القمر آية 29
- (38*) هود آية 65
- (39*) شعر النعمان 89
- (40*) القلم آية 48- 50
- (41*) ديوان الفرزدق 2 / 139
- (42*) ديوان جرير 1 / 349
- (43*) يوسف آية 92
- (44*) شرح ديوان الأخطل 97
- (45*) طه آية 20
- (46*) شرح ديوان الأخطل 159
- (47*) شعر النعمان 87
- (48*) ديوان الفرزدق 2 / 213
- (49*) القصص آية 40 وانظر سورة طه الآيات 77- 79.
- (50*) البقرة آية 36 وانظر سورة طه الآيات 117- 123.
- (51*) الديوان 21
- (52*) الديوان 167
- (53*) ابن هشام 2 / 424. صرم: بيوت مجتمعة. ومتهمين: ساكنين في التهام أي المنخفض من الأرض. والمنجد: المرتفع.
- (54*) فتوح الشام 2 / 10
- (55*) ديوان جرير 2 / 813
- (56*) الهاشميات 24 والروضة المختارة 69
- (57*) ديوان الفرزدق 2 / 332. وابن دخان: لقب باهلة
- (58*) الطبري 6 / 611
- (59*) شعراء أمويون 43 / 1
- (60*) منهج الفن الإسلامي 209
- (61*) ديوان حسان 388
- (62*) سورة الأنفال. آية 48.
- (63*) وقعة صفين 362
- (64*) سورة الدهر. آية 18 , 19.
- (65*) شعر النعمان بن بشير 89
- (66*) سورة الزمر. آية 23
- (67*) سورة الغاشية. آية 6 وسورة يونس. آية 4

- (68*) سورة الحج. آية 2.
- (69*) شعر النعمان 98
- (70*) سورة القصص. آية 71 وسورة الملك. 21.
- (71*) سورة الفرقان. آية 53. وسورة إبراهيم. آية 34.
- (72*) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات 95
- (73*) سورة الحج. آية 25
- (74*) ديوان حسان 377
- (75*) سورة الرعد. آية 16
- (76*) ديوان حسان 209
- (77*) سورة الأحزاب. آية 56
- (78*) الأذكياء 27.
- (79*) سورة السجدة. آية 16
- (80*) شعر النعمان 95.
- (81*) سورة الأعراف. آية 172 - 173.
- (82*) ديوان جرير 2/743
- (82*) سورة إبراهيم. آية 22.
- (84*) ديوان الفرزدق 1/ 5 2
- (85*) سورة الأنبياء. آية 7 1
- (86*) ديوان كعب 246
- (87*) سورة الأنفال. آية 60
- (88*) ديوان ذو الرمة 297
- (89*) سورة يا سين. آية 82
- (90*) ديوان جرير 2/ 737
- (91*) سورة التوبة. آية 60
- (92*) الإصابة 1/ 335
- (93*) سورة الزلزلة. آية 1.
- (94*) ابن هشام 2/ 8
- (95*) سورة الأنفال. آية 48
- (96*) اللؤلؤ والمرجان 104
- (97*) المقاصد الحسنة 29
- (98*) الردة ورقة 28
- (99*) الإصابة س/ 243
- (100*) شعر النمر بن تولب 129
- (101*) الجامع الصغير 9/ 2
- (102*) بهجة المجالس 1/ 62
- (103*) م. ن وانظر ابن هشام 1/ 461
- (104*) آمالي القالي 2/ 24

- (105*) صحيح الجامع الصغير 1 / 111 وسنن الترمذي 1997
 (106*) ابن هشام 2 / 428
 (107*) م. ن
 (108*) الاستيعاب 2 / 29 .
 (109*) اللؤلؤ والمرجان 666
 (110*) ديوان حسان 223
 (111*) صحيح الجامع الصغير 2 / 120
 (112*) حماسة البحري 198
 (113*) الجامع الصغير 1 / 128
 (114*) ديوان الشافعي 76 - 235
 (115*) الجامع الصغير 2 / 60
 (116*) آل عمران. آية 189 والأنعام. آية 57 , 34
 (117*) ديوان حسان 242
 (118*) ابن هشام 2 / 296
 (119*) شعر النعمان بن بشير 85
 (120*) ديوان جرير 1 / 94
 (121*) سورة الرحمن. آية 26 , 27
 (122*) شعر النعمان 85
 (123*) سورة الرعد. آية 38 ونوح. آية 4 والأعراف 34
 (124*) معجم الشعراء 345
 (125*) الأغاني 6 / 229
 (126*) ديوان الفرزدق 2 / 79
 (127*) تهذيب ابن عساكر 7 / 422
 (128*) سورة التغابن. آية 7 وسورة الفرقان. آية 4. والغاشية. آية 26. وإبراهيم. آية 51
 (129*) ديوان علي 64
 (130*) ديوان النابغة 16
 (131*) شرح أشعار الهزليين 919
 (132*) ابن هشام 2 / 502
 (133*) ديوان النابغة الشيباني 16
 (134*) سورة الزمر. آية 26 , 37
 (135*) ديوان جرير 2 / 743
 (136*) مروج الذهب 3 / 93
 (137*) حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة 382
 (138*) ديوان حسان 118
 (139*) م. ن 154
 (140*) م. ن 302
 (141*) انظر ديوان حسان 104 , 155 , 195 , 217 , 268 , 269

- (142*) ديوان كعب بن مالك 217
(143*) نفسه .
(144*) شعراء أمويون 3 / 55
(145*) ديوان أبي الأسود الدؤلي 175 (الدجيلي)
(146*) الطبري 6 / 84
(147*) ديوان حسان 104
(148*) ديوان حسان 111
(149*) ابن هشام 1 / 330
(150*) الأغاني 13 / 38
(151*) انظر اللؤلؤ والمرجان 3 / 843
(152*) سورة البقرة الآيات 8 - 20 - 75 - 102 والمائدة الآيات 51 - 66
(153*) ديوان حسان 76
(154*) الأخبار الطوال 162
(155*) الهاشميات ص 37
(156*) كل هذه الأسماء بطون وأحياء عربية. ومأرب. تام.
(157*) سورة الشورى. آية 23
(158*) سورة الأحزاب. آية 33.
(159*) سورة الأنفال. آية 41
(160*) مروج الذهب 3 / 33.
(161*) البيان والتبيين 1 / 42
(162*) الأغاني 13 / 95 (دار الفكر بيروت)
(163*) البيان والتبيين 1 / 328
(164*) الطبري 7 / 100
(165*) ديوان حسان بن ثابت 205 وانظر 208 و 209 .
(166*) م. ن 210 .
(167*) م. ن 338
(168*) م. ن 339 .
(169*) م. ن 242 .
(170*) م. ن 139 .
(171*) م. ن 143
(172*) الإصاية في تمييز الصحابة 2 / 352
(173*) ديوان كعب بن مالك 174
(174*) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات 91 .
(175*) ديوان كعب بن مالك 219
(176*) الاستيعاب في معرفة الأصحاب 3 / 553
(177*) شعر النابغة 132
(178*) آل عمران. آية 27 .

- (179*) ديوان معن بن أوس المزني 45 .
- (180*) الإسراء . آية 24 .
- (181*) القصص . آية 18
- (182*) الهاشميات 24
- (183*) سورة محمد . آية 24
- (184*) ديوان الفرزدق 2/155
- (185*) العنكبوت آية 41
- (186*) ديوان الفرزدق 1/ 294 الكسعى: شخص يضرب به المثل في الندامة . والضرار: العصيان والمخالفة
- (187*) طه . آية 121 - 123
- (188*) ديوان ذي الرمة 6 .
- (189*) ديوان كعب بن مالك 266 .
- (190*) م . ن . 36
- (191*) ابن هشام 2/ 463
- (192*) شعر الخوارج 84 .
- (193*) العقد الفريد 3/ 169 .
- (194*) الأغاني (ساسى) 19 / 14
- (195*) ديوان أيضا 1/ 275
- (196*) ديوان الفرزدق 1/ 264
- (197*) الأغاني 6/ 328
- (198*) ديوان جرير 1/ 65 الجزي: جمع جزية . والأنفال: الغنائم
- (199*) الصاحبى فى فقه اللغة 78 .
- (200*) ديوان حسان بن ثابت 308
- (201*) ديوان حسان 223
- (202*) ديوان كعب بن مالك 203
- (203*) ديوان حسان 284
- (204*) م . ن 238
- (205*) م . ن 276
- (206*) مروج الذهب 2/ 275
- (207*) ديوان كعب بن مالك 203
- (208*) ديوان كعب بن مالك 201
- (209*) الاستيعاب 3/ 521
- (210*) ابن هشام 2/ 462
- (211*) أسد الغابة 2/ 156
- (212*) م . ن 3/157
- (213*) ديوان حسان 221
- (214*) الإصابة 3/ 205

- (215*) تاريخ الطبري 3 / 305
 (216*) الإصابة 3 / 24
 (217*) انظر مثلاً «شعر الخوارج» 33 ، 35 ، 39 .
 (218*) ديوان حسان 279
 (219*) طبقات ابن سعد 2 / 320
 (220*) ديوان حسان 220
 (221*) شعر أبي زيد الطائي 64
 (222*) الإصابة 3 / 89
 (223*) م. ن 3 / 112
 (224*) ديوان حميد بن ثور 78
 (225*) الإصابة 1 / 108
 (226*) ديوان حسان 143
 (227*) ديوان جرير 1 / 95
 (228*) ديوان الفرزدق 1 / 24
 (229*) معجم الشعراء 301
 (230*) عروة بن أذينة 75
 (231*) انظر مثلاً شعر عبد الرحمن بن حسان 14 و 18 و 20 و 41، وشعر عبد الله بن الحر «شعراء أمويون» 1 / 95 و 115، وشعر العديل بن الفرخ (شعراء أمويون) 1 / 304 و 318
 (232*) تاريخ الطبري 4 / 286
 (233*) مناقب عمر 115
 (234*) ديوان أبي الأسود الدؤلي 32
 (235*) ديوان كعب 282
 (236*) ديوان حسان 213
 (237*) شعر عبد الرحمن بن حسان 18
 (238*) ديوان جرير 1 / 387
 (239*) م. ن 2 / 739
 (240*) انظر ديوان جرير 1 / 317 و 335 و ديوان الراعي التميمي 54 فتوح البلدان 473
 (241*) الاستيعاب 2 / 256
 (242*) أخبار القضاة 3 / 97 والضغابيس وأحدها ضغبوس، وهو الضعيف.
 (243*) المرباع: ربع الغنيمة كاد الرئيس يأخذها في الجاهلية.
 النشيط: ما أصابه الجيش في طريقه قبل الغارة
 الفضول: ما فضل فلم ينقسم
 الصفايا: ما كان يصطفيه الرئيس لنفسه من خيار الغنيمة
 الإتاوة: الخراج
 المكس: الجباية أو ما يأخذه العشار
 الحلوان: ما تهيه لإنسان على شيء يفعله غير الأجرة، أو ما يأخذ الرجل من مهر ابنته. ضرورة:
 الذي يدع النساء تبتلا

- (244*) انظر الصاحبى فى فقه اللغة 90
 (245*) الوساطة بين المتبى و خصومه 18
 (246*) حماسة البحتري 161
 (247*) ديوان الخطيئة 393
 (248*) شعرا لخارج 5
 (249*) الكامل فى الأدب 1/105
 (250*) ديوان جرير 2/ 1029
 (251*) شعر الخارج 38
 (252*) حماسة البحتري 250
 (253*) شعر الخارج 91
 (254*) ديوان أبى الأسود الدؤلى 119 والثلث والمكث والخفض
 (255*) شعر الخارج 5. والحوادر: جمع حادر، وهو الغلام الممتلئ شبابا.
 (256*) البداية والنهاية 6/ 327
 (257*) ديوان الفرز دق 2/ 79. يغتر بالله: أى يغتر بحلم الله
 (258*) الأغاني 10/119
 (259*) ديوان حسان 141
 (260*) ديوان كعب بن مالك 200
 (261*) الطبرى 3/ 319
 (262*) الإصابة 1/ 373
 (263*) ابن هشام 1/ 473
 (264*) شعر الخارج 10
 (265*) شعر النعمان بن بشير 147
 (266*) شعر الخارج 13
 (267*) الإصابة 3/ 13
 (268*) ابن هشام 2/ 592
 (269*) الديوان 16 وانظر الأغاني (ساس) 20/ 2
 (270*) ديوان الخطيئة 393
 (271*) المحاسن والمساوى 551
 (272*) الاستيعاب 3/ 447
 (273*) المرزبانى 85
 (274*) تاريخ الإسلام 4/ 69

الخاتمة

وبعد: فهذا عرض سريع حاولت فيه أن أتبع
المواقف المبدئية للإسلام تجاه الشعر والشعراء،
في فترة زمنية محددة بصدر الإسلام والعصر
الأموي، حيث نشأ الشعراء الرواد وتكاملت
شاعريتهم، واستطاعوا أن يتمثلوا الإسلام عقيدة
وفكرا وسلوكا.

وحاولت تلمس اثر الإسلام في اشعار تلك الفترة
في موضوعاته وأسلوبه، ومفرداته ومعانيه،
فانتظمت هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة أبواب:
كان التمهيد للحديث عن مكانة الشعر قبل
الإسلام، ولبيان اثر الشعر في الحياة العربية،
وعدم استطاعة العربي الاستغناء عنه.

أما الباب الأول: فتحدثت فيه عن دعوى ضعف
الشعر الإسلامي، وعرضت آراء مؤرخي الأدب
العربي، القدامى والمحدثين في هذه الدعوى،
وخلصت إلى تنفيذ تلك المقولة وإلى القول بخطئها.
وتناولت الصراع الشعري بين مكة والمدينة في
عصر الرسالة، وكيف اتخذ الفريقان المتصارعان
الشعر سلاحا ماضيا شهروه إلى جانب أسلحة
الحرب الأخرى. وقد اسهم فيه إلى جانب المشركين
شعراء اليهود والقبائل العربية، ولم تتخلف المرأة
من كلا الجانبين عن المساهمة في تلك المعارك
الكلامية.

وطبيعي أن أتحدث في هذا الباب عن القرآن
والشعر، حيث ورد لفظ الشعر والشعراء في خمسة

مواضع، كلها جاءت للتفريق بين أسلوب الوحي وأسلوب الشعر، وحكاية ما حاول المشركون أن يلصقوه برسول الله من اتهامات باطلة. وفي موضع واحد فقط جاءت اللفظة لمعالجة موقف الإسلام من الشعر، من حيث هو فن يمكن أن يستخدم في مواطن الخير أو الشر، فصنف الشعراء إلى فريقيين، وهو لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر، بل هاجم منهجا وأسلوبا سلكه بعض الشعراء.

أما موقف الرسول ﷺ من الشعر فكان امتدادا لموقف القرآن ومجسدا لأحكامه، وقد حاولت عرض كل ما وصل إلينا من أحاديث الرسول في الشعر والشعراء. وقضية تعذر إنشاد الرسول ﷺ الشعر أو نظمه انطلاقا من قوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له).

ومع ذلك فقد أباح الرسول نظمه واستمع إلى الشعراء ينشدونه وأثاب عليه. وشفع ذوي الحاجات فيه، وثمن دوره في المعركة ووقت السلم، إلا أنه نهى عن رواية إشعار بعينها، منها قصيدة أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى قريش يوم بدر، وقصيدة الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة.

أما الشعراء الذين أهدر رسول الله دماءهم فكانوا ممن حاربوا الإسلام بألسنتهم وأسلحتهم، وهم أحد عشر شاعرا، نفذ الحكم في سبعة منهم، ولم ينفذه في أربعة لهرب بعضهم وتوبة البعض الآخر.

ثم تناولت الأغراض الشعرية في ظل الإسلام، حيث كانت ثلاثة أصناف، الصنف الأول هو الأغراض التي هجرها المسلمون لأنها لم تناسب حياتهم الإسلامية الجديدة، كالغزل الصريح والخمريات، وطوروا الصنف الثاني بما يناسب التعاليم الدينية والمثل الجديدة كالفسخ والرثاء والهجاء والمديح، وابتكروا الصنف الثالث، حيث نظموا في أغراض جديدة كالشعر الديني والسياسي، وشعر الوعظ والإرشاد والزهد والفتوحات الإسلامية، وهي إضافات جديدة إلى أغراض الشعر العربي.

وكان لا بد لي أن أتحدث عن الخصائص الفنية واثر الإسلام فيها، وما ابتكر الشعراء من أساليب القسم والدعاء والقصص الديني وتكرار الألفاظ والتراكيب لتقرير المعاني وتأكيداها.

وقد توارد الشعراء على الاقتباس من القرآن والحديث النبوي، حيث وجدوا فيهما ينبوعا ثرا لإغناء صورهم وأخيلتهم، وألفاظهم وتراكيبهما

ومعانيهم.

وأخيرا فلست أزعم أنني قد أتيت بالجديد الخارق في هذا الكتاب فكل ما فيه من جديد إنما هو تقصي النماذج، وتلمس اثر الإسلام في أشعار صدر الإسلام والعصر الأموي، للوصول إلى البرهنة على خطأ الرأي القائل بمعاداة الإسلام الشعر والشعراء.
وأرجو أن أكون قد وفقت إلى ذلك، ومن الله العون والسداد...

المصادر والمراجع

- 1- الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة على الصحابة-بدر الدين الزركشي. تحقيق سعيد الأفغاني. مطبعة الهاشمي بدمشق 1939.
- 2- أخبار أبي القاسم الزجاجي-عبد الرحمن الزجاجي. تحقيق د. عبد الحسين المبارك. دار الرشيد. بغداد 1980.
- 3- الأخبار الطوال-ابن حنيفة الدينصوري. تحقيق عبد المنعم عامر. مكتبة النهضة المصرية.
- 4- أخبار القضاة-القاضي وكبيع. مطبعة الاستقامة بمصر 1947.
- 5- الأخبار الموفيات-الزير بن بكار-تحقيق د. سامي العاني. مطبعة العاني. بغداد 197
- 6- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية. د. مصطفى الشكعة. دار الكتاب اللبناني. بيروت ط 19742.
- 7- الأدب المفرد. الإمام البخاري. طشقند. م. أفسيت 1970.
- 8- أسباب النزول-جلال الدين السيوطي. على هامش تفسير الجلابين. طبعة مكتبة الفلاح. دمشق.
- 9- الاستيعاب في معرفة الأصحاب-ابن عبد البر القرطبي. المطبعة الشرقية. مصر.
- 10- الإصابة في تمييز الصحابة. المطبعة الشرقية. مصر.
- 11- الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني. طبعة ساسي بالقاهرة. وطبعة دار الكتب المصرية. والثقافة. بيروت.
- 12- الأمالي-أبو علي القالي. دار الكتب المصرية. القاهرة
- 13- امتناع الأسماع-تقي الدين المقرئ. تصحيح احمد محمد شاك. القاهرة 1941.
- 14- أنساب الأشراف-البلاذري. تحقيق د. عبد العزيز الدوري. بيروت.
- 15- البداية والنهاية-ابن كثير. مكتبة المعارف. بيروت 1966.
- 16- البرصان والعرجان-الجاحظ. تحقيق محمد مرسى الخولي. القاهرة 1972.
- 17- بهجة المجالس-ابن عبد البرالقرطبي. تحقيق محمد مرسى الخولي القاهرة 1967.
- 18- البيان والتبيين-الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. مصر 1948.
- 19- تاريخ الآداب العربية في الجاهلية حتى عصر أمية. كارل نالينو. ط 2. دار المعارف. مصر.
- 20- تاريخ الأدب العربي. د. عمر فروخ. دار العلم للمالين. بيروت 1969.
- 21- تاريخ الإسلام. شمس الدين الذهبي. مطبعة السعادة. مصر 1967.
- 22- تاريخ دمشق. تأليف ابن عساكر. تهذيب عبد القادر بدران دمشق 1329 هـ.
- 23- تاريخ الرسل والملوك-ابن جرير الطبري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف-القاهرة.
- 24- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري. د نجيب البهيتي. دار الكتب.
- 25- تاريخ العرب الأدبي. نيكلسون. ترجمة د. صفاء خلوصي. مطبعة المعارف. بغداد 1969.
- 26- تأويل مشكل القرآن-ابن قتيبة. تحقيق سيد صقر. القاهرة.

- 27- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام. د. شكري فيصل. مطبعة جامعة دمشق 1964.
- 28- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير القرشي. البابي الحلبي. القاهرة.
- 29- التفسير الكبير-فخر الدين الرازي. القاهرة.
- 30- الجامع لأحكام القرآن (تفسير) القرطبي. دار الكتب المصرية. القاهرة.
- 31-جمهرة أشعار العرب-أبو زيد القرشي. دار صادر. بيروت 1963.
- 32- الحب العذري نشأته وتطوره. احمد عبد الستار الجوازي. دار الكتاب العربي. مصر 1948.
- 33- الحب المثالي عند العرب-د. يوسف خليف. سلسلة اقرأ بالقاهرة رقم (220).
- 34- الحب في التراث العربي-د محمد حسن عبد الله. سلسلة عالم المعرفة بالكويت رقم (36).
- 35- حديث الأربعاء-د. طه حسين. دار المعارف. القاهرة 1953.
- 36-حسان بن ثابت-محمد إبراهيم جمعة. دار المعارف. مصر
- 1965 37- حسان بن ثابت-د. محمد طاهر درويش. دار المعارف. مصر.
- 38- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء-أبو نعيم الأصفهاني-مطبعة السعادة القاهرة 1932.
- 39- الحماسة-البحثري. تحقيق لويس شيخو. المطبعة الكاثوليكية بيروت 1910.
- 40- الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام. د. محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتاب اللبناني. بيروت.
- 41- حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة-د. يوسف خليف. دار الكتاب العربي. القاهرة. 1968.
- 42- الحيوان-الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة.
- 43- خاص الخاص. عبد الملك الثعالبي. القاهرة 1908.
- 44- خزائن الأدب-البغدادي. مطبعة بولاق. القاهرة.
- 45- دراسات في الأدب الإسلامي. د. سامي مكي العاني. المكتب الإسلامي. دمشق-1975, 46- ديوان أبي الأسود الدؤلي. تحقيق محمد حسن آل ياسين. مطبعة المعارف. بغداد.
- 47- ديوان أبي تمام. شرح التبريزي. باعثناء. د. عبده عزام. القاهرة. 1951.
- 48- ديوان جرير-تحقيق د. نعمان أمين طه. دار المعارف. مصر 1971.
- 49- ديوان جميل-جمع وتحقيق د. حسين نصار. مكتب مصر. القاهرة.
- 50- ديوان حسان بن ثابت. تحقيق د. سيد حنفي حسين. القاهرة 1974.
- 51- ديوان الخطيئة. تحقيق د. نعمان أمين طه. القاهرة. 1958.
- 52- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري باعثناء عبد الرحمن البرقوقي. مطبعة السعادة. مصر.
- 53- ديوان حميد بن ثور الهلالي. تحقيق الميمني. دار الكتب المصرية.
- 54- ديوان ذي الرمة-ط 2. المكتب الإسلامي. بيروت 1964.
- 55- ديوان الشافعي-جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزغبى. دار الجيل. بيروت-1974.
- 56- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات تحقيق وشرح. د. محمد يوسف نجم. دار حيدار. بيروت 1958.
- 57- ديوانه تحقيق د. إبراهيم عبد الرحمن القاهرة.
- 57- ديوان العجاج-تحقيق د. عزة حسن. بيروت 1971.
- 58- ديوان علي بن أبي طالب-المطبعة الأهلية. بيروت 1927.
- 59- ديوان الفرزدق-دار صادر-بيروت 1966.
- 60- ديوان كثير عزة-جمعه وشرحه د. إحسان عباس-دار الثقافة بيروت 1971.

- 61- ديوان كعب بن مالك الأنصاري-جمع وتحقيق. سامي مكي العاني-مطبعة المعارف. بغداد 1965.
- 62- ديوان مجنون ليلى-جمع وتحقيق ونشر-عبدا لستار احمد فراج. دار مصر للطباعة القاهرة.
- 63- ربيع الأبرار-الزمخشري. مخطوطة الأوقاف العامة ببغداد. وتحقيق د. سليم النعيمي. مطبعة العاني بغداد 1977.
- 64- الرثاء-د. شوقي ضيف. فنون الشعر. دار المعارف. مصر.
- 65- الردة-المنسوب للواقدي. مخطوطة مكتبة خدا بخش في الهند.
- 66- الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام-عبد الرحمن السهيلي. القاهرة 1914.
- 67- الزهرة أبو بكر المعروف بابن داود الأصفهاني. النصف الأول من الكتاب. مطبعة الأباء اليسوعيين بيروت 1932. والنصف الثاني تحقيق د. القيسي والسامرائي بغداد 1975.
- 68- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية-أبو حاتم الرازي تحقيق حسين بن فيض الله الهاني. القاهرة 1957.
- 69- السراج المنير-العزيزي. البابي الحلبي-القاهرة 1957.
- 70- سنن الترمذي-الترمذي. تحقيق إبراهيم عطوة. البابي الحلبي القاهرة.
- 71- سير أعلام النبلاء-شمس الدين الذهبي-دار المعارف. مصر.
- 72- السيرة النبوية. ابن هشام. شرحها السقا والاباري والشلبي ط 2 البابي الحلبي 1955.
- 73- شرح أدب الكاتب-أبو منصور الجواليقي مطبعة القدسي. القاهرة.
- 74- شرح أشعار الهزليين-برواية السكري. تحقيق عبد الستار فراج. مكتبة دار العروبة مصر.
- 75- شرح بانث سعاد-قصيدة الصحابي كعب بن زهير-عبد اللطيف البغدادي. تحقيق هلال ناجي. مكتبة الفلاح-الكويت 1981.
- 76- شرح ديوان الأخطل التغلبي-حققه وكتب مقدمته وشرح معانيه ايليا سليم حاوي. دار الثقافة بيروت.
- 77- شرح ديوان كعب بن زهير-السكري الدار القومية بمصر
- 78- شرح شواهد المغنى-السيوطي. الخانجي. مصر.
- 79- شرح القصائد السبع الطوال-ابن الانباري. تحقيق عبد السلام هارون. دار المعارف بمصر 1963.
- 80- شعر الاحوص. جمع وتحقيق عادل سليمان. الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 1970.
- 81- شرح نهج البلاغة-ابن أبي الحديد. دار الفكر. بيروت 1956
- 82- شعراء أمويون د. نوري حمودي القيسي. مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل. العراق 1976.
- 83- شعر الراعي النميري. تحقيق د. نوري القيسي وهلال ناجي. مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1980.
- 84- شعر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. جمع وتحقيق. د. سامي مكي العاني. مطبعة المعارف بغداد 1971.
- 85- شعر قيس بن ذريح. تحقيق د. حسين نصار. دار مصر للطباعة.
- 86- شعر المتوكل اللبثي. تحقيق د. يحيى الجبوري. بيروت
- 87- شعر النابغة الجعدي-المكتب الإسلامي. دمشق 1964.

- 88- شعر النعمان بن بشير الأنصاري. حققه وقدم له. د. يحيى الجبوري مطبعة المعارف بغداد.
- 89- شعر النمر بن تولب-حققه د. نوري حمودي القيسي. مطبعة المعارف. بغداد.
- 90- شعر يزيد بن الطثرية-صنعة حاتم الضامن. مطبعة اسعد بغداد 1973.
- 91- شعر هدية بن الخشرم العذري. جمعه وحققه. د. يحيى الجبوري وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق 1976.
- 92- الشعر والشعراء-ابن قتيبة تحقيق. احمد محمد شاكر. مصر 1966.
- 93- الصاحبى في فقه اللغة وسنن العربية. احمد بن فارس. تحقيق مصطفى الشويمي. مؤسسة بدران للطباعة والنشر. بيروت 1963.
- 94- الصبح المنير في شعر أبي يعير(ديوان الأعشى) مطبعة ادلف هلهوسن. بيانه 1927.
- 95- صحيح الجامع الصغير للسيوطي-الألباني. منشورات المكتب الإسلامي. بيروت.
- 96- الصناعتين-أبو هلال العسكري. الأستانة 1320 هـ.
- 97- طبقات الشافعية-السبكي. المطبعة الحسينية. مصر.
- 98- طبقات الشعراء-ابن سلام الجمحي. تحقيق محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة 1974.
- 99- الطبقات الكبرى-ابن سعد. طبع ليدن 1321 هـ.
- 100-العصر الإسلامي-د. شوقي ضيف. دار المعارف بمصر 1963.
- 101- العقد الفريد-ابن عبد ربه الأندلسي. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة 1956.
- 102- العمدة في صناعة الشعر ونقده-ابن رشيق القيرواني. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة ط 2- 1955.
- 103- عيون الأخبار-ابن قتيبة-دار الكتب المصرية 1925.
- 104- فتوح البلدان-البلاذري. تحقيق د. صلاح الدين المنجد. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- 105- فتوح الشام-الواقدي-البابي الحلبي. مصرط 3- 1954.
- 106- الفتوحات الإسلامية-ابن زيني دحلان. المطبعة الشرقية بمصر 1323.
- 107- الفهرست-ابن النديم. مطبعة الرحمانية. القاهرة.
- 108- في الشعر الإسلامي والأموي د. عبد القادر القط. دار النهضة القومية. بيروت 1976.
- 109- في ظلال القرآن-سيد قطب. دار الثقافة بيروت.
- 110- قيس ولبنى-جمع وتحقيق د. حسين نصار. مكتبة مصر. القاهرة.
- 111- قيم جديدة للأدب العربي. د. بنت الشاطئ. دار المعرفة.
- 112- الكامل في التاريخ-ابن الأثير. دار بيروت للطباعة والنشر.
- 113- كتاب الأذكاء-أبو الفرج ابن الجوزي-منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت 1980.
- 114- كتاب التوابين-ابن قدامة المقدسي. تحقيق عبد القادر الاناؤوط. دار البيان ط 2- 1389.
- 115- كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس-العجلوني الجراحي دار أحياء التراث العربي بيروت 1351 هـ.
- 116- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال-المتقى الهندي. مكتبة التراث الإسلامي. حلب.
- 117- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. جمع محمد فؤاد عبد الباقي. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. الكويت 1977.
- 118- ليلي والمجنون في الأدبيين العربي والفارسي. د. محمد غنيمي هلال. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة.

- 119- المحاسن والمساوئ-البیهقي. دار صادر بیروت 1960.
- 120- المدائح النبوية في الأدب العربي-د. زكي مبارك. دار الكتاب العربي. القاهرة 1967.
- 121- مروج الذهب ومعادن الجوهر-المسعودي-مطبعة البابي الحلبي. القاهرة 1955.
- 122- المزهر في علوم اللغة وأنواعها-جلال الدين السيوطي. تحقيق جاد المولى وآخرين. البابي الحلبي. القاهرة.
- 123- مسند احمد-الإمام احمد بن حنبل. القاهرة 1323.
- 124- معجم البلدان-ياقوت الحموي-دار صادر. بيروت 1957.
- 125- معجم الشعراء-المرزباني-تحقيق عبد الستار احمد فراج البابي الحلبي. مصر. 1960.
- 126- الفصل في تاريخ العربي د. جواد علي. دار العلم للملايين بيروت 1972.
- 127- مقاتل الطالبيين-أبو الفرج الأصفهاني. المكتبة الحيدرية النجف. ط 2- 1965 والحبلي. القاهرة 1949.
- 128- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة-السخاوي. صححه عبد الله الصديق. مكتبة الخانجي القاهرة 1956.
- 129- مقدمة ابن خلدون-عبد الرحمن بن خلدون. دار الشعب. مصر.
- 130- الممتع في علم الشعر وعمله-عبد الكريم النهشلي. تحقيق د. المنجي الكعبي. الدار العربية للكتاب. تونس.
- 131- مناقب عمر بن الخطاب. ابن الجوزي. تحقيق. د. زينب إبراهيم القاروط. دار الكتب العلمية. بيروت 1980.
- 132- منهج الفن الإسلامي. محمد قطب. دار القلم. القاهرة.
- 133- الموشح في اخذ العلماء على الشعراء-المرزباني. القاهرة 1343 هـ.
- 134- نسب قريش-مصعب الزبيري. تحقيق بروفنال. مصر 1953.
- 135- نكت الهميان في نكت العميان. الصلاح الصفدي. مصر 1911.
- 136- الهاشميات-الكميت الأسدي. تحقيق جوزيف هورفتس إبريل-1954.
- 137- الهجاء والهجاءون د. محمد محمد حسين. القاهرة.
- 138- الوساطة بين المنتبى وخصومه-القاضي الجرجاني. تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم والبيجاوي. البابي الحلبي. القاهرة 1966.
- 139- وفيات الأعيان-ابن خلكان. تحقيق د. إحسان عباس-دار الثقافة. بيروت.
- 140- وقعة صفين-نمر بن مزاحم. تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ط 1- 1365 هـ.

المؤلف في سطور:

د. سامي مكي العاني

- * تخرج في جامعة بغداد قسم اللغة العربية عام 1956 .
- * حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي عام 1968 من جامعة القاهرة.
- * يعمل حالياً أستاذاً للأدب الإسلامي في جامعة المستنصرية ببغداد ومعار التدريس بجامعة الكويت.
- النشاط العلمي:
- * عمل في عدة مجلات متخصصة كما أشرف على الدراسات العليا في تحقيق المخطوطات بالجامعة المستنصرية.
- * قام بتحقيق اثني عشر كتاباً.
- * ألف عدة كتب كما نشر أبحاثاً ومقالات في المجالات المتخصصة.



بنو الانسان

تأليف: بيتر فارب
ترجمة: زهير الكرمي